الجامعة الإسلامية ــ غــزة
عمـــادة الدراســـات العليـــا
كليـــــة أصــــول الـــــدين
قسم العقيدة والمــذاهب المعاصــرة

أثر الهوى على التوحيد

بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالب
منذر خليل صالح الغماري

إشراف الدكتور
أحمد جابر محمود العمصي

١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

القصص : ٥٠

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾

المائدة : ٧٧

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾

الجاثية : ٢٣

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى والدي العزيز ...

إلى أمي الحنونة ...

إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء ...

إلى إخوتي وأخواتي الأفاضل ...

إلى أرواح شهداء فلسطين الذين رووا بدمائهم الزكية تراب الوطن ...

إلى جميع أبناء شعب فلسطين الصامدين إلى يوم الدين إلـــيهم جميعـــاً

أهدي عملي هذا ...

الباحث

منذر خليل الغماري

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنني -وبعد أن مَنَّ الله عليّ بإتمام بحثي هذا – أتقدم بجزيل الشكر ، وعظيم الامتنان لكل من ساعدني ، ومدّ لي يد العون والمؤازرة لإخراج هذا الجهد المتواضع إلى حيز الوجود .

وأول من يستحق الشكر والثناء هو الله سبحانه وتعالى ، الذي أنعم وتفضل علي ، وأعانني وبارك في وقتي ، وسخر لي بإرادته الطاقات والإمكانات ، وذلل لي الصعاب والعقبات، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وفي هذا المقام أتقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية وإلى جميع القائمين عليها ، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور المشرف على بحثي د. أحمد جابر العمصي فله مني كل شكر واحترام وتقدير على ما أحاطني به من عناية وتوجيه وإبداء للآراء السديدة الصائبة ، التي زودت البحث بالفائدة ، وأسأل الله عز وجل أن يجزيه عني وعن طلبة العلم خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ، كل من :

الدكتور : سعد عاشور .

الدكتور : خضر سَوَنْدَك .

وذلك على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث ، ليثرياها بالملاحظات والتوجيهات السديدة.

كما أتقدم بعظيم الشكر لكل الإخوة الذين وقفوا بجانبي أثناء إعداد بحثي وأخص بالذكر الأخ عاهد محمود مرتجى لما بذله من جهد وفير في تصحيح الرسالة لغوياً ونحوياً فله جزيل الشكر ، كما أتقدم بالشكر إلى الأخ رامز نسمان الذي قام بطباعة هذه الرسالة على أكمل وجه ، وأتقدم بالشكر إلى مكتبة الجامعة الإسلامية وجميع القائمين عليها .

وفي الختام لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر إلى والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي جميعهم الذين تحملوا معي الكثير ووفروا لي الأجواء الملائمة للبحث والدراسة ، وإلى كل من ساهم وساعد في هذا البحث وأسدى إليّ نصيحة أو توجيهاً ، حتى تم هذا الجهد المتواضع فجزاهم الله عني خير الجزاء .

أشكرهم جميعاً،فإن من لا يشكر الناس لا يشكر الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

منذر خليل الغماري

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الهوى على التوحيد

مقدمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه رحمة وهادياً للعالمين ، أما بعد :

خلق الله آدم خلقاً سوياً ونفخ فيه الروح وأسكنه الجنة وأباح له أن يأكل من ثمارها إلا شجرة واحدة ، فأغراه إبليس للأكل من الشجرة فأطاعه ونسي عهد ربه إليه ، فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض قال تعالى : " **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** " (البقرة : ٣٨) .

وعد الله آدم وذريته أن يُنزِّل عليهم هداه ، كي يعرف الإنسان ربه ويسير وفق شريعته وهداه حتى يحصل له السعادة في الدنيا والآخرة ، وتوعد المستكبرين بالمعيشة الضنكى في الدنيا والشقاء في الآخرة " **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** " (طه : ١٢٤) .

تكونت ذرية آدم بعد التزاوج وأصبح دين التوحيد الخالص هو دين أهل الأرض ، لكن إبليس اللعين الذي توعد آدم وذريته بالضلال والغواية استطاع أن يزين للإنسان ويمنيه ويخدعه ويصرفه عن الحق قال تعالى : " **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** " (الحجر : ٣٩-٤٠) وقال تعالى: "**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً* قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا* وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً**" (الإسراء: ٦٢-٦٥). فتقاذفت بنو أدم الأهواء وتحكمت فيهم الشهوات وانحرفوا عن التوحيد الخالص ، وكان أول انحراف عن التوحيد هو اتخاذ الهوى واتباع الشهوات قال تعالى : " **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** " (الجاثية : ٢٣) ، ثم أوغل الناس في اتخاذ الهوى إله يعبد من دون الله فعبد الإنسان الحجر والشجر والكواكب والأشخاص والملائكة وغير ذلك من الآلهة التي عبدت من دون الله .

فبعث الله إليهم النبيين والمرسلين ، فكان أول رسول بعد آدم نوح عليه السلام حيث دعا إلى التوحيد الخالص قال تعالى : " **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** " (الأعراف : ٥٩) .

ثم تتابع بعث الرسل إلى الناس ينيرون لهم طريق الله المستقيم ويصححون الانحرافات العقدية ، وهكذا استمرت رحمة الله وعنايته ببني البشر ، كلما ضلوا وزاغوا بعث الله إليهم من يضيء لهم الظلمات " **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّـهِ حُجَّـةٌ بَعْـدَ الرُّسُـلِ** " (النساء: ١٦٥) .

هذه هي قصة البشرية الحقيقية – باختصار شديد – صراع طويل بين الهدى والهوى، بين الحق والضلال ، بين التوحيد والشرك ، بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان قال تعالى : "**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** " (النجم : ٢٣)، وقال : "**وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَـلُّواْ عَـن سَـوَاء السَّبِيلِ**" (المائدة:٧٧).

لذلك رأى الباحث أن يتتبع آلهة الهوى المعبودة عند الأمم السابقة للإسلام والتي تحدث عنها القرآن الكريم لإظهار منهج التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام في أبهى صورة وأجل بيان.

أهمية الموضوع وبواعث اختياره :

إنَّ القرآن الكريم مليء بالحديث عن الأمم والشعوب التي تنكبت عن طريق التوحيد وتحكمت فيها الشهوات والأهواء فانحرفت عن التوحيد إلى الشرك وهذا ما حدا بالباحث أن يكتب عن هذه المعبودات والآلهة التي عبدت من دون الله في هذا البحث المتواضع حتى يتسنى لأهل العلم الانتفاع والاستفادة ، وتكمن أهمية البحث في النقاط التالية :

١- الدفاع عن التوحيد وأن التوحيد هو الأصل وهو الدين الحق وما سواه باطل وأهواء وشهوات.
٢- التعرف إلى الانحرافات العقدية عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام من خلال بيان عقيدة أهل السنة والجماعة .
٣- التعرف إلى الانحرافات العقدية عند الأمم والشعوب الوثنية والمعبودات والآلهة عندهم .
٤- التعرف إلى الانحرافات العقدية عند اليهود من خلال تصوراتهم الخاطئة وتحكم الأهواء والشهوات في تصوير آلهة خاصة بهم دون سواهم من الأمم والشعوب .
٥- التعرف إلى الانحرافات العقدية عند النصارى وكيف انحرفت عندما رفعوا مرتبة الإنسان إلى مرتبة الألوهية في الذات والصفات .

منهج البحث وطبيعة العمل فيه :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بدراسة الظاهرة، حيث إن هذا المنهج يقوم بجمع المعلومات وتحليلها واستنباط الاستنتاجات لتكون أساساً لتفسيرها وتوجيهها وقد استخدم أيضاً في هذه الدراسة المنهج التاريخي لربط الماضي بالحاضر .

أما عن طبيعة المنهج المتبع في كتابة الرسالة ، فقد قام الباحث بما يلي :

١- أخذ النصوص من مظانها أي من كتبهم ومجلاتهم .
٢- عرض آراء واعتقادات أهل الأهواء من أصحاب الديانات والعقائد الأخرى المخالفة لمذهب السلف ثم قام بالرد عليها من القرآن والسنة ومذهب السلف .
٣- عند ذكر المرجع لأول مرة أكتبه كاملاً، وبعد ذلك كتب اسم الكتاب واسم المؤلف ورقم الصفحة.
٤- عزى الآيات القرآنية إلى مظانها بذكر اسم السورة مع ذكر رقم الآية في المتن دون الحاشية .
٥- إن كان الحديث في الصحيحين أكتفى بتخريجه منهما ، وإن كان في غيرهما قام بتخريجه من كتب السنة الأخرى .
٦- المنهج في توثيق نصوص الأحاديث ، هو ذكر اسم الكتاب الذي أورد الحديث ثم ذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث .
٧- قام بالترجمة للأعلام ذوي التأثير الذين يمثلون طوائف وفرق وحركات .
٨- بين معاني الكلمات الغريبة في الهامش .
٩- عرَّف الفرق الأساسية التي تناولها في البحث في متن الرسالة والفرق التي ذُكرت عارضاً في الهامش .
١٠- قسم موضوع البحث إلى فصول ومباحث ومطالب ثم جعل له خاتمة ذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال البحث والدراسة ثم عمل فهارس للآيات والأحاديث والفرق والمراجع والموضوعات .
١١- أحياناً كان يكرر الشاهد لاختلاف المناسبة ولاشتماله على أكثر من وجه للاستشهاد .

الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع والبحث لم يعثر الباحث على دراسة علمية تطرقت لموضوع أثر الهوى على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات من منظور عقدي كمقارنة يستقرء منها الباحث أثر الهوى على معبودات الأمم الوثنية واليهودية والنصرانية كدراسة شاملة أحاطت بكل جوانبه العقدية .

وحيث إن الموضوع لم يسبق بحثه ، فهذا عرض لأبرز الدراسات التي لها علاقة تقريبية بموضوع البحث .

أولاً : الرسائل العلمية :

- " **اتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي** "[1] وتناولت هذه الرسالة التعريف بالهوى وأثره على المدعو في فترة زمنية معينة من مبعث النبي ﷺ إلى وفاته فقط .

ثانياً : الكتب والتراكمات العلمية :

١- أدب الدنيا والدين (الماوردي ٤٥٠هـ) تحدث فيه فصل تحت عنوان : العقل والهوى وحديثه عن اتباع الهوى مختصر جداً تقريباً في عشر صفحات .

٢- ذم الهوى (ابن الجوزي ، ٥٩٧هـ) تحدث فيه عن ذم الهوى .

٣- وهناك كتيبات أخرى منها :

أ- ذم الهوى وما في مخالفته من نيل المنى (إعداد : أشرف عبد المقصود) .

ب- اتباع الهوى " مظاهره ، خطره ، علاجه " (د. سليمان الغصن) صفحاته من الورق ذات القطع الصغير .

من خلال مراجعة تلك الكتب يرى الباحث أن ما تناولته هذه الكتب هو حديث عن اتباع الهوى على وجه العموم وليس دراسة أكاديمية أحاطت بالموضوع من جانبه العقدي والذي هو محل الدراسة في هذا البحث حيث سيتناول هذا البحث أثر الهوى على التوحيد بأقسامه الثلاث الربوبية والألوهيةوالأسماء والصفات، وسيفيد الباحث بمشيئة الله تعالى من هذه الكتب بما يوافق بحثه فجزى الله مؤلفيها خير الجزاء .

خطة البحث :

وضع الباحث خطة لهذا البحث ، فجعله في مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخمسة عشر مبحث وخاتمة ، وذلك كما يلي :

الفصل التمهيدي :

ويشمل على :

المبحث الأول : تعريف الهوى .

المبحث الثاني : أنواع الهوى .

---

(١) رسالة تقدم به الباحث / مصطفى البار قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

المبحث الثالث : دوافع الهوى .

الفصل الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية :

ويحتوي على خمسة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : توحيد الربوبية في الإسلام .

المبحث الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام .

المبحث الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الأمم الوثنية .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى .

الفصل الثاني : اثر الهوى على توحيد الألوهية :

ويحتوي على خمسة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : توحيد الألوهية في الإسلام .

المبحث الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام .

المبحث الثالث : اثر الهوى على توحيد الألوهية عند الأمم الوثنية .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى .

الفصل الثالث : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات :

ويحتوي على خمسة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : عقيدة توحيد الأسماء والصفات في الإسلام .

المبحث الثاني:أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام.

المبحث الثالث : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند الأمم الوثنية .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند اليهود .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند النصارى .

- **الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .**

- **الفهارس :**

وضعت فهارس للآيات ، والأحاديث النبوية والمراجع والموضوعات . وبعد فإن وفقت في بحثي هذا فمن الله وحده ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله أن يغفر لي ذلك ، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم ، ويتقبله مني إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل التمهيدي

الهوى : تعريفه ، أنواعه ، دوافعه

المبحث الأول : تعريف الهوى :

المطلب الأول : الهوى لغة .

المطلب الثاني : الهوى اصطلاحاً .

المبحث الثاني : أنواع الهوى :

المطلب الأول : الهوى بمعنى الحق .

المطلب الثاني : الهوى بمعنى الباطل .

المبحث الثالث : دوافع الهوى :

المطلب الأول : الشهوة .

المطلب الثاني : الكبر .

المطلب الثالث : سوء الظن .

المبحث الأول

تعريف الهوى

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بأن بعث فيهم رسله وأنزل كتبه دعوة لهذه النفس الإنسانية لتُقبل على عبادة ربها ، وتعرض عن طاعة وعبادة ما سواه ، ولكن كثير من النفوس أبت إلا سلوك طريق الطغيان والضلال والشرك ولا شك أن هذا الانحراف عن طريق التوحيد كان بفعل مؤثرات خطيرة تجتال الفطرة السليمة فتنقلها من الهداية إلى الغواية ومن التوحيد إلى الكفر ، ومن أبرز تلك المؤثرات " اتباع الهوى " فالهوى من أعظم الآفات التي قد يصاب بها المسلم ، فصاحب الهوى لا يرى إلا الهوى ، فإذا تكلم فبهوى ، وإذا صمت فلهوى وإذا فعل فلهوى ، فأصبح الإنسان المصاب بهذه الآفة أسيراً لهواه يعبده من دون الله .

والهوى من الآفات والأمراض التي تعرض على القلب فتحرفه عن فطرته السليمة، لذلك حرص الإسلام على مقاومة الهوى وعدم اتباعه، لما له من عواقب مهلكة على صاحبه لأن الهوى إذا تمكن من قلب امرئٍ يفسده بالشهوات ويحرفه عن مسار الحق والهدى والهداية والرشاد.

المطلب الأول : الهوى لغة

- الهوى : من هوى النفس وفعله هَوِيَ يَهْوَ هَوًّى فهو السقوط[1] .
- وفي معجم المقاييس الهوى هو : الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، ويقال هوى الشيء يهوى سقط وأما الهوى هوى النفس ، وهو يهوي بصاحبه في ما لا ينبغي ، قال تعالى : " **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** " (النجم : ٣)[2] .
- وقال الشعبي : " سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه "[3] .

---

(١) انظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل حماد الجوهري ج٦/ ٢٥٣٧-٢٥٣٨ ، مادة هوى - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار– ط/٢ - ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م – دار العلم للملايين- بيروت.

(٢) انظر : معجم المقايس في اللغة – أبي الحسن أحمد بن فارس زكريا ، ص ١٠٥٣-١٠٥٧ ، تحقيق شهاب الدين أبوعمرو ، دار الفكر– ط/٢ - سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، بيروت لبنان .

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين – شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ، ص ٤٦٨ ، تحقيق السيد الجميلي – ط/٢ - ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

إنَّ الناظر في التعريفات السابقة يجد الهوى في اللغة قد ذكر بمعنى مذموم فالتعريف الأول بمعنى السقوط والثاني والثالث يشيران إلى أن الهوى هوى النفس الذي يهوي بصاحبه فيما لا ينبغي . وهناك تعريفات أخرى لعلماء اللغة تبين أن من الهوى ما هو محمود ومنه ما هو مذموم مثل قولهم :

- هو " العشق ويكون في مداخل الخير والشر "[٤] .
- إرادة النفس ما تحب[٥] .
- " محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه "[٦] .
- ميل النفس إلى ما تشتهي[٧] .

ولو تفحصنا هذه التعريفات لوجدنا أن ألفاظها تدور حول معانٍ متقاربة أغلبها يأتي بمعنى ميل النفس ومحبة الإنسان الشيء ، حتى وصل الهوى في بعض الأمور إلى العشق لدرجة التمكن من القلب ولا يمكن زواله إلا بعد الجهد الكثير .

من خلال ما سبق يقسم العلماء الهوى إلى قسمين هوى محمود وهوى مذموم فإذا ذكر الهوى المحمود لا بد من تقييده لأن الغالب على ذكر الهوى الذم .

المطلب الثاني : الهوى اصطلاحاً :

يعرف (ابن الجوزي) الهوى أنه : " ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه ، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل ، وإلى المشرب ما شرب ، وإلى المنكح ما نكح ، وكذلك كل ما يشتهيه ، فالهوى مستجلب له ما يفيد "[٨] .

---

(٤) لسان العرب الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، ج١٥/٤٣٤ ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط/١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز مجد الدين محمد بن علي بن يعقوب أبي الطاهر الفيروزبادي ج٥/٣٥٩ ، تحقيق محمد علي النجار ، ط/٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٥) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٥/٤٣٤ ، وبصائر التمييز ، الفيروزأبادي ، ح٥/٣٥٩ .

(٦) المصدر السابق ، ج١٥/٤٣٤ .

(٧) انظر : المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج١٠٠١/٢، ط/٢، بدون طبعة وتاريخ ، وبصائر التمييز، الفيروز أبادي، ج٥/٣٥٩.

(٨) ذم الهوى ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، ص ١٨ ، صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

ويعرفه (الجرجاني): بأنه ميل النفس إلى الشهوات والشبهات من غير داعية الشرع والعقل السليم[٩].

وهذا ما يؤكده الدكتور (سيد نوح) : فقد عرَّف الهوى بأنه " السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل ، أو رجوع إلى شرع ، أو تقدير لعاقبة "[١٠] .

والمتأمل في هذه التعريفات يجد أنها تدور حول معانٍ متقاربة وهي أن الهوى هو ميل النفس إلى ما تشتهي ، وهذا الميل مفطورٌ عليه الإنسان وذلك لضرورة بقائه ، ويحاسب الإنسان بالسير وراء الهوى إذا لم يُحَكّم الشرع والعقل السليم لما يسببه من الأذى والألم والضرر .

---

(٩) انظر : التعريفات ، الشريف علي محمد الجرجاني ، ص ٣٢٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(١٠) آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ج٣٣/٢، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ط/٨، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

المبحث الثاني

أنـــواع الهـــوى

إنَّ اتباع الهوى ليس مذموماً كله في نظر الإسلام ، بل هناك هوى مذموم وهوى محمود ، وهذا واضح من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة فإذا أطلق الهوى أريد به الشر ، وإذا أريد ما كان محموداً فلا بد من تقييده ، كما قال ابن قيم الجوزية : " فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ... ولا مدحه مطلقاً وإنما يذم المفرط من النوعين وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار ، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر ... فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه ، وكذلك في السنة لم يأتِ إلا مذموماً إلا ما جاء منه مقيداً "(١١) .

ويقول (ابن رجب) رحمه الله في استعمال الهوى عند الإطلاق " هو الميل إلى خلاف الحق كما في قوله تعالى " **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** " (ص : ٢٦) ، وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه "(١٢) .

وهذا ما يؤكده (سليمان الغصن) بقوله : " الهوى في الأصل ميل النفس إلى ما تهواه، فإن مالت إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم ، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الهوى الممدوح ، وإذا ذكر الهوى مطلقاً فهو الهوى المذموم لأنه الغالب "(١٣) .

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن العلماء أطلقوا الهوى على نوعين :

١- الهوى بمعنى الحق .

٢- الهوى بمعنى الباطل .

---

(١١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، ص ٤٦٧ .

(١٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب ، ج٢/٣٩٨-٣٩٩ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، ط/٧ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

(١٣) اتباع الهوى مظاهره وخطره وعلاجه سلمان بن صالح الغصن ، ص ٨ ، دار العاصمة السعودية ، ط/٢ ، ١٤١٥هـ .

المطلب الأول : الهوى بمعنى الحق :

الهوى بمعنى الحق هو الهوى المحمود الممدوح المقيد الموافق لشرع الله ومنهجه وهديه، وهو الذي عناه النبيﷺ بقوله: " لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئتكم به"(١٤).

كما عنته السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي روي في الصحيحين عن عروة قال : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبيﷺ فقالت عائشة رضي الله عنها : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت " **تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ** " (الأحزاب : ٥١) ، قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك "(١٥) ، كما جاء في صحيح مسلم أن أعرابياً قال للنبي ﷺ جئت أسألك عن الهوى فقال " المرء مع من أحب"(١٦).

ومنه قول عمر - رضي الله عنه - في أسرى بدر " فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت "(١٧) .

وخلاصة القول : إن الهوى المحمود الذي عناه رسول الله هو الهوى المقيد الموافق لشرع الله ومنهجه وهديه وليس الهوى المفرط المُنساق وراء العواطف والرغبات والشهوات.

المطلب الثاني : الهوى بمعنى الباطل :

الهوى بمعنى الباطل هو الهوى المذموم المخالف لشريعة الله وحدوده والمبتعد عن طريق الحق والهدى والمجانب للفطرة السليمة في الإنسان، فبه يخلد الإنسان إلى الأرض وبه يدخل الإنسان النار.

---

(١٤) السنة ، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، ج١/١٢ ، ح ١٥ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٠هـ .

(١٥) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، ج٥/١٩٦٦ ، ح ٤٨٢٣ ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

(١٦) الأحاديث المختارة ، أبو عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي ، ج٨/٣٦ ، ح ٢٩ ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط/١ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ .

(١٧) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشير النيسابوري ، ج٣/١٣٨٥ ، ح١٧٦٣ ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

لذلك عناه الذكر الحكيم في كثير من الآيات ، وما ذكر الهوى في القرآن إلا مذموماً لعظيم ضرره .

قال تعالى : " **فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ** " (النساء : ١٣٥) .

وقال تعالى : " **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** " (ص : ٢٦) .

وقال تعالى : " **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** " (النجم : ٣-٤) .

وقال تعالى : " **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** " (النازعات : ٤٠-٤١) .

فالهوى دائرة الضعف لأنه يدفع بالإنسان لارتكاب كل طغيان وكل معصية وهو أساس البلوى وينبوع الشر ، وهل يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى ؟ فالهوى آفة النفس تحتاج إلى جهد طويل وشاق لعلاجها والخوف من الله هو الحاجز أمام دفعات الهوى العنيفة.

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة في كتاب الله تعالى .

كما عنته السنة النبوية المطهرة في أحاديث كثيرة منها :

قول الرسول ﷺ : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانيّ "[١٨] .

ولقد حذر السلف من اتباع الهوى المذموم من خلال قول معاوية رضي الله عنه "المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى "[١٩] .

وما ذكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة "[٢٠] .

ويحذر أبو قلابة من مجالسة أهل الأهواء بقوله : " لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون "[٢١] .

---

(١٨) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، ج٤/٦٣٨ ، ح٤٥٩ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(١٩) ذم الهوى ، ابن الجوزي ، ص ٢٥ .

(٢٠) شعب الإيمان أبو بكر بن الحسين البيهقي ، ج٧/٣٦٩ ، تحقيق المقيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ .

(٢١) سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، ج١/١٢٠ ، ح٣٩١ ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، ط/١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه "(٢٢) .

ويذكر ابن الجوزية أنَّ : " المروءة ترك الشهوة وعصيان الهوى "(٢٣) .

وكان سلفنا الصالح يطلقون على المخالفين لأهل السنة والجماعة أهل الأهواء .

وقد أكثر الشعراء في ذكر الهوى المذموم وأحسن كثيراً منهم في تصويره والتحذير منه ، قال أحدهم :

كل امرئٍ يدري مواقع رشده
ولكنه أعمى أسيرُ هواه
يشير عليه الناصحون بجهدهم
فيأبى قبول النصح وهو يراه
هوى نفسه يعميه عن قصد رشده
ويبصر عن فهم عيوب سواه(٢٤)

نخلص مما سبق أن الأصل في الوجود الهدى والحق والخير وأن الكون خلق صالحاً مهيئاً للإنسان كي ينشر دين الله في الأرض ويقيم حدوده وشرائعه ، ومن ثم إعمار الأرض وذلك كما في قوله تعالى : " **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** " (هود : ٦١) ، فجاء الهوى المذموم بالفساد والضلال كأمر طارئ على الحق والهدى ، قال تعالى : " **وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا** " (الأعراف : ٥٦) .

انظر في قوله بعد إصلاحها حيث إن الأرض خلقت من أول أمرها على صلاح ضمن قوانين وضعها الله سبحانه وتعالى لمصلحة الإنسان وأنزل شرائعه على لسان رسله فعلّموا الناس كيفية استصلاح الأرض وتجنب الفساد والضرر وهذا هو الأصل .

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : " .... ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يوحي هذا كل مال نَحَلْتُهُ عبداً حلالٌ وإني خلقت عبادي حنفاء

---

(٢٢) منهاج السنة أحمد بن عبد الحليم بن تيمه الحراني ، ج٥/٢٥٦ ، تحقيق د.محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، ط/١ ، ١٤٠٦هـ .

(٢٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، ص ٤٧٥ .

(٢٤) ذكر هذه الأبيات وغيرها ابن الجوزية ، انظر : ذم الهوى ، ص ٣٣-٣٥ .

كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم "[٢٥] ، فاجتالتهم بالهوى والشهوات فأفسدت الصالح واستبقت الضرر ولما كان الغالب على النفس ميلها إلى الهوى الباطل أصبح لا يطلق الهوى إلا ويراد به الهوى المذموم .

(٢٥) صحيح مسلم ، ج٤/٢١٩٧ ، ح ٢٨٦٥ .

المبحث الثالث

دوافـــع الـهوى

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وزوده بما يجعله محسناً لاختيار أحد السبيلين ، سبيل الحق أو سبيل الباطل ، وكتب وقدر لكلٍ منهما دوافع موصلة إليها وأخرى مانعة وصادّة من الولوج إليها ، والدوافع المانعة لهذا أو ذاك كثيرة وما تناوله هذا المبحث هو الحديث عن جملة من الدوافع وهي الشهوة والكبر والظن .

المطلب الأول : الشهوة :

يعتبر اتباع الإنسان لشهواته من غير النظر إلى الحلال والحرام داءً خطيراً يؤدي بالإنسان إلى المهالك والضلال والانحراف عن الحق والتوحيد الخالص ، لذلك حذر الإسلام من الجري خلف شهوات النفس واتباع الهوى .

الشهوة لغة :

من شها : شَهِيتُ الشيء بالكسر .

وقال أبو عبيد في الشهوة الخفية ذهب بها بعض الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات ، قال : وعندي أنه ليس بمخصوص بشيء واحد ، ولكنه في كل شيء من المعاصي يُضمره صاحبه ويُصر عليه فإنه هو الإصرار وإن لم يعمله .

وقال غير أبي عبيد : هو أن يرى جارية حسناء فيغض طرفه ثم ينظر إليها بقلبه كما كان ينظر بعينه[٢٦] .

الشهوة اصطلاحاً :

هي حركة النفس طلباً للملائم[٢٧][٢٨] .

---

(٢٦) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٤/٥٤٦-٥٤٧ ، مادة شها .

(٢٧) الملاثم : جمع ملثم وهو موضع التقبيل .

قال الشاعر :

فلثِمْتُ فاها آخذاً بقرونها ولثمت من شفتيه أطيب مَلْثَم

انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة لثم ، ج١٢/٦٣٠-٦٣١م .

(٢٨) انظر : التعريفات ، الجرجاني ، ص ١٢٩ .

ولقد ورد ذم اتباع النفس للهوى والشهوة في القرآن والسنة .

قال تعالى : " **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** " (القصص : ٥٠) .

وقال تعالى : " **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ** " (الروم : ٢٩) .

وقال تعالى : " **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** " (آل عمران : ١٤) .

وقال تعالى : " **وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا** " (النساء : ٢٧) .

وقال تعالى : " **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** " (مريم : ٥٩) .

وأما في السنة المطهرة قال الرسول ﷺ : " إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى "(٢٩) . وجاء في الحديث " حفت النار بالشهوات "(٣٠) .

إن المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله يلحظ شدة الاعتناء بالتحذير من اتباع المرء لشهوته ، وحثه أن يلزم درب الاستقامة والثبات على الحق .

وكان السلف يحذرون الناس من صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعمته دنياه، وأصل كل فتنة إنما هو تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على العقل ، فالأول: أصل فتنة الشبهة ، والثاني : أصل فتنة الشهوة ، فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة(٣١).

ولقد أكثر العلماء في الحديث عن ذم اتباع المرء شهوته وهواه :

- قال الفضيل بن عياض: " من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق"(٣٢).

---

(٢٩) الروض الداني (المعجم الصغير) ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ج٣٠٩/١ ، ح٥١١، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان .

(٣٠) صحيح مسلم ، ج٢١٧٤/٤ رقم ٢٨٢٢ .

(٣١) انظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، ج١٦١/٢ ، تحقيق محمد سيد كيلاني دار التراث القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

(٣٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، ص ٤٧٦ .

- وقال أبو علي الدقاق: " من ملك شهوته في حال شبيبته صيره الله ملكاً في حال كهولته"[٣٣].
- عن الحسن بن عمرو السبيعي قال : " سمعت بن الحارث يقول : لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشبهات حائطاً من حديد "[٣٤] .
- وقال لقمان لابنه : " أول ما أحذرك من نفسك ، فإن لكل نفس هوى وشهوة فإن أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامنة في القلب كمون النار في الحجر إن قدح أوري وإن ترك توارى "[٣٥] .
- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم ، فإن عاجلها ذميم ، وآجلها وخيم "[٣٦] .
- وأنشد أحدهم :

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى
فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف بها مقتضى شهواتها
وإياك أن تحفل بمن ضل أو غوى[٣٧]

نخلص مما سبق أن اتباع المرء أهواءه وشهواته يبعده عن طريق الهداية والحق والخير، فإن اتبع الإنسان هواه صار قلبه عشاً للشهوات ؛ لأن الهوى هو مرعى الشهوات ، وإن قاوم الإنسان شهوته وهواه صار قلبه مستقراً للخير والحق والهداية والصلاح ، فطريق الهداية والاستقامة والنجاة هو السير على أوامر الله وشريعته ومخالفة شهوات النفس وأهوائها ، قال تعالى : " **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** " (النازعات : ٤٠-٤١) .

---

(٣٣) ذم الهوى ، ابن الجوزي ، ص ٣٢ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٣٥) مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب ، لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ص ٢٠٤ ، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة ، دار المنار ، بدون طبعة وتاريخ .
(٣٦) أدب الدنيا والدين ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، ص ٣٦ ، حققه مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٣٧) مكاشفة القلوب ، أبي حامد الغزالي ، ص ٢٠٥ .

المطلب الثاني : الكبر :

الكبر من الآفات المذمومة التي تصيب النفس الإنسانية فتحرفها عن التوحيد الخالص وتودي بها إلى المهالك والضلال ، إذ أنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين ، لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، وأول من سنَّ الكبر هو إبليس عليه لعنة الله إذ امتنع عن السجود لآدم ، ثم تبعه من تبعه من الجن والإنس .

الكِبْر لغة :

الكِبرُ : هو العظمة والتجبر ، قال تعالى : " **وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**" (النور : ١١)[٣٨] .

وقال (ابن منظور) : التكبر والاستكبار : التعظيم ، وقوله تعالى : " **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** " (الأعراف : ١٤٦)[٣٩] .

من خلال ما سبق يتبين أن الكبر هو العظمة والاستعلاء على الخلق .

الكِبْر اصطلاحاً :

يُعرف (الإمام المقدسي)[٤٠] الكبر بأنه " هو خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته ، فيظهر على الجوارح وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه ، يعني يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال ، فعند ذلك يكون متكبراً "[٤١] .

ويرى (سيد نوح) بأن الكبر " هو إظهار العامل إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم "[٤٢] .

---

(٣٨) انظر : المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس وآخرون ، ج٧٧٣/٢ ، مادة كِبر .

(٣٩) انظر : لسان العرب ، ج١٥٣/٥ .

(٤٠) المقدسي هو الإمام العالم الزاهد العابد شمس الدين المقدسي الحنبلي ، انظر : مختصر منهاج القاصدين، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص ٧ .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

(٤٢) آفات على الطريق ، سيد نوح ، ج١٦٥/١-١٦٦ .

وعليه يعتبر الكبر من أكبر أسباب الغواية والضلال ، وما غوى إبليس إلا بعدما تكبر واتبع هواه فامتنع عن السجود لآدم امتثالاً لأمر الله ، قال تعالى : " **يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** " (ص : ٧٥-٧٦) .

واتباع الهوى والكبر حال بين كثير من الناس من قبول دعوة الأنبياء عليهم السلام كأمثال النمرود وفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأبي لهب .

ولقد ذم الله كبر هؤلاء وأمثالهم في مواضع كثيرة في القرآن الكريم .

قال تعالى : " **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** " (غافر : ٣٥) .

وقال تعالى : " **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** " (الأعراف: ١٤٦) .

وقال تعالى : " **وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** " (إبراهيم : ١٥) .

وقال تعالى : " **إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** " (النحل : ٢٣) .

يتبين من خلال الآيات القرآنية السابقة أن المستكبرين ذوو قلوب منكِرة للحق والهدى، فهم لا يريدون التسليم بالبراهين والاستسلام لله ورسوله استكباراً وعلواً ، فالكبر متأصل في نفوسهم مطبوع في قلوبهم ، فهي لا تقتنع ولا تستجيب ، ومن ثم فهم مكروهون من الله لاستكبارهم على دينه وخلقه .

ولقد حذر الرسول من عواقب الكبر وآثاره السيئة على الإنسان والمجتمع ، فقالﷺ " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان "[٤٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، قال أبو معاوية ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زانٍ وملك كذاب وعائل مستكبر "[٤٤] .

وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة " الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار "[٤٥] .

---

(٤٣) صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، ج٢/٣٥ ، ح٣٢٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤٤) صحيح مسلم ، ج١/١٠٢ ، ح ١٠٧ .

(٤٥) صحيح ابن حبان ، ج٢/٣٥ ، ح ٣٢٨ .

وفي الحديث عنه ﷺ " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار "[٤٦] .

يتبين من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن للمتكبرين في الأرض أمثال إبليس وفرعون وغيرهم آثاراً ضارة وعواقب مهلكة فهم الذين كانوا سبباً في انحراف كثير من الإنس والجن عن التوحيد الخالص ، لذلك على المؤمن أن يتجنب الأساليب والوسائل المؤدية للكبر .

المطلب الثالث : سوء الظن :

سوء الظن خصلة من خصال الشر ، وسلاح من أسلحة الشيطان فلا ينبغي للمسلم أن يظن إلا خيراً ، قال تعالى : " **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** " (النور : ١٢) .

أولاً : الظن لغة :

جاء في لسان العرب الظن بمعنى شك ويقين ليس بيقين عيان بل يقين تدبر لأن يقين العيان هو العلم ، وجمع الظن هو الظنون ، وفي الحديث " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث "[٤٧] . أراد الظن الشك[٤٨] .

وجاء في معجم المقاييس في معنى الظن : أنه يدل على معنيين مختلفين يقين وشك ، فأما اليقين فقول قائل : ظننت ظناً ، أي أيقنت ، قال تعالى: " **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللّهِ** " (البقرة ، ٢٤٩) أراد (يوقنون) والأصل الآخر : الشك ، يقال ظننت الشيء ، إذا لم تتيقنه ومن ذلك الظِّنة التُّهمَة والظنون : الشيء الظن، والتظني : إعمال الظن[٤٩] .

يتضح مما سبق أن الظن لغة جاء بمعنى الشك واليقين فإن وجد الظن محموداً فهو ظن اليقين وإن وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك .

---

(٤٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، ج١٧٩/٢ ، ح٦٦٧٧ ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

(٤٧) صحيح البخاري ، ج١٩٧٦/٥ ، ح ٤٨٤٩ .

(٤٨) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ظنن ، ج٣٣١/١٣ .

(٤٩) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ص ٦٣٩-٦٤٠ .

ثانياً : الظن اصطلاحاً :

يعرف (المقدسي) الظن بأنه " ما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب "(٥٠) .

وقد عرفه (الجرجاني) بأنه " الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك ، وقيل الظن : أحد طرفي الشك بصفة الرجحان "(٥١) .

ويمكن القول أن الظن هو خواطر وأحاسيس وإدراكات تفاجئ النفس البشرية فإما أن تميل بها إلى اليقين والجزم وإما أن تميل بها إلى الشك والريبة ولقد حذر القرآن الكريم من الظن السيئ بقوله تعالى : " **وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا** " (الفتح ، ١٢) ، وقال تعالى : " **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ** " (الفتح ، ٦)، وقال تعالى : " **ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** " (ص،٢٧)، وقال تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** " (الحجرات، ١٢).

وبين القرآن الكريم أن المشركين غيروا وحرفوا وألحدوا في توحيد أسماء الله اتباعاً للظن والهوى ، قال تعالى : " **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**" (النجم، ٢٣) .

ولقد حذرت السنة من الظن .

قال رسول الله ﷺ : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث "(٥٢) .

وعليه فإن اتباع الهوى والظن يودي بالإنسان إلى الشرك بالله ، وما أشرك المشركون مع الله آلهة أخرى إلا لأنهم ظنوا أن هذه الآلهة تساعدهم على الرزق والإحياء والإماتة ، وأنها تقربهم إلى الله زلفى وهذه عقيدة فاسدة .

قال تعالى : " **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** " (يونس : ٣٦) .

فالآية تدعو الإنسان إلى التخلي عن الظن في الأمور الاعتقادية حتى لا يكون عرضة للشهوات والأهواء والفتن فإن ذلك يحرفه عن الصواب ويخرجه عن التوحيد .

---

(٥٠) مختصر منهاج القاصدين ، المقدسي ، ص ٢٧٠ .

(٥١) التعريفات ، الجرجاني ، ص ١٤٤ .

(٥٢) صحيح البخاري ، ج٥/١٩٧٦ ، ح ٤٨٤٩ .

لذلك يقول (محمد رشيد رضا) تعقيباً على هذه الآية أنه " على الإنسان المؤمن أن يكون غرضه من حياته تزكية نفسه وتكميلها باتباع الحق في كل اعتقاد ، والهدى والصلاح في كل عمل ، وبناؤها على أساس العلم دون الظن وما دونه من الخرص والوهم "(٥٣) .

فالذي يكون حاله هو اتباع الظن سيعيش دائماً متردداً شاكاً ليس على يقين ولا يملك برهاناً بل كل حياته مبنية على الشك والتخبط على حسب ما تهوى نفسه ، وليعلم الإنسان أن اتباع الهوى والظن يترك آثاراً سيئة على التوحيد الخالص ، ويخرجه من ملة الإسلام .

يتبين من خلال ما سبق أن دوافع الهوى من الشهوة والكبر والظن من الأسباب الدافعة لدى كثير من الناس على اتباع الهوى والمانعة لهم من قبول الحق ، فعلى الإنسان أن يسير بقلبه فيتأمل عواقب الهوى، فكم من شهوة كسرت جاهاً ، ونكست رأساً ، وقبحت ذكراً ، وكم من متكبر حرم صاحبه من النظر والاعتبار في عاقبة المستكبرين، فكان عاقبته البوار والخسران والاضطراب، وكم من متبع للظن وقع في الشرك لأن الظن دفع صاحبه للشك في عقيدة التوحيد، فالهوى أعدى عدوٍّ للمرء ، فإذا اتبع الإنسان أهواءه وشهواته أصبح أسيراً لشيطانه ، وهذا بعينه جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء المصير ، فمتابعة العبد لهواه تركسه في الدنيا والآخرة وتذله في الظاهر والباطن، قال تعالى: "**فَأَمَّا مَن طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**" (النازعات:٣٩)، ومن خالف دوافع الهوى كانت نهايته العز والشرف والغنى والجاه عند الله وعند الناس، قال تعالى: "**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**" (النازعات:٤١).

---

(٥٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، تأليف محمد رشيد رضا ، ج٣٦٥/١١، المجلد الحادي عشر، دار المعرفة ، ط/٢ .

الفصل الأول

أثر الهوى على توحيد الربوبية

المبحث الأول : توحيد الربوبية في الإسلام .

المطلب الأول : تعريف الربوبية .

المطلب الثاني : أقسام الربوبية .

المطلب الثالث : مظاهر توحيد الربوبية .

المطلب الرابع : نواقض توحيد الربوبية .

المبحث الثاني: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام.

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند غلاة الصوفية .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الفرق الباطنية .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند فرق المشبهة .

المبحث الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الأمم الوثنية .

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند المصريين القدماء .

المطلب الثاني: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند ديانات الشرق الأقصى.

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الفرس .

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النمرود وفرعون .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود .

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في آدم عليه السلام.

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في أحبارهم ورهبانهم.

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في العجل .

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في بعل .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى .

المطلب الأول: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة غفران الذنوب لغير الله.

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الإحياء لغير الله.

المطلب الثالث: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة شفاء المرضى لغير الله.

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الرزق لغير الله.

المطلب الخامس: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الخلق لغير الله.

المبحث الأول
توحيد الربوبية في الإسلام

يعتبر توحيد الربوبية الأساس لأنواع التوحيد الأخرى كتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، ولذلك اهتم القرآن الكريم به اهتماماً بالغاً فلا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم إلا وأشارت إليه صراحة أو ضمناً ، وقد ذكر هذا النوع من التوحيد في مقام توحيد الألوهية كالحمد والاستسلام والدعاء والعبادة والتضرع وغيرها ، كما أنكر القرآن الكريم على أهل الشرك شركهم في الألوهية وتوعد المشركين منهم بسوء العاقبة .

المطلب الأول : تعريف الربوبية :

أولاً : الربوبية لغة :

الربوبية : مأخوذة من لفظ الرَّبُّ والرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالِك ، والسَّيِّد ، والمُدبِّر ، والمُرَبِّي ، والقَيِّمِ ، والمُنْعِمِ ، ولا يُطلَق غيرَ مُضافٍ إلاَّ على الله عز وجل وإذا أُطلِق على غيرِه أُضيِفَ[٥٤] .

" والرب هو اسم الله تعالى وقد يخفف والاسم الرَّبابة ، والربوبية وعِلْم ربُويٌّ ، نسبة إلى الرب تعالى على غير قياس .... ورب كل شيء : مالكه ومستحقه وصاحبه ، والجمع : أرباب ورُبوب "[٥٥] .

وهذا ما يؤكده في المعجم الوسيط "الرب اسم الله تعالى: لا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة والمالك والسيد والمربيِّ والقيِّم والمنعم والمدبِّر والمصلح وجمعها أربابٌ ورُبوبٌ"[٥٦].

وقال الطبري : " الرب في كلام العرب متصرف على معان كثيرة فالسيد المطاع فيها يدعى ربّاً...والرجل المصلح للشيء يدعى ربّاً...والمالك للشيء يدعى ربَّهُ وقد ينصرف

(٥٤) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رَبَبَ ، ج/١ ، ص ٤٦٥--٤٦٦ .

(٥٥) بصائر التمييز ، الفيروزابادي ، ج٣/٢٩-٣٠ ، وانظر القاموس المحيط ، الفيروزابادي ، ص ١١، ط/١ ، ١٤٠٦هــ-١٩٨٦م ، مؤسسة الرسالة ، وانظر معجم المقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج٢، ص ٣٠٧-٣٨٢.

(٥٦) المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس وآخرون ، ج١ ، ص ٣٢ .

معنى الربِّ في وجوه غير ذلك غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاث فربَّنا جل ثناؤه، السيد الذي لا شبه له ، ولا مثل في سؤدده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمة ، والملك الذي له الخلق والأمر "(٥٧) .

وبهذا يتبين أن كلمة الرب متشعبة لها معانٍ كثيرة إذا أطلقت ، ولا يمكن حصرها في معنى واحد فهي تأتي بمعنى المربي القائم بالتربية ، وتأتي بمعنى السيد المطاع ، وتأتي بمعنى المصلح وتأتي بمعنى المالك ، ونفهم من خلال النظر إلى معانيها أنها تعني تولي الأعلى للأدنى بالرعاية ولكن إذا أطلقت كلمة الرب إلى غير الله فلا بد من الإضافة كقولنا رب البيت ورب الإبل ، أما في حق الله فتطلق مطلقة فإنها في حق الله تُفسر أنه هو المالك المعبود المتصرف الخالق لجميع العالم وهو المستحق للعبادة ، وبفهم هذا المصطلح اللغوي نستطيع فهم معاني آيات القرآن بوضوح وكذلك معرفة الموحد من المشرك .

ثانياً : الربوبية اصطلاحاً :

هي " الاعتقاد بأن رب العالم وخالقه واحد وليس اثنين وهو الرب سبحانه الذي جبلت الفطرة السليمة على الإقرار بالله والخضوع له "(٥٨) .

ويشرح الإمام ابن القيم معاني توحيد الربوبية فيما يتعلق بإرادة الله ومشيئته في الكون حيث يقول: "قيومية الرب تعالى فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده فلا خالق ولا رازق ولا مُعطي ولا مانع ولا مميت ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا

---

(٥٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري ، المجلد الأول ٨٦-٨٧ ، ج١/٨٦-٨٧ ، دار الفكر ، ط/١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م . ولمزيد من أقوال العلماء في معنى الرب في اللغة انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١/١٥٤، تحقيق محمد ابراهيم البنا دار ابن حزم للطباعة-بيروت، لبنان ط/١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. والجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله القرطبي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، المجلد الأول، ج١/١٣٨، ومجموعة التوحيد شيخا الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، ص ٣٦٠، دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ.

(٥٨) شرح العقيدة الطحاوية ، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ج١/١٧ ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ط٢ ،١٤١١هـ-١٩٩٠م .

يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته واقتضتها حكمته فهذا جمع توحيد الربوبية"[٥٩].

" وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات "[٦٠] .

وبذلك يتبين أن الربوبية هي توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التصريف والتدبير للسماوات والأرض وهو ربها وخالق من فيها وما فيها وهو وحده المعطي المانع ، النافع الضار ، المعز المذل وكل ما سواه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وهذا النوع من التوحيد مركوز في الفطرة لا ينازع فيه أحد إلا قليل من المجموعة البشرية أما المنكرون لأمر الربوبية فهم شواذ وإنكارهم ذلك عنادٌ وتكبرٌ وجحودٌ يدل على سفاهة وتفاهة عقولهم ، لأن المشركين كانوا يقرون ويؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ، قال تعالى : " **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** " (الزخرف ، ٨٧) .

إذن هذا النوع من التوحيد أجمعت عليه الخلائق جميعاً ولم يثبت أن أحداً من بني آدم أنكر قيام الله بالخلق والرزق والإماتة إلا طوائف محدودة عبر التاريخ كالدهرية[٦١] والثنوية[٦٢] والمجوس[٦٣] .

---

(٥٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الإمام ابن قيم الجوزية ، ج٣/٥١٠ ، دار الفكر ، تحقيق محمد حامد الفقي، بدون طبعة وتاريخ.

(٦٠) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١/٢٥-٢٦ .

(٦١) الدهرية : منسوبون إلى القول بالدهر أي قدمه وتأثيره في العالم وتدبيره ، انظر المنية والأمل في شرح الملل والنحل ، أحمد بن يحيى المرتضى بن الفضل بن منصور الحسني اليماني، ص ٦٤ ، تحقيق محمد جواد مشكور ط/٢ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ ، دار الندى .

(٦٢) الثنوية : وهم من يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان وهما متساويان في القدم ، انظر الفِصل في الملل والأهواء والنحل ، الإمام أبي محمد علي ابن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي ، ج٢/٨٠ ، دار المعرفة بيروت ط/٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، وانظر الملل والنحل أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ج١/٢٤٢ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت لبنان، وانظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الإمام فخر الدين الرازي ، ص ٨٨ ، مراجعة وتحرير علي النشار دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م بيروت.

(٦٣) المجوس : وهم القائلون بما قالت به الثنوية إلا أنهم اختلفوا معهم حيث زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثة ، انظر : الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج١/٢٣٣

أما مشركو قريش فقد كانوا ينسبون الخلق والإحياء والإماتة وتدبير الأمر كله من رزق وإنزال للمطر وغيره لله وحده ومع ذلك فقد حكم الله عليهم بالكفر ، ودمغهم بالشرك قال تعالى : " **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** " (يوسف ، ١٠٦) ، أما إيمانهم بالله الذي أثبته الله لهم في قوله تعالى " **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** " (العنكبوت ، ٦١) فهو قولهم أن الله خلقنا ورزقنا ويحيينا ويميتنا ، وعليه فليس كل من أقر بهذا النوع من التوحيد يعتبر موحداً فلا بد أن يضيف إليه توحيد الله في ألوهيته وأسمائه وصفاته .

المطلب الثاني : أقسام الربوبية(٦٤) :

القسم الأول : ربوبية عامة :

وهي إحاطة الله لجميع خلقه من مؤمن وكافر وبار وفاجر علماً وقدرةً وتدبيراً ورزقاً وإحياءً وإماتةً ونفعاً وضرراً ، ربوبية تقتضي مراعاة مصالح الخلائق بما يكفل بقاءهم ومعاشهم في الدنيا وغير ذلك من معاني الربوبية قال تعالى "**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**"(الحديد،٤) ويقول (السعدي) عن هذا النوع من الربوبية " هي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا " .

القسم الثاني : ربوبية خاصة :

وتعني توفيق الله للمؤمنين بالهداية والرشاد والاستقامة والنصر والتأييد والعناية واللطف وحفظه تعالى لهم من غوائل شياطين الإنس والجن ويصرف عنهم الصوارف ويفرج عنهم الكربات كما كان مع سيدنا موسى - عليه السلام - يوم أن فروا من فرعون قال " **كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** " (الشعراء ، ٦٢) ، وكما كان مع محمد ﷺ في حادثة الغار يوم الهجرة عندما قال لأبي بكر ، قال تعالى : " **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**" (التوبة ، ٤٠) .

والمعنى: أن الله بمعيته وربوبيته الخاصة لأوليائه، قدر لهم أسباب النجاة بالمعجزات الباهرات عندما قال لموسى: "**اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**" (الشعراء ، ٦٣) ،

واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الرازي ، ص ٨٦ ، والفصل في الملل والنحل ، ابن حزم ، ج٧٣/٢ .

(٦٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ج١٥/١ ، مؤسسة مكة للطباعة ، ط/١ ، ١٣٩٨م .

وعندما سخر العنكبوت أوهن الحيوانات لتنسج لها شباكاً حول باب الغار مما قطع الشك بأن محمداً ﷺ قد دخل في الغار .

ويقول الإمام السعدي[٦٥]: "في المعية الخاصة هي تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكلمهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه . وحقيقتها تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر وهذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ (الرب) فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة "[٦٦] .

المطلب الثالث : مظاهر توحيد الربوبية :

عرض القرآن الكريم توحيد الربوبية في صور متعددة ومقامات عدة وهذا يدلل على أهمية هذا النوع من التوحيد لذلك عرضه القرآن الكريم بالتفصيل وربطه بأنواع العبادات المختلفة فجاء توحيد الربوبية بصور وبمظاهر متنوعة وهي :

١) صفة الخلق :

إن من أبرز المظاهر الدالة على ربوبية الله تعالى هي صفة الخلق ، قال تعالى : "**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا** " (نوح ، ١٥-٢٠) .

وقال تعالى : " **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (الأعراف ، ٥٤) .

من خلال الآيات السابقة نجد أن القرآن الكريم عدد مجموعة من مخلوقات الله تعالى كالسماوات والأرض والقمر والشمس والإنسان والليل والنهار والنجوم التي خلقها الله وحده بعلمه وإرادته وقدرته وأن الله هو الخالق المطلق في الكون والتدبير والتغيير والإحياء والإماتة لا يشاركه أحد في خلقه .

---

(٦٥) الإمام السعدي من آل عثيمين يعد من علماء الحنابلة له مصنفات منها تيسير الكريم المنان والقواعد الحسان وغيرها ، ت ١٣٠٦هـ ، انظر الأعلام ، الزركلي ، ج٣/٣٤٠ .

(٦٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج١/١٥ .

٢) تسخير الله عز وجل المخلوقات لبعضها البعض :

يجب أن نؤمن بأن الله قد سخر الكون وما فيه من شمس ونجوم وقمر وزرع وحيوانات وطيور وغير ذلك ، قال تعالى : " **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (الأعراف ، ٥٤) .

وقال تعالى : " **وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** " (الرحمن ، ١٠-١٣) ، وقال تعالى : "**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ* وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** " (النحل ، ٥-٨) .

٣) التوجه إلى الله تعالى في مقام الدعاء والتضرع :

يجب الإيمان المطلق بأن الله وحده هو الذي يفرج الكربات ويقضي الحاجات فهو النافع وحده والضار وحده والناصر وحده وعليه فلا معنى لدعاء من لا يملك النفع والضرر، قال تعالى : " **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ** " (الأحقاف ، ٥) .

وقال تعالى : " **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** " (الفرقان ، ٣) .

٤) التوجه إلى الله تعالى في مقام الشكر :

حيث ربط القرآن الكريم بين توجه الإنسان بالشكر والثناء وبين كونه رباً خالقاً فمن كانت هذه صفته فهو وحده الذي نتوجه إليه بالحمد والشكر والثناء ، قال تعالى : " **فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** " (الجاثية ، ٣٦) ، وقال تعالى : " **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** "[٦٧] (الفاتحة ، ٢) ، وقال تعالى : " **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** " (إبراهيم: ٧)، وقال تعالى : " **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** " (لقمان : ١٤) .

---

(٦٧) انظر: دراسات في العقيدة، محمد أحمد الخطيب وآخرون، ص ٧٣-٧٤، ط/٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار عمار.

وانظر كتاب الإيمان ، د. محمد نعيم ياسين ، ص ٧-٨ ، ١٣٩٨هـ١٩٧٨م ، عمان ط/١ .

نخلص مما سبق أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ، ولفت نظر الإنسان للتفكر في خلقه ، ثم سخر هذا الخلق كله للإنسان ، والإنسان لا يدري كيف تم هذا التسخير ولا يدري مراحله إلا أن يخبرنا الله عز وجل ، لذلك وجب على الإنسان التوجه لله بالدعاء والتضرع والشكر والثناء ، لما له من نعم لا تعد ولا تحصى تدل كلها على توحيده في ربوبيته .

المطلب الرابع : نواقض[٦٨]توحيد الربوبية :

يجب الإقرار بربوبية الله تعالى على خلقه وأنه الفاعل المطلق في الكون إحياءً وإماتة وزيادةً ونقصاناً ورفعاً وخفضاً لا يشاركه أحد البتة من خلقه وكل من يخالف ذلك يقع في نواقض الربوبية وهي :

١) إنكار الخالق :

من نواقض توحيد الربوبية إنكار الخالق وهي كما يلي :

أ- إنكار وجود الخالق .

ب- إنكار خلق الله للمخلوقات وإبداعهم وتصويرهم .

ج- ادعاء أن غير الله خلق شيئاً من المخلوقات .

د- ادعاء الإنسان أنه خلق شيئاً من المخلوقات أو عنده القدرة على خلق المخلوقات .

قال تعالى : " **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " (البقرة ، ٢٩) .

---

(٦٨) النواقض لغة جمع ناقض ، ونقض الشيء نقضاً أفسده بعد إحكامه ، يقال نقض البناء : هدمه ، ونقض اليمين ، أو العهد : نكثه ، وفي القرآن " ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" (النحل : ٩١) .

انظر : القاموس الفقهي ، سعيد أبو حبيب ، ص ٣٥٩ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط/٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، مادة نَقَضَ ، والمعجم الوسيط ، ج٢/٩٤٦ .

وجاء في التعريفات النقض: هو الكسر، انظر : التعريفات علي بن محمد الجرجاني ، ص ٢٤٥.

اصطلاحاً : هو بيان تخلف الحكم المدعي ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض من الصور .

انظر : التعريفات ، الجرجاني ، ص ٢٤٥ .

وقال تعالى : " **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (الأعراف ، ٥٤) .

يتبين من خلال هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون من عدم ، وكل هذا التطور راجع إلى أن الله خلق المخلوقات وأعطاها خاصية التناسل لتستمر الحياة جيلاً بعد جيل ، فلا يجوز لأحد أن يدعي أنه هو خالق ، أو ينكر خلق الله للمخلوقات ، أو يدعي لنفسه القدرة على الخلق وإلا فقد ناقض توحيد الربوبية .

٢) إنكار الإحياء والإماتة :

من نواقض توحيد الربوبية في الإحياء والإماتة ما يلي :

أ- إنكار أن الله هو المحيي والمميت .

ب- ادعاء أن غير الله قادر على الإحياء والإماتة .

ج- إسناد الإحياء والإماتة لشخص من دون الله كما فعل النمرود بادعائه الإحياء والإماتة .

قال تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" (البقرة، ٢٥٨) .

فقد وضح القرآن الكريم أن قضية الحياة والموت لا تحتمل الجدل ، فالله سبحانه وتعالى هو خالق الحياة وهو خالق الموت ، وأشارت الآيات إلى أمر عجيب قد حدث هو ادعاء المخلوق الإحياء والإماتة فكان بذلك من الكافرين الظالمين .

قال تعالى : " **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**" (تبارك ، ٢) .

٣) نكران الرزق :

من نواقض توحيد الربوبية في الرزق ما يلي :

أ- إنكار أن الله هو الرزاق وهو الذي يطعم ويسقي .

ب- ادعاء أن غير الله هو الرزاق وهو الذي يطعم ويسقي .

ج- ادعاء الإنسان أن له صفة الرزق وأنه هو الذي يطعم ويسقي .

قال تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** " (الذاريات ، ٥٨) .

قال تعالى : " **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**" (سبأ ، ٣٦) .

يتبين من خلال الآيات أن الله سبحانه وتعالى رازق قبل أن يوجد من يرزقه ، فعلى المؤمن أن يبذل الجهد والطاقة في نصرة الحق ومقاومة الباطل ، ولا يخاف على تحصيل الرزق لأن خزائن الله لا تنفذ ، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

٤) إنكار النفع والضرر :

من نواقض توحيد الربوبية في النفع والضرر ما يلي :

أ- إنكار أن الله هو خالق النفع والضرر .

ب- ادعاء غير الله أنه هو النافع والضار من دون الله .

ج- ادعاء الإنسان القدرة على النفع والضرر لنفسه من دون الله .

قال تعالى : " **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** " (الأنبياء ، ٦٦-٦٧) .

قال تعالى : " **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** " (يونس ، ١٠٦) .

من ذلك اعتقد كثير من الجهلة أن لأرواح الأولياء والصالحين قدرة على النفع بعد موتهم فيذهبون إلى قبورهم ويستغيثون بهم لجلب منفعة أو دفع ضر .

٥) إنكار الملك والتدبير :

من نواقض توحيد الربوبية في الملك والتدبير ما يلي :

أ- إنكار أن الله هو المالك المدبر لمخلوقاته .

ب- ادعاء أن لغير الله الملك والتدبير .

ج- إسناده الملك والتدبير للإنسان نفسه من دون الله .

قال تعالى : " **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** " (فاطر ، ١٣) .

وقال تعالى : " **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** " (الزمر ، ١٦) .

وقال تعالى : " **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ** " (يونس ، ٣) .

ومن ذلك اعتقاد أن الجن لهم إرادة وتدبير خارج عن إرادة الله وتدبيره ، قال تعالى: " **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** " (الرحمن ، ٣٣) .

المبحث الثاني
أثر الهوى على توحيد الربوبية
عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام

انحرف كثير من المسلمين عن التوحيد الخالص، متأثرين بأفكار منحرفة، من أفكار الأمم التي عاشوا معها كاليونان والهند وغيرهم، فبرز كثير من الجهال الذين تحكمت فيهم الأهواء والشهوات فغالوا في دين الله عز وجل ، وجاءوا بمفاهيم غريبة عن عقيدة الأمة ، من صنع أهوائهم فتجرؤوا على الله سبحانه في توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، فأضافوا الربوبية إلى المخلوق تارةً ، ونفوها عن الخالق تارة أخرى ، وهذه بعض انحرافاتهم في توحيد الربوبية.

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند غلاة الصوفية(٦٩) :

اتخذ بعض غلاة المتصوفة وسطاء بينهم وبين الله عز وجل وأعطوهم بعض خصائص الربوبية، فأضافوا لهم القدرة على خلق الموجودات ، وأضافوا لهم النفع والضر من دون الله وهذه بعض انحرافاتهم في توحيد الربوبية .

أولاً : إضافة الخلق لغير الله :

---

(٦٩) **الصوفية لغة** : يُطلق علماء اللغة عدة معاني على كلمة التصوف منها : الصوفية من صاف يقال صاف الكبش أي ظهر عليه الصوف فهو صائف وكثر صوفه ، انظر المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ج٥٢٩/١ . والصوفية منقسمة إلى عدة أقسام هي :

- **التصوف السني** : هو ما كان قرين الزهد والتقلل من متاع الدنيا ومن أعلامه إبراهيم بن آدم ، وعبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض وغيرهم.
- **والتصوف البدعي** : وهو خليط من التصوف الإسلامي والجاهلي ومن أعلامه محمد بن سعيد البصري، وعبد الرحيم البرعي اليماني وغيرهم .
- **والتصوف الفلسفي** : وهو الذي اختلط بالفلسفات القديمة ، من أبرز أعلامه الحسين بن منصور الحلاج، ومحيي الدين بن عربي ، وابن سبعين وغيرهم .

انظر مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، محمود يوسف الشوبكي ، ص ٣٩٦-٤١٤ ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد العاشر العدد الثاني ، ربيع ثاني ، ١٤٢٣هـ، حزيران ٢٠٠١م .

أضاف غلاة الصوفية الخلق للنبي محمد ﷺ فهم يدعون أن كل هذه الموجودات التي في الكون من إنس وجن وغيرها من الكائنات ، إنما وجدت من نور محمدﷺ، فالرسول محمد أصبح عندهم هو الذي يفيض على الكون خلقاً وإيجاداً للموجودات.

جاء في البرده للبصيري :

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم(٧٠)

ويقول الإمام البصري " فالنبي محمد ﷺ عند ابن عربي ومشايخ التصوف الذين جاءوا من بعده هو الله المتجلي على العرش أو ... قل هو صورة الله الصغيرة وهو الذي منه استمدت كل الموجودات وجوداتها وانفلقت عنه كل الأنوار وكل الألوان وكل الموجودات... فهكذا بدأ الوجود بمحمد ثم خلق من نوره العرش والكرسي والسماوات والأرض وآدم وذريته "(٧١) .

إن قول غلاة الصوفية افتراء على رسول الله ﷺ ، وذلك بوصفه أنه النور الذي خلقت منه جميع المخلوقات ، وهذا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة وما عليه سلف الأمة من أن الرسول بشرٌ كما قال تعالى : " **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**" (الكهف : ١١٠) ، فالنبي ﷺ كسائر البشر خصه الله بمميزات أخلاقية ولم يخصه بخصائص الربوبية فهو يأكل ويشرب وينام ويتزوج النساء ويمرض ويموت كما قال تعالى : "**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ**" (آل عمران: ١٤٤) ، فالنبي محمد ﷺ لا يتصرف في الكون ولا يملك النفع والضر كما قال تعالى على لسانه صلى الله عليه وسلم : " **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ** " (الأعراف : ١٨٨) ، فمن لا يملك النفع والضر لنفسه فكيف يملكه لغيره فقول الصوفية هذا مخالف للنصوص الصريحة من القرآن الكريم التي تقرر بشريته عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : إضافة النفع والضر لغير الله عز وجل (الأولياء) :

يعتقد غلاة الصوفية بأن الأولياء وأئمتهم يملكون النفع والضر ، وأنهم يتصرفون في أمور الكون ويتحكمون في مصائر الخلق فأخذوا يطلبون النفع والشفاء من الأولياء والأئمة أحياءً وأمواتاً .

---

(٧٠) برده المديح المباركة للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، ص ٣٥ ، طبع في القاهرة .

(٧١) الفكر الصوفي ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ١٧٨ ، ط/٤ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

فمن غلاة الصوفية " القبوريون " وهم عباد القبور الذين " يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم "(٧٢) .

وقد وقع كثير من الصوفية وبعض العوام في ذلك فمنهم من كان يدعو شيخه عند اشتداد الكروب فيقول : يا علي ، ويا عبد القادر ، ويا بدوي ، ويسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات لاعتقادهم أنهم يملكون النفع والضرر والتصرف في الكون ومنهم من كان يسألهم الجنة وغفران الذنوب وكل ذلك من نواقض توحيد الربوبية .

وقد قال منية المريد :

لا شك أن شيخنا التجاني
محمد كل عارف صمداني
يعطي ويمنع ويسلب فمن
كمثله في الورى في ذا الزمن(٧٣)

ويقسّم (الشيخ سليمان عبد الوهاب) الدعاء إلى نوعين :

أ- **دعاء مسألة** : هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، فالمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر ، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً لقوله تعالى : " **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** " (المائدة : ٧٦) .

وقوله تعالى : " **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ** " (يونس : ١٨) .

ب- **دعاء العبادة** : إخلاص العبادة لله وحده ولا يُعبد معه غيره(٧٤) .

ودعاءا المسألة والعبادة متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة(٧٥) .

---

(٧٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٤ ، ط/٣ ، المكتب الإسلامي .

(٧٣) الفكر الصوفي ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٥٦٠ ، نقلاً عن بغية المستفيد ، ص ٢٢٦ .

(٧٤) انظر : مجموع الفتاوى ، ج٨٢/١ .

(٧٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ، سليمان عبد الوهاب ، ص ٢١٥ .

وعليه فغلاة الصوفية انحرفت عن توحيد الربوبية الذي عليه سلف الأمة واتبعوا أهواءهم رغم وضوح الآيات القرآنية من أن الله هو النافع والضار إلا أنهم سألوا المخلوقين النفع والضر ، وهذا هدم لتوحيد الربوبية إذ لا يملك النفع والضر إلا الله ، قال تعالى : " **وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ** " (النساء : ٣٢) ، وقال تعالى : " **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** " (الأعراف : ٥٥) .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الفرق الباطنية :

إن عقائد الباطنية دخيلة على عقيدة الأمة الإسلامية مليئة بالانحرافات والضلالات ، فمنهم من يقول إن علياً هو الخالق ، ومنهم من يقول إن العقل الأول هو الذي أبدع الكون إلى غير ذلك من الانحرافات التي أملتها عليهم أهواؤهم وهذا نموذج يدل على انحرافاتهم في توحيد الربوبية:

* الإسماعيلية :

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر ، وتعتقد الإسماعيلية بأن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي هو محل لجميع الصفات الإلهية[٧٦] .

فالخالق عند الإسماعيلية هو العقل الكلي والنفس الكلية ، والإمام هو ممثل العقل الكلي فهو الواحد الأحد الفرد الصمد .

ورمز إلى العقل الأول أو المبدع الأول عند الإسماعيلية بـــ (القلم) في الآية الكريمة "**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**" (القلم : ١) .

فالقلم هو الخالق المصور وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن بـــ (اللوح المحفوظ) ، وسمي العقل بالسابق وسميت النفس بالتالي وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية من جماد وحيوان ونبات وإنسان وما في السماوات من نجوم وكواكب[٧٧] .

---

(٧٦) انظر : أعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، ج٣١١/١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط/٨ ، ١٩٨٩ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٤٥-٥٠ ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م .

(٧٧) انظر : الحركات الباطنية في العالم الاسلامي، محمد أحمد الخطيب ، ص ٨٧-٨٨ ، مكتبة الأقصى ، عمان الأردن ، ط/١ ، ١٤٠٢هـــ-١٩٨٤م، نقلاً عن طائفة الإسماعيلية، محمد كامل حسين، ص١٥٨ .

وهذا ما يؤكده عبد الله الأمين في قوله : " فالعقل الأول أو المبدع الأول سموه القلم وهو الخالق الذي أبدع النفس الكلية فهو السابق والنفس هي التالي ... وبواسطتهما وجدت المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية فإذا ذكر الله عندهم فالمقصود به العقل الكلي" (٧٨).

نخلص مما سبق أن الإسماعيلية وغيرها من الفرق الباطنية خرجت عن عقيدة الأمة بإضافة خصائص الربوبية إلى المخلوقين كالإمام علي والعقل الكلي ، والإسلام بريء من أقوال هؤلاء المنحرفين الذين لعبت بهم الأهواء وتحكمت فيهم الشهوات فأفسدوا على العوام عقيدتهم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند فرق المشبهة :

إن (المشبهة) أصناف شتى منهم من شبه ذات الله وصفاته بذات وصفات غيره من المخلوقين ، ومنهم من شبه ذات وصفات المخلوق بذات وصفات الله عز وجل ، وهذا كله ضلال وانحراف عن منهج السلف الصالح ، ناقض لخصائص الربوبية ، ومن هذه الفرق(٧٩):

أولاً : الخابطية(٨٠) :

وهم أصحاب أحمد بن خابط كانوا يعتقدون أن للخلق إلهين أحدهما قديم، والآخر محدث وهو عيسى ابن مريم، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وهو المراد بقوله– بحسب زعمهم -

---

(٧٨) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، عبد الله الأمين ، ص ٦٥ ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـــ-١٩٨٦م .

(٧٩) من فرق المشبهة التي عندها خلل في توحيد الربوبية السبئية والمغيرية والمنصورية والحلولية والهشامية وغيرهم ، لمزيد من الاطلاع على هذه الفرق انظر : الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ص ٢٣٧-٢٤١ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة-بدون طبعة وتاريخ- ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الرازي ، ص ٦٣-٦٦ ، والملل والنحل ، الشهرستاني ، ج١/١٧٣-١٨٩ .

(٨٠) انظر : الملل والنحل الشهرستاني ، ج١/٦٠-٦١ ، والفرق بين الفرق ، البغدادي ، ص ٢٩٧ ، والتبصير في الدين للإمام أبي المظفر الأسفرايني ، ص ١٣٨ ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب، ط١ ، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م ، ومعجم الفرق الإسلامية ، د. عارف تامر ، ص ٤٩ ، دار السيرة ، بيروت ، طبعة ١٩٩٠ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ، أمير مهنا وعلي خريشة، ص ٨٩ ، ط٢ ١٩٩٤ ، المركز الثقافي العربي –بيروت .

تعالى: "**وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**" (الفجر: ٢٢)، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام يوم القيامة وذلك في قوله تعالى: "**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ**" (البقرة:٢١٠)، وهو المَعْني بقوله تعالى : " **أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** " (الأنعام : ١٥٨) ، وزعموا أنه هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله : " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته "[(٨١)] .

إن قولهم هذا افتراء على نبي الله عيسى – عليه السلام - مناقض لعقيدة أهل السنة والجماعة سلف الأمة، من أن عيسى عليه السلام بشرٌ لا يملك من خصائص الربوبية شيئاً كما قال تعالى: " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** " (المائدة : ١١٦-١١٧) .

ثانياً : البيانية :

وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي ، قالوا : إن الإله حل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واتحد بجسده فبه كان يعلم الغيب وإذا أخبر عن الملاحم صح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر[(٨٢)] .

وقد ادعى بيان بن سمعان لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية وزعم أنه هو المذكور في القرآن في قوله تعالى : " **هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** " (آل عمران : ٣٨) وقال : أنا البيان وأنا الهدى والموعظة[(٨٣)] .

نخلص مما سبق أن فرق المشبهة أشد انحرافاً من عبدة الأصنام الذين أضافوا الربوبية لأئمتهم ، وهذا ضلال وهوى تركوه يتحكم في أفكارهم وعقائدهم ، فعيسى - عليه السلام - بريء من افتراءاتهم ، وبيان بن سمعان ضلل الناس بكذبه وافترائه رغبة منه في الرياسة والزعامة والإسلام بريء من هؤلاء وأمثالهم .

---

(٨١) صحيح البخاري ، ج١/٢٠٣ ، ح ٥٢٩ .

(٨٢) انظر الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج١/١٥٢ ، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبي الحسن الأشعري ، ص ٥ ، دار النشر فرانز شنايز بفيسبادون ، ط/٣ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

(٨٣) انظر الفرق بين الفرق ، البغدادي ، ص ٢٥١ ، وجامع الفرق والمذاهب الإسلامية ، أمير مهنا وعلي خريشة، ص ٥١ .

المبحث الثالث

أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الأمم الوثنية

التوحيد هو الأساس الذي قام عليه هذا الكون ، قال تعالى : " **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ** " (البقرة : ٢١٣) .

وعندما تدخل الهوى انحرفت البشرية عن التوحيد الخالص ، واتبعت أهواءها الفاسدة وآراءها الضالة ، فأرسل الله الرسل وكان أول رسول للأرض هو نوح عليه السلام ، فلمَّا لم يستجيبوا لنداء الفطرة وأصروا على أهوائهم وشهواتهم أغرقهم الله بالطوفان فلم يبق على الأرض إلا الموحدون ، ثم عاد الإنسان إلى اتباع الهوى فانزلق في متاهات الشرك فأشرك الناس بالله واتخذت الأمم أرباباً لها من دون الله تمثلت في أجسام وأشكال مختلفة ، وأهالوا عليها نسيجاً من الخرافات والأوهام والأساطير ووقعت منهم موقع القداسة فاعتقدوا أنها تنفع وتضر فمنهم من اتخذ البحر رباً لكي يجود عليه بالنفع ويدفع عنه آفاته وغوائله كالطوفان في حين هوى قوم آخرون أن يتخذوا الأرض رباً فعبدوها لتفيض عليهم بمنافعها وتدفع عنهم مضارها كالزلازل وما شابه ذلك .

وهوى قومٌ من بلاد الشرق الأقصى كالهند والصين واليابان أرباباً أخرى فتعددت الأرباب عندهم كلٌ يتخذ رباً بما يمليه عليه هواه وما يظن أن فيه جلب لمنفعة أو دفع لمضرة فأخذت كل أمة تختار لها رباً من الطبيعة ظناً أن هذا الرب سيساعدها في مواجهة قوى الطبيعة الغاضبة .

فكثرت الآراء والأهواء فاشتهرت هذه المنطقة وخاصة الهند بكثرة الأرباب والتصورات المنحرفة فاتخذوا الشمس والأرض والمطر والريح والبقر أرباباً من دون الله ، وصنعوا لها أصناماً وأوثاناً ونصباً .

أما المجتمعات الأخرى كاليونان والرومان فقد اتخذوا أرباباً مختلفة كالأنثى والحب والجمال والسماء والبحر وجسدوا هذه الأرباب بالصور البشرية حسب ما تهواه نفوسهم وما تتصوره عقولهم الضالة المنحرفة .

وأما المصريون القدماء فقد تعددت كذلك عندهم الأرباب فاتخذوا الحيوانات كالتماسيح والغزلان والظباء والثيران والسباع والذئاب وجسدوا لكل هذه الأرباب تماثيلاً وأصناماً .

إن التاريخ مليء بالعقائد والتصورات والفلسفات والأساطير والأوهام والخرافات التي تنبع من الأهواء المتناقضة المختلفة ، فجاء الإسلام العظيم وأنقذ الإنسان من هذا التخبط والانحراف فبين ووضح الصورة المشرقة للإله الحق القائم على التوحيد الخالص .

ومن كل ما سبق سيقوم الباحث بعرض بعض النماذج لهذه الأمم الوثنية .

المطلب الأول: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند المصريين القدماء[1]:

من بين الأرباب التي اتخذها المصريون القدماء " الرب بتاح " ذلك في (منف) أي في مكان قرب مدينة القاهرة .

فقد وضعوا له تمثالاً على شكل إنسان برأس عارية لا تحمل أي شارة خاصة واضعاً يديه فوق صدره وممسكاً بصولجان ، فاعتقد المصريون أن هذا الرب هو خالق الفنانين وصانع الفخارين وأنه هو الذي خلق الدنيا ثم تطور هذا الاعتقاد حتى اعتقدوا أنه منه خرجت جميع المخلوقات فهو أب لجميع الآلهة ، فهو الإله العظيم صاحب البداية الأولى .

وتقول تعاليم (منف) الكهنوتية : إن (بتاح) خلق من نفسه ثمانية آلهة أخرى سميت باسم (بتاح) .

ويقولون في تعاليمهم أن كل الآلهة خرجت من (بتاح) وبذلك أصبح (بتاح) جد كل الآلهة وبدء كل ما كان في البداية فهو صانع كل ما في الكون .

يتبين من خلال هذا العرض أن هؤلاء القوم أعطوا (بتاح) صفة الخلق إذ وصفوه بأنه خالق وهذه صفة من صفات الربوبية وهي لله وحده وأنكروها على الله سبحانه وتعالى قال تعالى : " **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " (البقرة : ٢٩) .

---

(١) انظر موسوعة عالم الأديان ، في كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم، مجموعة كبار الباحثين ، مفرج ، ج٣/٢٤-٢٧ ، ٢٠٠٤ ، والملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٢/٤-٧ ، وانظر الديانات والعقائد في مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار ، ج١/٣١١-٣١٤-٣٣٧ ، ط١ ، ١٤٠١هـ-١٩٩١م ، مكة المكرمة.

إن هؤلاء اتبعوا أهواءهم وشهواتهم فضلوا وصدق فيهم قوله تعالى : " **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** " (ص : ٢٦) ، واتخذ المصريون آلهة أخرى مشهورة عندهم هو الإله (رع) في منف وصنعوا له تمثالاً كان رأسه يمثل صقراً يعلوه قرص شمس وكان الناس يهتفون له تباركت يا رع يا خالق السماوات والأرض يا مرسي الجبال وساقي البحار...(٢) إلى غير ذلك من الدعوات .

وكان المصريون يقولون أن " رع " حين خلق بقية الآلهة كان يجلس عالياً وهو خالق السماء وخالق الأرض وهو شمس الصيف ووهج الظهيرة وهو النور والظلام ومرسي الجبال ومجري البحار وهو يتولد منه الليل والنهار وكانوا يصفونه بالملك فيقولون : " أنت أيها الملك رع المبارك أيها المسيطر على العالم أنت يا غنياً في قوته وممتلئاً في بطشه ، الحمد لله يا خالق الآلهة يا رافع السماوات ويا باسط الأرض يا إله الكل الذي خلق الأبدية أنت الذي خلق كل شيء موجود أنت ترزق الأسماك في النهر والطيور تحت السماء "(٣) .

إن المصريين القدماء قد أعطوا (رع) صفة الخلق والرزق والملك وهذا يتبين من أناشيدهم وأقوالهم وهذه كلها صفات الربوبية وهي لا تجوز إلا لله وحده فهو الخالق وهو الرازق وهو الملك ولكن هوى لهم أن يجعلوا لهم وثن وسموه (رع) فتارة يقولون (بتاح) خالق وتارة يقولون (رع) خالق ، لا يستقرون على حال يتخبطون لأنهم انحرفوا عن التوحيد الحق فصدق قول الله فيهم " **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** " (الحشر ، ١٩) .

عبدوا كل ما تحلو لهم نفوسهم وبذلك كثرت الأرباب على حسب المصالح والمنافع والمضار فانحرف سلوك الأفراد وانهارت المجتمعات وكل ذلك كان مرده اتباع الهوى والشهوات .

المطلب الثاني: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند ديانات الشرق الأقصى:

كانت ديانات الشرق الأقصى كثيرة ومتعددة لاختلاف القوى الطبيعية وظواهرها وسيكتفي الباحث بذكر مثال على ذلك .

---

(٢) انظر : موسوعة عالم الأديان ، مفرج وآخرون ، ج٣١/٣ .

(٣) الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٧/٢ .

*** البراهمية[٤] :**

وهي من أشهر الديانات الهندوسية ولا تزال أوسعها انتشاراً وهي الديانة الرسمية في الهند .

وأطلقوا على ديانتهم البراهيمة نسبة إلى (براهما) ، فقالوا (براهما) هو القوة العظيمة السحرية الكامنة .

وتنسب الهندوسية خلق الحياة إلى (براهما) بقوله : " أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض ، وأرفع من كل هذه الأجرام والكواكب حولي ، أنا أعلى من جميع هذه الأشياء ، أنا الكل في الكل ، أفعل ما أريد وأخلق ما يخطر لي ، أنا جوهر هذا العالم الواحد الشامل ، لست بالذكر ولا بالأنثى إنما أنا روح غير مشخص في صفاته أحتوى كل شيء وأكمن في كل شيء لا تدركني الحواس لأني أنا حقيقة الحقيقة أنا ... براهما "[٥] .

ويقول البراهمة : " اقتضت حكمة (براهما) الذي لا يدركه إلا العقل أن يُبرز من مادته المخلوقات المختلفة فأوجد الماء أولاً ووضع جرثومة فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب ... ثم صنع السماء والأرض والكائنات ... وعين لكل كائن اسمه وخلق عدداً عديداً من الآلهة وخلق طائفة غير مرئية من الجن ، وخلق الزمان وأساسه والكواكب والأنهار والبحار والجبال "[٦] .

وهكذا نرى أن البراهمية ينسبون إلى (براهما) الخلق وهذا مناقض لقوله تعالى: " **إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (الأعراف ، ٥٤) .

فالله هو خالق السماء والأرض والأنهار والنجوم والكواكب وكل شيء وهذا هو توحيد الربوبية ولكن نرى أن الهوى وميل النفس حرف البراهمية عن هذا التوحيد الخالص إلى متاهات الشرك فنقضوا توحيد الربوبية عندما ادعوا أن (براهما) خلق السماء والأرض والأنهار والبحار.

---

(٤) انظر موسوعة عالم الأديان ، مفرج وآخرون ، ج٤/٢٤-٢٦ ، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية الحية في المشرقين الأدنى والأقصى د. محمد العريبي ، ج٣/٦٠ ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥ ، والديانات والعقائد ، عطار، ج١/٩٤-٩٥ ، والموسوعة الميسرة ، ص ٥٣٤ ، الندوة العالمية .

(٥) موسوعة عالم الأديان ، مفرج وآخرون ، ج٤/٢٦ .

(٦) مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج ٤/ ٥٦ ، ط/٥ ، ١٩٧٨ .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الفرس :

لقد كثرت الديانات والعقائد عند الفرس كالثنوية والمذدكية والمانوية وغيرها وسيكتفي الباحث بنموذج يبين فيه انحراف الفرس عن توحيد الربوبية .

*** الثنوية :**

" وهم أصحاب الاثنين الأزليين حيث يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان "(٧) .

يقول ابن القيم: الثنوية أثبتوا إلهين وربين وخالقين فجمعوا بين الكفر بالله تعالى وأسمائه وصفاته ورسله وأنبيائه وملائكته وشرائعه وأشركوا به أعظم شرك .

فهم يقولون إن صانعي العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة ، وأن النور تتولد ملائكة والظلمة تتولد شياطين(٨) .

يتبين من خلال النظر في عقائدهم أنهم أضافوا صفة الخلق تارة للنور وتارة للظلمة فالنور تتولد منه ملائكة وهي تمثل الخير ، والظلمة تتولد منه إبليس وهو يمثل الشر .

إن الثنوية تعيش في تخبط وجهل؛ لأنهم يتبعون أهواءهم وهذا حال كل من اتبع هواه، قال تعالى: "**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** " (الجاثية، ٢٣) .

فالخلق صفة خاصة لله وحده ، وهو خالق كل المخلوقات قال تعالى : " **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** " (الزمر ، ٦٢) وقال تعالى : " **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " (الأعراف : ٥٤) .

المطلب الرابع: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النمرود وفرعون:

أولاً : النمرود :

لقد حكى القرآن الكريم محاجة إبراهيم للنمرود(٩) فقال تعالى : " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـــي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا**

---

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ج٢/٨٠ .

(٨) انظر إغاثة اللهفان ، ابن قيم الجوزية ، ص ٥٨١-٥٨٢ . وتلبيس ابليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ، ص ٤٤-٤٥ ، مكتبة المتنبي القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

(٩) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر بن عواض الألمعي ، ص ١٤٦ ، ط٣ ، الرياض ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، والبداية والنهاية ، أبي الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي ، ج١/١٧١-١٧٢ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٢/٢٤٤ .

أُحْيِـــي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (البقرة ، ٢٥٨) .

من خلال هذا النص القرآني نرى أن النمرود بلغ به الهوى إلى أن يتصور نفسه أنه رب ، فادعى الربوبية وأخذ يصف نفسه بأنه يحيي ويميت، ولما دعاه إبراهيم -عليه السلام- إلى عبادة الله وحده حمله الجهل والضلال والكبر والهوى إلى ما سلكه من تبجح في ادعاء الربوبية.

إن النمرود عندما ادعى الربوبية ادعاها لهوى في نفسه فهو يعلم إنه لا يخلق ولا يحيي ولا يميت ولا يملك شيئاً من ذلك ولكنه التعصب والانتصار لهوى النفس الذي أهلكه وأهلك كثيراً من الأمم السابقة .

إن صفة الإحياء والإماتة هي من أبرز المظاهر الدالة على ربوبية الله قال تعالى : "**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** " (تبارك ، ٢) .

وأن من ادعى لنفسه أو لغيره القدرة على الإحياء والإماتة فقد تعدى على صفات الله وبذلك خرج عن التوحيد الخالص .

ثانياً : فرعون :

ادعى فرعون الربوبية لنفسه ، قال تعالى : " **فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** " (النازعات ، ٢٣-٢٤) .

لقد أدرك فرعون أن ادعاءه الربوبية ليس أمراً سهلاً لتهضمه العقول ولكنه الهوى والكبر وحب الزعامة والرياسة ، أدرك فرعون أن في القصر من هو أكبر منه سناً وشهدوا ولادته ولهم فضل عليه في تربيته حتى أصبح فرعون مصر[١٠] ، فهو القاصر المحتاج لغيره من البشر فكيف يدعي أنه رب البشر جميعاً ورب كل شيء سواهم .

وذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى "**فَحَشَرَ فَنَادَى* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**" (النازعات، ٢٣-٢٤) أي لا رب لكم فوقي وقال عطاء: إنه صنع لهم أصناماً صغاراً وأمرهم بعبادتها فقال أنا رب أصنامكم وقيل أراد القادة والسادة هو ربهم وأولئك هم أرباب السفلة[١١] .

إن القرآن الكريم فضح فرعون وقومه الذين أصروا على اتباع أهوائهم وعدم الإيمان بالتوحيد الخالص ، قال تعالى : " **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** " (النمل ، ١٣-١٤) ، فبين الله ما كان فرعون وقومه يخفونه من الحق ولكنه الاستكبار والجحود والنكوص عن الحق .

---

(١٠) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ، الألمعي ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(١١) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج١٠/١٦٧ .

المبحث الرابع
أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود

إن المتتبع لدعوة موسى - عليه السلام - يجد أن دعوته قائمة على التوحيد الخالص توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، ولكن عقيدة التوحيد التي نادى بها سيدنا موسى – عليه السلام - لم تستمر طويلاً ، حيث إن اليهود لم يألوا جهداً في محاربة التوحيد الخالص ، ولم يدخروا وسعاً في تحطيم الحق ، لأنه يعارض أهواءهم وشهواتهم ، ولقد ضل اليهود في حياة موسى وبعدها ، ومن ضلالاتهم وانحرافاتهم أنهم أضافوا خصائص الربوبية لغير الله ، فتارة يضيفون بعض هذه الخصائص إلى آدم ، وتارة إلى أحبارهم ورهبانهم ، وتارة إلى الأصنام والتماثيل ، وتارة إلى بعل إله الكنعانين ، وهذه بعض الأمثلة التي تبين انحراف بني إسرائيل عن توحيد الربوبية ، وقد قسم الباحث هذا المبحث إلى أربعة مطالب وهي كما يلي :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في آدم عليه السلام :

جاء في سفر التكوين: " وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد " (تكوين ٣: ٢٢) .

يقول ابن حزم : " حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثير من خواص اليهود إلى الاعتقاد ، إن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق "[١٢] .

ويقول (علي وافي) " إن الإنسان بذلك قد أصبح أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح فكان لزاماً على الرب أن يطرده من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى وهي شجرة الخلد فيكفل لنفسه أرقى صفات الآلهة وهو البقاء "[١٣] .

---

(١٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الإمام ابن حزم ، ج١/١٢٠-١٢١ .

(١٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٧-٢٨ ، دار النهضة مصر، يونيو ١٩٩٦ .

يتبين من خلال نص التوراة (أصبح كواحد منا يعلم الخير والشر) أنهم رفعوا آدم إلى مرتبة الربوبية فأصبح يعلم الخير والشر ؛ لأنه أكل من شجرة المعرفة وهذا ناقض لتوحيد الربوبية حيث إنه لا يعلم الخير والشر والنفع والضر إلا الله سبحانه وتعالى .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في أحبارهم ورهبانهم :

من انحرافات اليهود في توحيد الربوبية أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، قال تعالى : " **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ** " (التوبة : ٣١) .

يذكر ابن عاشور أنه قد حصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لأحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم ومعنى ذلك أنهم اتخذوهم أرباباً دون أن يفردوا الله بالوحدانية[١٤] .

ولعل اتخاذ اليهود أحبارهم أرباباً من دون الله يتجلى أعظم ما يتجلى في تقديسهم للتلمود وتفضيلهم ما جاء به من أقوال أحبارهم على أحكام الله فهم يعتبرون أن التلمود أفضل من التوراة فقالوا : من قرأ في التوراة بدون (التلمود) فليس له إله[١٥] .

وقد جاء في التلمود[١٦] " أن أحد مؤسسي شريعة اليهود كان في إمكانه أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل آخر ، وكان يخلق كل ليلة عجلاً عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر وكانا يأكلان منه معاً ، وكان أحد الحاخامات يحيل القرع والشمام إلى غزلان "[١٧] .

وجاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع في سنة ١٥٠٩ : إعلم أن أقوال الحاخامات مثل الشريعة ؛ لأن أقوالهم : هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدقه[١٨] .

---

(١٤) انظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، المجلد السادس ، ج ١٧٠/١٠ ، دار سحنون للنشر ، تونس ، بدون طبعة وتاريخ .

(١٥) انظر تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، فتحي محمد الزغبي ، ص ٧٣٠ ، ط/١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، دار البشير، مصر طنطا .

(١٦) تعني لفظة التلمود في اللغة العبرية الدراسة أو التعليم وتشير إلى كتاب تعاليم ديانة اليهود وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية لليهود أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) . انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المسيري ، ج١٢٥/٥ .

(١٧) الكنز المرصود في فضائح التلمود ، د. محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٧٥ ، دار الفكر العربي ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، نقلاً عن التلمود سنهدريين ، ص ٢ .

(١٨) انظر : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

لقد كشف القرآن الكريم سوأة الأحبار والرهبان وأنهم يميلون إلى أهوائهم وشهواتهم بعد سماع الحق وتبيانه ، فيحرفوه ويضلوا الناس عن عقيدة التوحيد ، قال تعالى : " **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** " (البقرة : ٧٥) .

وقال تعالى : " **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** " (الجاثية : ٢٣) .

نعم إن الأحبار والرهبان اتخذوا أهواءهم آلهة فضلوا على علم واتبعوا ما تمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم فلم يعد يمنعهم دين ولا خلق عن فعل ما يريدون .

إن اتباع الهوى خلع نفوس الأحبار والرهبان من القيود الشرعية وغمسها في أنواع الملذات والشهوات والانحرافات المختلفة والعقائد الضالة .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في العجل:

من انحرافات اليهود في توحيد الربوبية أنهم أضافوا صفة النفع إلى عجلهم المزعوم، كما نسبوا إلى (هارون) صناعة العجل الذهبي ، كما جاء في سفر الخروج (فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى (هارون) فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقال هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر) (خروج ٣٢:٣-٥).

يتبين من خلال ما سبق أنهم أضافوا صفة النفع إلى العجل عندما اعتقدوا أنه هو الذي أخرجهم من مصر ونجاهم من ظلم الفراعنة والله سبحانه وتعالى يقول " **أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**" (طه: ٨٣).

إن إضافة النفع إلى تمثال من ذهب ناقض من نواقض توحيد الربوبية وانحراف عن عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى - عليه السلام - .

المطلب الرابع: أثر الهوى على توحيد الربوبية عند اليهود في (بعل) (١٩):

أضاف العبرانيون لبعل إله الكنعانيين خصائص الربوبية فكانوا يرون أنه مانح الخصوبة (إله الطبيعة) لذا كانوا يلجؤون إليه في حياتهم اليومية لشفاء مرضاهم كما حصل مع (أخزيا)

---

(١٩) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب محمد المسيري، ج٤/١٥٥، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩. و بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران ، ج٤/٤٤٠ ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ ، الاسكندرية، بدون طبعة وتاريخ .

ملك إسرائيل سنة ٨٤٣ ق.م عندما مرض وطلب منهم أن يذهبوا لبعل ليسألونه الشفاء . (وسقط أخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب إله عقرون إن كنت أبرأ من هذا المرض ، فقال ملاك الرب لإيلياء التشيب : قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم : أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ، ولذلك هكذا قال الرب أن السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت) (ملوك ثاني ١: ١-٤) .

يتبين مما سبق أنهم كانوا يعتقدون أن (بعل) الصنم الشافي ، وهذه صفة من صفات الربوبية لا تليق إلا لله ولا يجوز إطلاقها إلا على الله سبحانه ، لأن الله هو الرازق وهو الشافي.

نخلص مما سبق أن اتباع الهوى أصبح صفة دائمة في نفسية اليهود ، إذ أن نفوسهم معطلة الحواس للخير والحق ، نشطة في الباطل والضلال والانحراف والهوى ، فاعتقادهم في آدم وفي رفع أحبارهم ورهبانهم إلى مرتبة الربوبية وعبادتهم العجل واعتقادهم في بعل أنه يملك الشفاء كل ذلك نقض لتوحيد الربوبية؛ لأن من مقتضيات توحيد الربوبية الإيمان المطلق بأن الله هو المحيي والمميت والمعطي والنافع والضار والناصر والخالق ، وهم بإطلاقهم هذه الصفات لغير الله نقضوا توحيد الربوبية.

المبحث الخامس

أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى

إنَّ رسالة عيسى - عليه السلام - هي امتداد لرسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء والرسل - عليهم السلام - ، وهو التوحيد الخالص لله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولكن النصرانية انحرفت وانتقلت من التوحيد إلى الشرك ، عندما تأثروا بوثنيات الأمم السابقة كالمصريين القدماء والبوذية وغيرها ، وجرى النصارى خلف أهوائهم وشهواتهم وحرفوا التوحيد الخالص فأضافوا إلى عيسى خصائص الربوبية من غفران الذنوب ، والإحياء وشفاء المرضى والرزق والخلق وغير ذلك من الانحرافات العقدية التي تزخر بها كتب النصارى ، وسيتطرق الباحث من خلال هذا المبحث إلى ما يلي :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة غفران الذنوب لغير الله :

ضل النصارى بإضافة غفران الذنوب إلى المسيح باعتباره إلهاً وإلى الرهبان من رجال الكنيسة باعتبارهم مفوضين من المسيح عليه السلام فقالوا : " إن المسيح هو الذي يغفر الذنوب ؛ لأنه هو الله وإنسان معاً ، لأنه لو لم يكن المسيح إنساناً حقيقياً ما كان يصلح لأن يكون ذبيحة عن الخطية ، ولو لم يكن هو الله ما كانت ذبيحته تكفي لأجل الجميع "[٢٠] .

يقول (يوسف رياض) : " إن المسيح غافر الخطايا في حياته كما جاء في إنجيل مرقص (قال للمفلوج يا بني مغفورة لك خطاياك) (٢: ٦) ، وجاء في إنجيل متى (فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بني مغفورة لك خطاياك) (متى ٩: ٢) "[٢١] .

من خلال نصوص الأناجيل نجد أن النصارى أضافوا غفران الذنوب إلى المسيح - عليه السلام - باعتباره إلهاً في حين أن القرآن الكريم بين لنا أن عيسى عليه السلام ما هو إلا بشرٌ رسولٌ لا يملك أن يغفر ذنوب أحد أو خطاياه ، فالله وحده الذي يغفر الذنوب والخطايا ، أما المسيح - عليه السلام - لا يملك إلا الدعاء لهؤلاء المذنبين بأن يغفر الله لهم،

---

(٢٠) كتاب خمس حقائق عن المسيح ، ناشد حنا ، ص ٣٩ ، ط٢ ، ١٩٩٨ .

(٢١) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ، يوسف رياض ، ص ٦٨ ، بدون طبعة وتاريخ.

قال تعالى على لسان عيسى : " **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (المائدة: ١١٨) .

ولم يكتف النصارى بإضافة غفران الذنوب إلى عيسى - عليه السلام - بل أضافوا غفران الذنوب لرجال الكنيسة ، وهذا ما قرره مجمع رومية الذي عقد سنة ١٤٢٥هـ وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[٢٢] .

وهكذا نرى أن رجال الكنيسة قد انحرفوا انحرافاً كبيراً ، عندما جعلوا مغفرة الذنوب سلعة تباع وتشترى ، وكأن ذلك إذنٌ منهم للعصاة بأن يرتكبوا المعاصي والموبقات ، وينجرفوا خلف الأهواء والشهوات ما دام ذلك يفتدى بالمال .

وهذا جزءٌ من نص صك الغفران :

(ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقك آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والعائلات الكنسية التي استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها ، مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة ... وامسحوا جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ...)[٢٣] .

وطبيعي أن من يملك حق الغفران يملك حق الحرمان ، فأصبح البابا إذا أراد أن يبني كنيسة أو مجمعاً كنسياً لأي شيء طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب[٢٤] .

يتبين من خلال النظر في نص صك الغفران أنه يفسح المجال للعصاة لارتكاب ما يشاءون من المعاصي والآثام وارتكاب الجرائم لأن من يشتري صك الغفران تغفر له ذنوبه بمجرد أن يمسح الكاهن على رأس العاصي المذنب ويباركه بعد أن يدفع للكاهن ما يطلبه من المال نظير هذا الغفران .

وخلاصة القول أن صكوك الغفران والحرمان هي مظهر من مظاهر تلاعب النصارى وعبثهم في عقيدتهم وتشريعهم تبعاً لأهوائهم ، لأن النصارى يعتدون على حق من

---

(٢٢) انظر مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج١٩٨/٢ .

(٢٣) محاضرات في النصرانية ، الإمام محمد أبو زهرة ، ص ١٥٧-١٥٨ ، دار الفكر العربي القاهرة ، مطبعة المدني ، بدون طبعة وتاريخ.

(٢٤) انظر مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج٢٥٢/٢-٢٥٤ .

حقوق الربوبية ألا وهو غفران الذنوب ، فالله وحده الذي يملك هذا الحق ، قال تعالى : "**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـــهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** " (التوبة : ٣١) .

فغفران الذنوب صفة من صفات الله ومن يَدَّعِ أنه يغفر الذنوب والخطايا فهو مشرك بالله عز وجل .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الإحياء لغير الله :

أضاف النصارى لعيسى - عليه السلام - إحياء الموتى باعتباره ابن الله ، جاء في إنجيل يوحنا (كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً من يشاء) (يوحنا ٥: ٢١) .

وجاء في يوحنا (الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) (يوحنا ٥: ٢٥) .

وجاء في إنجيل مرقص (لما جاء إلى بيت رئيس المجمع وكانت صبية قد ماتت فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون ، لم تمت الصبية لكنها نائمة فضحكوا عليه ، أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي وللوقت قامت الصبية ومشت) (مرقص ٥: ٣٩-٤٢) .

استخلص النصارى من النصوص السابقة ، أن عيسى - عليه السلام - يملك إحياء الموتى والذي يملك الإحياء يملك الإماتة وذلك كله بفعل الطبيعة اللاهوتية التي فيه لأنه ابن الله ، لكن القرآن الكريم رد فريتهم على عيسى - عليه السلام - ، حيث بين الله سبحانه وتعالى أن إحياء عيسى - عليه السلام - الموتى كان بإذن الله ، فالمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير ولكن الإحياء الذي جرى على يد عيسى - عليه السلام - إنما هو آية ومعجزة أيد الله بها عيسى ليدل على صدق دعوته ورسالته ، قال تعالى : " **وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي** " (المائدة : ١١٠) .

وقال تعالى على لسان عيسى : " **وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ** " (آل عمران : ٤٩) .

فالنصارى قد غالوا غلواً كبيراً فأعطوا صفة الإحياء لعيسى تبعاً لأهوائهم وانحرافاً عن عقيدة التوحيد الخالصة التي جاء بها عيسى - عليه السلام - .

قال تعالى : " **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ** " (المائدة : ٧٧) ، فالله سبحانه ينبه النصارى أن يخرجوا من خضم هذا الانحراف واتباع الهوى إلى عقيدة التوحيد .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة شفاء المرضى لغير الله :

لقد خلطت الأناجيل بين معجزات عيسى - عليه السلام - الدالة على نبوته وبين إضافة الربوبية للمسيح فنسبت إلى عيسى عليه السلام أنه الشافي للمرضى بقدرته وإرادته .

جاء في إنجيل متى (ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية في عبر الأردن وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك) (متى ١: ٢) .

وجاء في إنجيل مرقص (فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرني ، فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهره) (مرقص ١: ٤٠-٤٢) .

وجاء في إنجيل مرقص أن عيسى قال للمفلوج (لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل) (مرقص ٢: ١١) .

وجاء في مرقص أن أعمى أخذ يصرخ ويقول (يا يسوع بن داود ارحمني ... فصرخ أكثر كثيراً يا ابن داود ارحمني ، فوقف يسوع وأمر أن يُنادى ... فقال له الأعمى يا سيدي أن أبصر فقال له يسوع اذهب إيمانك قد شفاك فللوقت ابصر وتبع يسوع في الطريق) (مرقص ١٠: ٤٦-٥٢) .

يتضح مما سبق أن النصارى استدلوا من قيام المسيح بشفاء المرضى دليل على وجود طبيعة لاهوتية فيه ، ولكن القرآن الكريم بين لنا أن إبراء الأكمه والأبرص كان كله بإذن الله ، قال تعالى : "**وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي** " (المائدة : ١١٠) .

وقال تعالى على لسان عيسى : " **وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ** " (آل عمران : ٤٩) .

إن إبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى آيات ومعجزات دالة على نبوة عيسى -عليه السلام - وتصديقاً له في رسالته ولكن النصارى افتتنوا وانحرفوا واتبعوا أهواءهم فقدسوا عيسى - عليه السلام - حتى رفعوه إلى درجة الألوهية فقالوا : إنه فعل ذلك بقوته غير المحدودة باعتباره أنه ابن الله ، وعليه فإن إضافة شفاء المرضى إلى أي مخلوق دون اليقين بأن ذلك بإذن الله وقدرته ناقض لتوحيد الربوبية لأن الشافي هو الله وحده لا شريك له .

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الرزق لغير الله:

أضاف النصارى إعطاء الرزق إلى المسيح - عليه السلام – باعتباره إلهاً ، كما جاء في إنجيل متى على لسان تلاميذه (فقالوا له ليس عندنا هاهنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتوني بها إلى هنا ، فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره إلى السماء وبارك وكسر وأعطى للتلاميذ ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا) (متى ١٤: ١٧-٢٠) .

من خلال هذا النص يستدل النصارى على أن المسيح رب يرزق من يشاء بغير حساب وهذا يخالف توحيد الربوبية ويجافي الحقيقة إذ أن المسيح رفع نظره نحو السماء كما هو واضح، وأن المسيح بارك أي دعا ربه بحصول البركة ، والنتيجة أن المعجزة أجريت على يد المسيح –عليه السلام - بقوة الله إكراماً له أمام الناس ولا شيء أكثر من ذلك(٢٥) .

وعليه فالمسيح بشر كباقي البشر يطلب ويتضرع لربه في طلب البركة والرزق وتفريج الكربات ، فاستجاب الله له إكراماً ونصرةً ليثبت نبوته ورسالته أمام الناس ولقد بين القرآن الكريم ضلالهم وافتراءهم بإضافة إعطاء الرزق إلى المسيح أو غيره من المخلوقات حيث قال تعالى : "**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** " (الذاريات : ٥٨) ، وقال تعالى : "**وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ** " (البقرة : ٢١٢) .

فالعبد لا يملك إعطاء الرزق إنما ذلك من خصائص الربوبية كما أن حواري عيسى يعلمون علم اليقين أن عيسى ليس رباً ولم يكن يملك الرزق إلا بإذن الله وهذا ما شهد به الحواريون ، وذلك حين طلبوا أن ينزل عليهم مائدة من السماء لم يطلبوها من عيسى لأنهم يعرفون أن عيسى لا يقدر على هذه الخارقة ، قال تعالى على لسانهم : " **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء ...** " (المائدة : ١١٢) .

---

(٢٥) انظر النصرانية في الميزان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٢١٢ ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

وهنا يتوجه عيسى بالدعاء إلى الله ، قال تعالى : " **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** " (المائدة : ١١٤) .

فالآيات تدلل على أن عيسى كان يطلب من ربه أن يرزقه ويرزق قومه مائدة يأكلون منها ويشربون كآية دالة على نبوته ورسالته ، وليس دالة على ربوبيته لأنه عبد مربوب لربه، فإضافة الرزق إلى عيسى - عليه السلام - كما فعل النصارى يناقض توحيد الربوبية وهذا هو الهوى الذي درج عليه النصارى في نقضهم لأنواع التوحيد الأخرى .

المطلب الخامس : أثر الهوى على توحيد الربوبية عند النصارى بإضافة الخلق لغير الله :

أضاف النصارى الخلق للمسيح - عليه السلام - باعتباره رباً خالقاً كما جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي (فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض وما يُرى وما لا يُرى... الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل) (كولوسي ١: ١٦) .

وجاء في إنجيل يوحنا (كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) (يوحنا ١: ٣)، وجاء في الرسالة إلى العبرانيين (كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين) (رسالة إلى العبرانيين ١: ١) .

وحاول النصارى أن يستشهدوا من نصوص القرآن الكريم على صفة الخلق لعيسى المسيح عليه السلام قال تعالى : " **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ...** " (المائدة : ١١٠) .

قالوا إن الآية فيها إشارة إلى الخلق وهذا يؤيد ما جاء في أناجيلنا .

ولقد رد عليهم (ابن تيمية) بوجوه منها[٢٦] :

---

(٢٦) لمزيد من الاطلاع انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، ج٣٣٧/٢-٣٤١ ، قدم له وعلق عليه علي صبح المدني ،مطبعة المدني القاهرة ط١ سنة ١٤٢٢هــ ،٢٠٠٣م .

١- إن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاماً كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى فأول ما نزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** " (العلق : ١-٢) ، وقال تعالى : " **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (الحشر : ٢٤) ، فذكر نفسه الخالق البارئ المصور ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولا نبياً ، وكذلك قال تعالى : " **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** " (الزمر : ٦٢) ، وقوله تعالى : " **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " (الأنعام : ١٠١)، ووصف نفسه بأنه رب العالمين ، وأنه مالك يوم الدين ، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بشيء من الخصائص التي يختص بها التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى ، وأما المسيح فقد قال فيه : " **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي** " (المائدة : ١١٠) ، والمسيح قال عن نفسه " **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ ...** " (آل عمران : ٤٩) ، فلم يذكر إلا خلق شيء معين خاص بإذن الله ، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك ؟.

٢- أنه خلق من الطين كهيئة الطير والمراد تصويره بصورة الطير ، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس ، والمعجزة أن ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله عز وجل وليس المعجزة خلقه من الطين .

٣- أن الله أخبر أن المسيح إنما فعل التصوير والنفخ بإذن الله تعالى .

٤- أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه فإنهم يقولون هو إله واحد وهو الخالق ، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه .

ويذكر (حسن الباش) : إذا كان المسيح خلق كل شيء فهذا يعني أنه خلق الشيطان فكيف يمكن أن يكون قد خلق الشيطان وفي نفس الوقت الشيطان يقوم بتجريب المسيح وامتحانه ، فقد جاء في إنجيل متى (ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرب من إبليس فبعد أن صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً) (متى ٤: ١-٤) ، فكيف يصح أن يجرب المخلوق الخالق.

ثم إذا كان المسيح قد خلق الملائكة ومن ضمنها جبريل الذي بشر مريم بحملها بالمسيح فكيف يبشر جبرائيل بغلام زكي وفي نفس الوقت يكون جبريل مخلوقاً من قبل هذا المسيح(٢٧) .

نخلص مما سبق أن النصارى أضافوا صفة الخلق إلى المخلوق فكيف نتصور إلهاً يطلب الإذن بالخلق ، ويرضا بأن يجرب من مخلوق ، إن القرآن الكريم ينكر أشد الإنكار على النصارى قولهم بأن يكون المخلوق خالقاً وينفي أن يصير المخلوق إلهاً، قال تعالى : " **وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ** " (الزخرف : ١٥)، ولكن النصارى انحرفوا واتبعوا أهواءهم فعقدوا مجامعهم ليجعلوا عيسى رباً خالقاً تارة ، وابن الله تارة أخرى ، فإذا كان عيسى خالق كل شي فما الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

(٢٧) انظر العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، حسن الباش ، ج٢/٥٤ ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، دار قتيبة، دمشق .

الفصل الثاني

أثر الهوى على توحيد الألوهية

المبحث الأول : توحيد الألوهية في الإسلام :

المطلب الأول : تعريف الألوهية .

المطلب الثاني : أهمية توحيد الألوهية .

المطلب الثالث : منهج القرآن في بيان توحيد الألوهية .

المطلب الرابع : الأسس التي يقوم عليها توحيد الألوهية .

المطلب الخامس : نواقض توحيد الألوهية .

المبحث الثاني: أثر الهوى على توحيد الألوهية عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام:

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصيرية .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند الدروز .

المبحث الثالث : اثر الهوى على توحيد الألوهية عند الأمم الوثنية :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الأصنام .

المطلب الثاني: أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الكواكب .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة النار .

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الشجر .

المطلب الخامس : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الأشخاص .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة العجل .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة يهوه .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة عزير .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى :

المطلب الأول: أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة عيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة مريم عليها السلام.

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة الروح القدس .

الفصل الثاني

أثر الهوى على توحيد الألوهية

المبحث الأول

توحيد الألوهية في الإسلام

المطلب الأول : تعريف الألوهية :

الألوهية : لغة :

الألوهية : من أَلِهَ بالفتح يَأْلَهُ آلهةً وتَأَلُّهاً ، كعَبد يعبُدُ عبادَةً وتَعبُّداً والجمع آلِهَه ، وإله على وزن فعال يعني مفعول لأنه مألوه أي معبود ، ويطلق الإله : على كل معبود تُألهه الخلائق سواء كان معبوداً بحق أو باطل .

ولفظ الجلالة " الله " علم على الإله المعبود بحق وأصله إله ، ثم أدخلت عليه أل التعريف وحذفت همزته وأدغم اللامان فأصبح " الله "[٢٨] ، وكانت العرب في الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهة .

ويعلق الطاهر ابن عاشور على المعنى اللغوي للفظ الجلالة "الله" بقوله الله هو اسم الذات الواجب الوجوب المستحق لجميع المحامد ، ولم يرد أن العرب أطلقوا الإله معرف باللام مفرداً على أحد أصنامهم ، وإنما يضيفون فيقولون إله بني فلان أو يجمعون مثل أرض الآلهة[٢٩] .

الألوهية اصطلاحاً :

يعرِّف (أبو العز الدمشقي) الألوهية " هي أن يعبد الله وحده ولا يُشرَكْ بعبادته أحداً من خلقه "[٣٠] .

---

(٢٨) انظر لسان العرب : ابن منظور ، مادة أَلِهَ : ج١٣/ ٥٧٧-٥٧٩ ، وبصائر ذو التمييز ، الفيروزأبادي ج١٤/٢-١٦، والمعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ،ج١/ ٢٥ ، ومختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ص ٢٢ ، دار الفكر ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ .

(٢٩) انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج١٦٢/١-١٦٣ .

(٣٠) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١٧/١ .

وهذا ما يؤكده (ابن تيمية) بقوله : " إن التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده لا يشركون به شيئاً فيكون الدين كله لله ولا يخاف إلا الله ، ولا يدعى إلا الله ، ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه "(٣١) .

ويضيف في موضع آخر " الإله هو المألوه أي المستحق لأن يؤله أي يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل"(٣٢) .

وعليه فتوحيد الألوهية قائم على إخلاص العبادة لله وحده في السر والعلن وصرفها كلها لله محبةً وطاعةً وخضوعاً واستسلاماً وانقياداً ودعاءً وتوكلاً وكافة أنواع العبادات وفق ما جاءت في كتاب الله وعلى لسان رسول الله دون زيادة أو نقصان ، فالمؤمن الحق هو الذي يعبد الله وحده لا شريك له عبادة مطلقة تامة كاملة فالله لن يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

المطلب الثاني : أهمية توحيد الألوهية :

إن لتوحيد الألوهية في الإسلام تصوراً كاملاً لا يسمح بشائبة من شوائب الشرك فالله وحده لا شريك له ، وتوحيد الألوهية كان موجوداً في الأمم السابقة لكنه كان يشوبه المفاهيم والتصورات الخاطئة التي أخرجت بهاء التوحيد الخالص إلى متاهات الشرك الذي كان نبعه من الهوى والشهوة والجهل بحقيقة الألوهية ، فجاء الإسلام ليصحح مفهوم الألوهية عند هؤلاء الأمم ويدعو إلى التصور الصحيح للألوهية الحقة في الإسلام .

وتكمن أهمية توحيد الألوهية في الإسلام في النقاط التالية :

١- توحيد الألوهية هو الفارق بين المؤمنين والمشركين ، وعليه يقع الثواب في الجنة والعقاب في النار فالله عز وجل لن يقبل أن يشرك به ، قال تعالى : " **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** " (النساء ، ٤٨) .

---

(٣١) منهاج السنة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق د.محمد رشاد سالم ، ج٢/٢٨٩-٢٩٠ ، مؤسسة قرطبة ، ط١ سنة ١٤٠٦هـ .

(٣٢) مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي ، ج١٣/٢٠٢ ، ط١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

فكل معصية قابلة للعفو وللغفران إلا الشرك فإنه يخلد صاحبه في النار ، قال تعالى : "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** " (البينة ، ٦) .

وقال تعالى في الحديث القدسي ، " يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"[٣٣] .

فشرط المغفرة هو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره، وهذا هو القلب السليم كما أخبر عنه عز وجل: "**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ*إِلاَ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**" (الشعراء، ٨٨-٨٩).

٢- توحيد الألوهية هو الذي من أجله خلق الله الخلق ، فقد جاء في الذكر الحكيم " **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** " (الذاريات ، ٥٦) .

ومعنى الآية : أن الله تعالى ما خلق الخلق إلا من أجل أن يفردوه بالعبادة والطاعة في فعل المأمور وترك المحظور .

قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** " (البقرة ، ٢١-٢٢) .

فالآية تربط بين حكمة الخلق وإرادة العبادة فلا يُعبد إلا من كان خالقاً ، أما الآلهة الأخرى فلا يصرف إليها شيئاً من العبادة لأنها لا تحمل خصائص الألوهية .

٣- توحيد الألوهية من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، قال تعالى: "**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**" (النحل،٣٦).

وقال جلَّ شأنه : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**" (الأنبياء ، ٢٥) .

من خلال هذه الآيات يتبين أن الله تعالى قد أرسل الرسل ، وأنزل الكتب من أجل توضيح وبيان هذا النوع من التوحيد ، فقد كان كل رسول أول ما يدعو قومه إلى توحيد الله في ألوهيته ، وتوجيه كل أنواع الطاعات والعبادات له سبحانه دون سواه من المخلوقات .

---

(٣٣) سنن الترمذي ، ج٥/٥٤٨ ، ح٣٥٤٠ .

٤- توحيد الألوهية هو أول ما يطلب من الإنسان لدخول هذا الدين . فشهادة التوحيد " لا إله إلا الله " تعني أنه لا معبود بحق إلا الله ، وأن أول أساس بني عليه الإسلام هي شهادة التوحيد وهي عنوان العبودية لله عز وجل،وهذامايؤكده حديث النبي صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... الحديث "[٣٤].

كما أن شهادة التوحيد هي العاصم الذي يعصم الكافر عند نطقه بالشهادتين لدمه وماله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل "[٣٥] .

٥- توحيد الألوهية أعلى مراتب الإيمان ، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق "[٣٦] .

٦- توحيد الألوهية يتضمن أنواع التوحيد الأخرى ، فهو يتضمن توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات وذلك لأن من عبد الله وحده بكافة أنواع العبادات - لأنه المستحق للعبادة - ولم يشرك به شيئاً - لأن غيره لا يستحقها - فهو يقر في الواقع بأن الله رب كل شيء ومالكه ومدبره وخالقه ورازقه ، وإلا لما توجه إليه بالعبادة ، وهو يقر أيضاً بأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، منزه عن كل نقص وعيب ، غنيٌ عما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه لأن من كان فيه نقصاً أو عيباً لا يكون إله ولا يستحق أن يتوجه إليه بالعبادة والطاعة، فهو يقر بتنزيه الله عن كل نقص وعيب وأن له صفات الكمال وأسماء الجلال.

٧- توحيد الألوهية هو الأساس لأركان الإيمان الأخرى ، وذلك لأن الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر ما هي إلا فروع لهذا الأساس إذ أننا نؤمن بالملائكة لأنهم ملائكة الله ونؤمن بالرسل لأنهم رسل الله ونؤمن باليوم الآخر لأنه وعد الله ونؤمن بالقدر لأنه إرادة الله ، ونؤمن بما جاءت به الرسل من تشريعات وأمر ونهي لأنها من الله الحكيم الخبير .

---

(٣٤) صحيح البخاري ، ج١٢/١ ، ح٨ .

(٣٥) صحيح البخاري ، ج١٧/١ ، ح٢٥ .

(٣٦) صحيح مسلم ، ج٦٣/١ ، ح٣٥ .

المطلب الثالث : منهج القرآن في بيان توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية من أهم أنواع التوحيد فهو الفارق بين المؤمنين والمشركين وعليه يقع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، ولما كان مطلوباً من العباد فقد ركز القرآن الكريم عليه وأكثر في توضحيه وبيانه وسلك في ذلك مسالك متعددة .

المسلك الأول : الأمر بتوحيد الألوهية مباشرة :

إنَّ الأمر بتوحيد الألوهية مباشرة جاء على لسان الرسل جميعاً ، قال تعالى : " **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** " (النحل ، ٣٦) .

وقال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** " (الأنبياء ، ٢٥) .

وقال تعالى : " **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** " (هود ، ٢٥-٢٦) .

وقال تعالى : " **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ** " (هود، ٧٣) .

وقال تعالى : " **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ** " (الأعراف ، ٨٥) .

وقال تعالى : " **قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـــهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** " (الأعراف ، ١٤٠) .

وقال تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** " (مريم ، ٣٦) .

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدع بكلمة التوحيد ثلاثة عشر عاماً ، عن طارق المحاربي قال : " رأيت رسول الله مر في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا "[٣٧] .

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يبلغ أهل الكتاب بكلمة التوحيد حيث يقول تعالى : "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**" (آل عمران، ٦٤).

---

(٣٧) صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ، ج١/٨٢ ، ح١٥٩ ، ٢٢٣-٣١١هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم بين مهمة الرسل ووظائفهم ألا وهي الأمر بتوحيد الله ، فلا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وإبلاغه بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، والاستحباب لها وتحقيقها اعتقاداً وقولاً وعملاً ، فكان كل رسول يقول للناس الله ربكم وإلهكم وبذلك فقد أسمع الرسل أقوامهم كلمة التوحيد فكان أول ما يقرع أسماع أقوامهم قوله " **يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ** " (الأعراف : ٥٩) .

المسلك الثاني : مناقشة شبهات المشركين :

لقد ناقش القرآن الكريم شبهات المشركين ورد عليهم ، وبيّن الأسباب التي أوقعتهم في الشرك وعرّف حقيقة الشرك الذي وقعوا فيه هل هو شرك عبادة ، أو شرك الطاعة والاتباع[٣٨] :

فأما شرك العبادة كقوله تعالى : " **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** " (يونس ، ١٨) .

وأما شرك الطاعة والاتباع كقوله تعالى : " **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** " (آل عمران ، ٦٤) .

يتبين من خلال الآيات السابقة أن القرآن الكريم يقوّم الانحرافات الحادثة في عقيدة الأمم، وذلك من خلال دعوة الأنبياء والرسل ومناقشتهم لأقوامهم ، ومن ثم تصحيح عقيدتهم، فكان كل رسول ينكر على قومه ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان والأشخاص والكواكب وغير ذلك من الانحرافات العقدية .

المسلك الثالث : بيان العقيدة الصحيحة :

بين القرآن الكريم العقيدة الصحيحة التي ينبغي أن يكون المسلم عليها ووجه الإنسان إلى العمل الصالح الذي يزيد في إيمانه ويثبت يقينه بالله ، فلفت انتباه المؤمنين إلى الذكر والتفكر في آيات الله تعالى ، قال تعالى : " **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**

---

(٣٨) انظر شرح أصول العقيدة الإسلامية ، د. نسيم شحدة ياسين ، ص ٥٨-٦٠ ، ط٢ ، مطبعة التقوى ، غزة سنة ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م.

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (آل عمران ، ١٩١)[٣٩] . وقال تعالى : " **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** " (الغاشية : ١٧) .

من خلال هذه الآيات يتبين أن الإسلام قد اهتم بالعقل والتفكير الموصل إلى الفهم الصحيح اهتماماً عظيماً لذلك تواردت نصوص الكتاب في تمجيده والحث عليه ، وفي المقابل ذم الله الذين يعطلون عقولهم ولا يأخذون بوسائل الفهم المتينة وضوابطه الرصينة ويكتفون بالتقليد الأعمى ويبنون أحكامهم على حجج واهيات فيتمسكون بالباطل ويصرون عليه ، ولو قدمت لهم الحجج القاطعات والبراهين الساطعات ، قال تعالى : " **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** " (آل عمران : ١٧٩) .

المسلك الرابع : ضرب الأمثال :

ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم للعظة والتدبر ، قال تعالى : " **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ** " (العنكبوت ، ٤٣) ، وقال تعالى : " **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** " (الكهف ، ٥٤) ، فالله عز وجل لا يستنكف أن يضرب الأمثال للناس سواء كان هذا المثل كبيراً أم صغيراً جليلاً أم حقيراً ، فالله يقصد من ضربها حث الإنسان على التفكر والتدبر في وحدانية الله والأمثال في القرآن كثيرة وحسبي أني أستدل ببعضها على المطلوب ، قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** " (الحج ، ٧٣-٧٤) .

فقد بين الله تعالى في هذا المثل أن هذه الآلهة من أصنام وأشخاص ضعيفة وليس أدلُ على ضعفها من أنها لا تستطيع أن تخلق ذبابة ولو اجتمعوا على خلقها ، وقد اختار الله مثل الذبابة لأنها صغيرة حقيرة فإذا عجزوا عن خلق الذبابة فهم أعجز عن خلق الجمل والأسد مما هو أكبر وأعظم ، وهذا من بدائع الأسلوب القرآني الفريد ، كما أن من مظاهر ضعفهم أنه إذا ما سلبهم الذباب بعضاً مما عندهم لا يستطيعون بكل ما أتوا من قوة وجبروت أن يستنقذوه أو يستخلصوه أو يسترجعوه فهيهات لقد ضَعُفَ الطالب والمطلوب .

---

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٥٨-٦٠ .

وقال تعالى : " **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** " (العنكبوت ، ٤١) .

يقول الإمام الطبري رحمه الله : معلقاً على هذا المثل " مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها من ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتاً لنفسها كيما يُكِنَّها فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخط أوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم "(٤٠) .

هذا التصوير القرآني الفريد في هذا المثل الرائع الذي يصور المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة يحتمون بها ويتوجهون إليها رغباً ورهباً ويأملون في حمايتها من الفزع والخوف ويرجون منها تفريج الكربات وقضاء الحاجات أولئك كمثل الذي يلتجئ ويحتمي ببيت العنكبوت ، وبيت العنكبوت عبارة عن خيوط رخوة لا حماية لها ولا وقاية وما أسرع أن ينهار ويتبدد فكما لا يغني العنكبوت بيتها من عوارض الدهر فلن تغني عنهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله شيئاً .

المطلب الرابع : الأسس التي يقوم عليها توحيد الألوهية :

شهادة أن لا إله إلا الله لها مستلزمات وأسس ، وهذه الأسس لا بد منها في توحيد الألوهية حتى يكون التوحيد صحيحاً ، من هذه الأسس :

١) إخلاص العبودية لله :

فلا يتم توحيد الألوهية حتى يتوفر الإخلاص في جميع العبادات ، ومن هذه العبادات:

أ- **العبادة القلبية:** وهي ترجع إلى عمل القلب وحده وهي من أهم أنواع العبادات ويدخل فيها الخوف والتوكل والصبر والرجاء والرغبة والرهبة والحب والخشية والتوبة والإنابة والاستكانة والرضا والتعظيم والتسليم وغير ذلك من معاني القلوب التي لا تصرف إلا لله وحده .

ب- **العبادة القولية:** وتسمى العبادات اللفظية وهي تتعلق باللسان وهي كثيرة منها الدعاء والذكر والإستعانة والإستغاثة والحلف ونحوها من العبادات التي تتعلق باللسان قال تعالى " **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** " (ق : ١٨) .

---

(٤٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، المجلد الحادي عشر ، ص ٦٨٣٦ ، ج٢٠/١٦٣-١٦٤ .

ج- **العبادة البدنية**: وهي التي تقوم بها الجوارح وهي كثيرة كالصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد ومنها الرحلة في طلب العلم وكل عبادة نيطت بالبدن أو بعضو منه فهي داخلة في هذا النوع من العبادات.

د- **العبادة المالية**: وهي التي تعبَّد اللهَ عبادُه بها في أموالهم من الصدقات والذبائح والنذور والهدي والزكاة وغير ذلك(٤١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " العبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء ، والإنابة ، والتوكل ، والتوبة ، والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له ، فالعبادة متعلقة بألوهيته ، والاستعانة متعلقة بربوبيته ، والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره .... بل أكبر الكبائر الإشراك بالله و أن تجعل له نداً وهو خلقك والشرك أن تجعل لغيره شركاً أي نصيباً في عبادتك وتوكلك واستعانتك "(٤٢) .

وهذا ما يؤكده ابن القيم بقوله : " أهل الإخلاص للمعبود وحقيقة أعمالهم كلها لله وأقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده ، ولا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه "(٤٣) .

ومن خلال هذا العرض لبعض أنواع العبادات وأقوال بعض العلماء يتبين أن الإخلاص عند العبد هو أن يخلص النية من جميع شوائب الشرك ، وأن يكون العبد منقاداً صادقاً مستيقناً لله وحده، قال تعالى: "**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء** " (البينة ، ٥) .

لذلك لا بد للعبد أن لا يقدم حب أحد على حب الله ، ولا يخاف من أحد غير الله ولا يرجو أحداً إلا الله ولا يتوجه بالاستعانة والاستغاثة لأحد قبل الله .

فالإخلاص من أهم الأعمال القلبية والعمل لا يُقبَل إلا إذا كان خالصاً صواباً والصواب أن يكون على شرع الله وسنة رسوله .

---

(٤١) انظر مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج١/١١٩-١٢٢، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، ج٢/٤٤٣-٤٥٨، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ودعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ص٤١-٥٨، مكتبة ابن تيمية القاهرة ط١ ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٤٢) مجموع الفتاوى ، ج١/٧٤ .

(٤٣) مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، ج١/٩٥ .

٢) عبادة الله تعالى بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وإفراده تعالى بجميع العبادات الفعلية من صلاة وركوع وسجود وحج وزكاة وصدقة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد إلى غير ذلك من أنواع العبادات الفعلية العملية .

يذكر (ابن تيمية) أن : العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع فإن الإسلام مبني على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** " (الجاثية ، ١٨-١٩) ، فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده فلا يصلي إلا لله ولا يصوم إلا لله ولا يحج إلا بيت الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يخاف إلا الله ولا ينذر إلا لله ولا يحلف إلا بالله(٤٤) .

لذلك حرم الله كل وسائل الشرك في الألوهية لأنه اخطر أنواع الشرك ولقد ذكر الله في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى عبادة الله وعدم الإشراك به ، قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** " (الأنبياء ، ٢٥) .

وأنَّ التوجه بالدعاء إلى الله وحده ، قال تعالى : " **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** " (الأعراف ، ٥٥) .

وخلاصة القول أنه لا بد من صرف هذه العبادات من صلاة وركوع وسجود وحج وزكاة وصدقة لله وحده لا شريك له ومن فعل غير ذلك فقد أشرك .

المطلب الخامس : نواقض توحيد الألوهية :

التوحيد أوجب الواجبات وأهم الضرورات التي يجب على المسلم أن يعرفها ويعمل جاهداً من أجل تحقيقها ، لأن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام يخرجون منه ويشركون بالله على غير علم أو هدى ، وذلك لجهلهم بأمور العقيدة الصحيحة التي لا يسع الموحد بالله الجهل بها ، إما اتباعاً لهوى مضلل أو إرضاءً لشهوة عابرة أو تقليداً أعمى للآباء ، بما يفسد التوحيد ويخرجه من ملة الإسلام ، لذلك على الموحد أن يلتزم بضوابط التوحيد ويبتعد عن

---

(٤٤) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج١/ص ٨٠-٨١ .

نواقضه وإلا وقع في المحظور وأشرك بالله ، وخرج عن مسمى الإيمان ، وهذه أهم النواقض التي يجب على المسلم الحذر من الوقوع فيها :

١) إنكار التوجه إلى الله تعالى بالإخلاص في العبودية وإثباتها لغيره من المخلوقات:

يأمرنا الله عز وجل بأن نخلص في عبادتنا له وحده قال تعالى : " **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** " (البينة : ٥) ، وقال تعالى على لسان إبراهيم " **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** " (الأنعام : ٧٩) .

فإذا ما أنكر المرء التوجه إلى الله بالإخلاص في العبادة ، وأشرك غيره معه أو دعا بالعبادة لغير الله كأن يقصد بعبادته ملكاً أو شجراً أو حجراً أو نحو ذلك فقد وقع في نواقض التوحيد ، فالله وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فهو المنعم المتفضل بيده النفع والضرر فمنه المبتدأ وإليه المنتهى ، وعلى ذلك كانت دعوة كل الرسل .

قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** " (الأنبياء : ٢٥) .

فمن كانت هذه صفاته وتلك أفعاله فهو الذي يستحق أن نتوجه إليه بالصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات ، قال تعالى : " **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** " (الأنعام : ١٦٢-١٦٣) ، ومن لم يخلص في عبادته لله فقد وقع في نواقض التوحيد .

٢) إنكار التوجه إلى الله تعالى بالاستغاثة وإثباتها لغيره :

الاستعانة هي طلب الغوث وهي إزالة الشدة[٤٥] فإذا ما طلب العبد الغوث في إزالة الشدة أو طلب النصرة من المخلوقات أحياءً وأمواتاً معتقداً أنهم يملكون قضاء حاجات السائلين ورفع الكرب عن المكروبين من دون الله فقد وقع في الشرك ، لأن الاستغاثة نوع من أنواع العبادة التي تعبّدنا الله بها ومن صرفها لغير الله فقد أشرك قال تعالى : " **وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** " (يونس : ١٠٦) .

وعليه فيجب أن نوجه استغاثتنا لله وحده قال تعالى : " **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** " (الأنفال : ٩) .

---

(٤٥) مجموع الفتاوى ، ج١/١٠٣ .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله يستغيثون بهم ويطلبون النصرة منهم فقد وقع في شرك عظيم قال تعالى : " **وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** " (آل عمران : ٨٠) .

فالملائكة والنبيون والأولياء الصالحون ما هم إلا عباد من عباد الله يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ويتقربون إليه بالطاعات فليس لنا أن نطلب منهم ونستغيث بهم فذلك بابٌ يؤدي إلى الشرك لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً أحياءً وأمواتاً فمن باب أولى أن لا يملكوه لغيرهم قال تعالى : " **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً** " (الإسراء : ٥٦) ، وعليه فيجب التوجه لله وحده بالاستغاثة في طلب العون وإزالة الشدة ورفع الكرب فهو وحده القادر على ذلك .

أما إن استغاث الإنسان بما يقدر عليه المستغاث به فلا شيء في ذلك لقول الله تعالى " **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** " (القصص : ١٥) مع الإيمان المطلق والاعتقاد الجازم أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة ورفع الكرب لأنه ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب وهذا قادح وناقض في كمال التوحيد[٤٦] .

٣) إنكار التوجه إلى الله بالاستعاذة وإثباتها لغيره :

الاستعاذة هي " الالتجاء والاعتصام "[٤٧] فإذا ما استعاذ الإنسان والتجأ واعتصم بالله كان موحداً عابداً لأن الله أمرنا أن نلوذ ونلجأ إليه من كيد الشيطان وشره قال تعالى : " **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** " (الأعراف : ٢٠٠) ، وقال تعالى : "**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**" (الفلق : ١) ، وقال تعالى : " **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** " (الناس : ١) .

هذه الآيات تدل على أنَّ العبد المسلم يجب أن يستعيذ بالله وحده ، لأنه لا يعصم من الشر إلا الله وأن غيره من المخلوقات لا تملك النفع والضرر ، وعليه فمن التجأ واستعاذ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك ، كما كان يفعل أهل الجاهلية إذا نزلوا وادياً نادوا بأعلى أصواتهم أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، أي يستعيذون بالجن على

---

(٤٦) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، ١٦٨ ، دار الفجر للتراث ، ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

(٤٧) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ص ١٦٧ ، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

الجن فكانت النتيجة زيادة في الذعر والخوف(٤٨) كما قال تعالى "**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**" (الجن:٦).

فهذه الآية تدل على أنَّ الاستعاذة بالجن حرام لأنها لا تعيذ المستعيذ شيئاً بل تزيده خوفاً إلى خوفه وذعراً إلى ذعره ، ولذلك ذم الله المستعيذين بغيره لأن المستعيذ بالمخلوق أياً كان هذا المخلوق ملكاً أو نبياً أو جناً أو ولياً صالحاً فقد علق رجاءه وخوفه وجميع أموره بمخلوق مثله وجعله ملجأً ومعصماً وهذا شرك لأن الاستعاذة عبادة والعبادة لا تكون إلا لله وحده .

٤) اتخاذ الشفعاء والوسطاء بين العبد وربه :

الشفاعة هي " التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة "(٤٩) . فإذا اتخذ العبد وسطاء وشفعاء له كواسطة بين العبد وربه يدعوهم مع الله أو يدعوهم من دون الله يسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد نقض التوحيد وخرج عن ملة الإسلام ، قال تعالى " **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**" (الزمر : ٤٤) ، وقال تعالى : " **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ** " (البقرة : ٢٥٥) ، فالآيات تثبت الشفاعة لله وحده وتنفي الشفاعة عن غيره بدون إذنه ، فالشفاعة جائزةٌ بدونه مستحيلة بغير إرادته ومشيئته لأن الله وحده هو من يملك الشفاعة مطلقاً ، ولا يملكها ملك مقرب ولا نبيٌ مرسل ولا وليٌ صالح قال تعالى : " **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**" (النجم : ٢٦) إلا من بعد إذن الله وإرادته ومشيئته قال تعالى " **إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى** " (النجم : ٢٦) وقال تعالى : " **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** " (الأنبياء : ٢٨) وقال تعالى : " **وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** " (سبأ : ٢٣) أي لا تكون الشفاعة إلا لمن رضي الله عنهم وأذن أن يشفع فيهم الأنبياء والملائكة والصالحون ، وهم أهل التوحيد والإخلاص ، وعليه فلا تكون الشفاعة لمن أشرك بالله لقوله تعالى " **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** " (المدثر : ٤٨) فالمشركون كانوا يعبدون الأصنام ظناً منهم أنها ستكون لهم شفيعاً عند الله قال تعالى حكاية عنهم " **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** " (الزمر : ٣) .

أما شفاعة العبد للعبد في أمر من أمور الدنيا فهي على ضربين(٥٠) :

---

(٤٨) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣٦٣٣/٨ .

(٤٩) القول المفيد على كتاب التوحيد ، ابن عثيمين ، ٢١٤ .

(٥٠) انظر : مصرع الشرك والخرافة ، خالد محمد علي الحاج ، ٢٧١ ، تحقيق عبد بن إبراهيم الأنصاري ، إدارة الشئون الدينية ، قطر ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨ .

١- شفاعة حسنة . قال تعالى : " **مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** " (النساء : ٨٥) كمن يشهد ليظهر حقاً ويرفع ظلماً ويزيل ضرراً وقع ، فهذه الشفاعة ينال فاعلها الثواب من الله .

٢- شفاعة سيئة. قال تعالى : " **وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** " (النساء : ٨٥) كمن يعين على وقوع شرٍ أو إبعاد خير أو إيقاع ظلمٍ فهذه الشفاعة يعاقب عليها العبد يوم القيامة.

٥) إنكار استحقاق الله للنذر والتوجه به لغير الله :

النذر : " هو إيجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله تعالى "[٥١] فالنذر عبادة يتقرب بها العبد إلى الله من أجل كشف ضر أو إزالة كرب أو شفاء مريض أو قضاء حاجة من رزق أو ولدٍ أو مال وعليه فيجب أن تُوجه هذه العبادة خالصة لوجه الله تعالى ، لأنها شكر لله على نعمة ، قال تعالى " **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ** " (البقرة: ٢٧) ، وقال تعالى : " **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ** " (الإنسان : ٧) .

فإذا نذر العبد نذراً لغير الله كأن ينذر لصنم أو قبر أو وليٍ من الذبائح والأطعمة والأشربة وغير ذلك بقصد جلب النفع ودفع الضر فهذا شرك يخرج المرء من ملة الإسلام .

قال تعالى : " **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ** " (النحل : ٥٦) .

وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرابين للمزارات والقبور شرك أكبر مخالف لهدى النبي المصطفى ﷺ .

٦) ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم :

الحاكمية حق لله تعالى ، قال تعالى: "**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ**" (الأنعام:٥٧)، وقال تعالى : " **أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** " (الأنعام : ٦٢) فلله أن يحكم بما شاء وكيف شاء ويقضي بما يريد ولا يجوز لأحد أن ينازع الله في حكمه أو يُحادَّه في أمره أو يقدم بين يديه أمراً أو فعلاً أو قولاً أو حكماً، قال تعالى " **وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** " (الرعد:٤١)، فالله وحده الذي يعلم ما يصلح عباده ، لذلك شرع لهم وارتضى لهم الإسلام ديناً قال تعالى " **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ**

(٥١) التعريفات ، الجرجاني ، ٢٤٠ .

دِينًا " (المائدة : ٣) ، فهو الحاكم المتفرد بالأمر والنهي والتشريع والتحريم والتحليل ، فالله يرفض أن يشاركه في الحكم أحدٌ من خلقه قال تعالى: "**وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** " (الكهف:٢٦).

وعليه فوجب رد التنازع في أي أمر إلى حكم الله كما قال تعالى " **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** " (الشورى : ١٠) ، وقال تعالى : " **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ** " (النساء : ٥٩) فالنصوص القرآنية واضحة وجلية تبين استحقاق الله وحده بالحاكمية والتشريع وقد نفى الله الإيمان عن كل من لم يحتكم لأمر الله فقال تعالى " **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** " (النساء : ٦٥) ، واعتبر الله المعرضين عن حكمه أنهم متبعون للجاهلية الكافرة قال تعالى: "**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**" (المائدة:٥٠).

المبحث الثاني

أثر الهوى على توحيد الألوهية

عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام

توحيد الألوهية هو متضمن لكل أنواع التوحيد الأخرى ، وأي انحراف عن هذا التوحيد يخرج صاحبه من الملة ، وعلى هذا أجمع أئمة المسلمين من السلف والخلف ، فالله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، تنزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله ، ولكن أصحاب الملل الفاسدة حاولوا هدم الألوهية حتى يتمكنوا من هدم الإسلام ، ومن ثم نشأت فرق تنتسب إلى الإسلام ، تقدح في توحيد الألوهية كالسبئية والبيانية والخطابية والمغيرية والمنصورية والنصيرية والدروز وغيرها من الفرق الضالة المنحرفة[1].

وهذا بيان لبعض هذه الفرق الضالة المنحرفة عن توحيد الألوهية .

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصيرية :

نسبة إلى محمد بن نصير البصري النميري[2] ، يدين النصيريون بعقيدة فاسدة منحرفة ، أملتها عليهم أهواؤهم ، فهم يعتقدون بحلول الله في الأشخاص فهو حل كما يزعمون في علي بن أبي طالب ، وحل في الحسين ، وحل في سلمان المرشد[3] ، ومن ثم فهم يعتقدون بألوهية هؤلاء ويدينون لهم .

وهذا ما يؤكده مصطفى الشكعة بقوله : " ومن عقيدة النصيرية الحلول أي أن الله تجلى للمرة الأخيرة لعلي ، كما تجلى من قبل ذلك حسب اعتقادهم لهابيل وشيث وسام

---

(١) لمزيد من الاطلاع انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الإمام فخر الدين الرازي ، ص ٥٦-٦٦ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني ، المجلد الأول ، ص ٣٧١-٤٣٢ ، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة ، ط٤ ، والفرق بين الفرق ، البغدادي ، ص ٢٧٤-٢٨٤ .

(٢) انظر : طائفة النصيرية ، تاريخها وعقائدها ، سليمان الحلبي ، ص ٣٤ ، المطبعة السلفية القاهرة تاريخ النشر ١٩٧٩ ، والحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٣٢١ .

(٣) سلمان المرشد ، سوري كان راعي بقر احتضنه الفرنسيون وأعانوه على ادعاء الربوبية والألوهية ، أعدم سنة ١٩٤٦ ، كان المستشار الفرنسي يسجد له يقول له يا إلهي ، انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الرياض ، ص ٥١٢-٥١٣ ، وإسلام بلا مذاهب ، مصطفى الشكعة ، ص٣٤٧ ، الدار المصرية اللبنانية ، ط/١٢ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

وإسماعيل وهارون وشمعون .... فعلي إله في الباطن إمام في الظاهر لم يلد ولم يولـد ولـم يمت ولم يقتل، ولا يأكل أو يشرب "[١] .

والشهادة عند النصيرية هي " أشهد أن لا إله إلا علي بن أبي طالب "[٢] والألوهية بنظر النصيريين مثلثة الأجزاء ، متحدة الحقيقة كما هي عند النصارى فهي عندهم معنى واسم وباب ، كما هي عند النصارى أب وابن وروح قدس . أما المعنى فهو علي بن أبي طالب وهو الله العلي القدير . وأما الاسم فهو محمد بن عبد الله وهو حجابها النوراني ، وأمـا البـاب فهـو سـلمان الفارسي الذي يوصل إلى الحجاب النوراني[٣] .

وجاء في تعاليم الديانة النصيرية ، بصيغة سؤال وجواب بعض الأسـئلة الدالـة علـى تأليههم للإمام علي رضي الله عنه :

س : من الذي خلقنا ؟

ج : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين .

س : من أين نعلم أن علياً إله ؟

ج : ما قاله عن نفسه أنا سر الأسرار ، أنا شجرة الأنوار ، أنا الآخر أنا الباطن والظـاهر أنـا ساجر البحار أنا مفجر الأنهار[٤] .

ومن القصص الغريبة التي يستدلون بها على ألوهية علي ما روي عن الخصيبي أحـد دعاة النصيرية قال : " لما أراد مولانا إظهار قدرته عقد ذاتيته ، وقام سلمان جل وعز مثلما قام اسمه وقال : يا سلمان تعرفني وقد ظهر له بالصورة إلهاً الهاشمية العلوية ، قال : نعم أنـت الله لا إله إلا أنت الأزل القديم ربي ورب الخلائق أجمعين .... ، فكان كلما ظهر المولى لـسلمان بصورة من الصور يقول : يا سلمان تعرفني يقول : نعم يا مولاي أنت يا مولاي لا إله إلا أنت، أنت الأزل ويسجد عند كل ظهور سجدة حتى سجد اثنتي عشرة سجدة "[٥] .

---

(١) إسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة ، ص ٣٣٣، وطائفة النصيرية ، سليمان الحلبي ، ص ٤٨ .

(٢) مذاهب الإسلاميين ، د. عبد الرحمن بدوي ، ص ١٢٣٢، دار العلم للملايين ، بيـروت لبنـان ط١ ، كانون الثاني يناير ١٩٩٦ ، ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، الأمين ، ص ١٦٢ .

(٣) انظر : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، الأمين ، ص ١٦٣ ، وإسلام بلا مـذاهب ، الشكعة ، ص ٣٣٢ .

(٤) انظر : مذهب الإسلاميين ، بدوي ، ص ١٢١٨ ، والإنسان الكامل في الإسلام ، عبد الرحمن بـدوي ، ص ١٣٩ ، ط٢ ، ١٩٧٦م .

(٥) الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٣٤٣ ، نقلاً عن مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ، مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٤٥٠ .

ويستدل النصيرية على ألوهية عليّ بالقرآن الكريم منها :

قال تعالى : " **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** " (الزخرف : ٨٤)(١) .

إن استدلال النصيرية بالقرآن الكريم على مفترياتهم وكذبهم وضلالهم ليدل بوضوح على تأويلهم لآيات القرآن تأويلاً يتفق مع أهوائهم وأهدافهم ، فالآية لا تدل على حلول الذات الإلهية في الإنسان كما يزعمون ، وإنما الإخبار عن ألوهية الله تعالى(٢) ، ولذلك يقول الشوكاني : في تفسيره للآية " وهو الذي معبود في السماء ، ومعبود في الأرض ، ومستحق للعبادة في السماء والعبادة في الأرض "(٣) .

ومن أدلتهم أيضاً أنهم يقرأون الآية الكريمة من سورة يس " **أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم** " (يس : ٨١) " بعد أن يغيروا حرف الجر (عَلَى) فيجعلوه (عليّ) يقصدون بذلك أن علياً هو الخالق ، وهو تحريف ساذج ، إن الآية الكريمة في منطوقها المحرف لا تعني ما ذهب إليه القوم ، والقوم يُلِحُونَ على هذه القراءة إلحاحاً شديداً ، ويقولون إن هذه القراءة الصحيحة الأصلية للآية ، ولكن عثمان بن عفان عند جمعه المصحف الشريف حرّفها من (عليٍّ) إلى (عَلَى) "(٤) .

ويدعى النصيرية أن الإله لم يحل في سيدنا علي فقط بحسب مزاعمهم ، وإنما حل في الأئمة من بعده ويؤيد ذلك ما ورد في كتابهم المقدس (الهفت الشريف) عن قصة مقتل الحسين رضي الله عنه ما نصه : " وأن الحسين دعا جبريل وقال له : يا أخي من أنا ؟ قال: أنت الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والمحيي ؟؟ أنت الذي تأمر السماء فتطيعك

---

(١) انظر : الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ١٦٢ ، نقلاً عن كتاب الأصيغر ، أبو عبد الله بن شعبة الحراني ، مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٤٥ عربي ، ورق ٥ب .

(٢) انظر : الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي ، محمد حسن بخيت ، ص ١٦٢ ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ،

(٣) فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ج٤/٧٠٩ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٣، ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

(٤) إسلام بلا مذاهب ، الشكعة ، ص ٣٣٤ .

والأرض فتنتهي لأمرك ، والجبال فتجيبك ، والبحار فتسارع إلى طاعتك ... وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضر ضار ؟ ... "[١] .

وقد ادعى الألوهية (سلمان المرشد) وابنه (مجيب) من بعده " فكان سلمان المرشد يلبس فيما يروى عنه ثياباً فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار فإذا أوصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين "[٢] .

وسورة الصلاة المرشدية عندهم " تسبيح إلى مولانا (مجيب بن سلمان المرشد) الرب العظيم ، مولانا لك العزة والمجد والتهليل والتكبير ، سبحانك ربنا ، أشياعك الذين يسبحونك وينزهونك عن الصورة البشرية ... يا مجيب المرشد سبحانك أنت الرب العظيم ارحمنا من الحكام الأشرار ، وأرسل لنا الذين وعدتنا بهم ينقذوننا ... إنك على ذلك لقدير "[٣] .

فالنصيرية بهذه الأقوال خرجوا عن ملة الإسلام ، فقد قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية : " هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصنام القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل أكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم "[٤] .

نخلص مما سبق أن هؤلاء النصيريين غالوا وأفرطوا في الغلو في أئمتهم حيث شبهوا أئمتهم بالله وأعطوهم خصائص الألوهية " ولقد قامت محاولات لإصلاح هذه الطائفة وإرجاعها إلى طريق الإسلام الصحيح ، وأول من قام بالمحاولة صلاح الدين الأيوبي بعد دحره للصليبيين حيث حاول إصلاحهم ببناء المساجد وإقامة الصلاة والصيام وغيرها من الفروض الإسلامية فأطاعوه ، ولكن بعد وفاته عادوا إلى ما كانوا عليه من معتقدات وخربوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات "[٥] .

فالنصيرية أحدثوا في الإسلام ما يخالف ما عليه إجماع أهل السنة والجماعة ، وخالفوا نصوص القرآن والسنة بما ادعوه من خصائص الألوهية لأئمتهم والإسلام بريء من

---

(١) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، الحلبي ، ص ٤٩ نقلاً عن الهفت الشريف ، ص ١٢١ .

(٢) إسلام بلا مذاهب ، الشكعة ، ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٨ ، نقلاً عن كتاب (أخوتنا في جبال اللاذقية) ، للأستاذ محمد المجذوب ، مخطوط تحت الطبع .

(٤) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٣٥/١٤٩ .

(٥) الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٣٣٢ .

كل افتراءاتهم التي صنعتها شهواتهم وأهواؤهم فهم يستترون ظاهراً بالإسلام ليوهموا العامة والسذج من الناس ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند الدروز :

نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي أحد أصحاب الدعوة لتأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي المسمى (نشتكين)[1] .

يدين الدروز بألوهية (الحاكم بأمر الله الفاطمي) ، ويدعون أن لله طبيعة لاهوتية وصورة ناسوتية ، وأن الحاكم هو الصورة الناسوتية الأخيرة لله ، وهذه بعض أقوالهم التي وردت في مصحفهم وعلى ألسنة مفكريهم .

ورد في مصحف الدروز ما نصه :

" آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى رب المشرقين ورب المغربين وإله الأصلين والفرعين ... الذي على العرش استوى ، استوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى ، وآمنت به وهو رب الرجعى وله الأولى والآخرة وهو الظاهر والباطن ... وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحداً في جميع أدواري ... وأقر بأنك أنت الحاكم الإله الحقيقي المعبود "[2] .

وورد في ميثاق ولي الزمان ما نصه :

" توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد ... ومن أقر أن ليس في السماء إله معبود ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين "[3] .

وورد في مصحف الدروز :

" لئن ينتعل أحدكم نعلين من نار ، يغلي بهما دماغه من حرارة نعليه إنه لأهون وأدنى عذاباً من رافض دعوة مولانا الحاكم ... إلى أن يقول ولو أن من في الأرض استغفر

---

(١) انظر : الأعلام ، الزركلي ، ج٦/٣٥ ، وعقيدة الدروز عرض ونقد ، الخطيب ، ص١٢ ، ط١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن .

(٢) عقيدة الدروز ، الخطيب ، ص ١٢٣-١٢٤ ، نقلاً عن مصحف الدروز ، عرف العهد والميثاق ، ص ١٠٧-١١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ نقلاً عن ميثاق ولي الزمان .

لهم لن يغفر الله مولاهم الحاكم الصمد ، والفرد بلا عدد والواحد الأحد خطيئاتهم ولو افتدى أحدهم بما في الأرض جميعاً فلا ينجيه "[١] .

وهذه مقتطفات من صلاة الغفران :

" ها أنا يا إلهي متوجه إليك ، متكل في النجاة عليك نجني يا إلهي من الغفلة عن الحق القاصد ، والاشتمال بالغرور البائد إليك ، هربت من ذنوبي وأملتك لكشف كروبي وستر عيوبي فامنن عليّ برضاك ، وأعنّي على ولاك والبراءة من أعداك ... أنت صاحب العاجلة ، وإليك حكم الآجلة ، من طلب من الدنيا أعطيته ، ومن طلب من الآخرة دللته وهديته ... أنت المُغني من كل قلة ، والشافي من كل علة ، وأنا عبدك اللائذ بحرمك ... المستجير بك في الدنيا من الحيرة والفقر ، وفي الآخرة من عذاب القبر ، احفظني من فتنة الدجالين ، ... إنك حميد مجيد جواد كريم ... إنك أهل التقوى ورب المغفرة لك الحمد على ما مننت يا مولانا وإنك نعم النصير المعين "[٢] .

ويرى الدروز أن الصورة الناسوتية لإلههم ظهرت في الماضي في سبعة أدوار وأنه أظهر ناسوته في هذه الأدوار عشر مرات أو مقامات ويجب معرفته تعالى في المقامات العشرة الربانية وهم العلي والبار وأبو زكريا وعلياً والمعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلهم إله واحد لا إله إلا هو[٣] .

وجاء في شرح ميثاق ولي الزمان بشرح حمزة في الميثاق يقول : " وإنما أظهر لنا الناسوت رفقاً بنا وطمأنينة لقلوبنا لأن ليس في طاقتنا مقابلة اللاهوت ... ويجب على من أقر بصورة الناسوت أنه يعلم علماً يقيناً أن اللاهوت فيها غير منفصل عنها "[٤] .

يتبين مما تقدم أن الدروز يعتبرون أنفسهم هم (الموحدون) ولكن المسافة شاسعة بينهم وبين عقيدة التوحيد ، إذ أن نظرتهم للألوهية بعيدة كل البعد عن عقيدة الأمة الإسلامية فقد أعلنوا جوهر عقيدتهم وهي : أن الله يتخذ على مر العصور والأزمان حجاباً أو صورة ناسوتية يتجلى فيها لخلقه ، وأن الحجاب الأخير الذي ظهر فيه كان بصورة الحاكم بأمر الله

---

(١) عقيدة الدروز ، الخطيب ، ص ١٢٧ ، نقلاً عن مصحف الدروز عرف الإنذار والحساب، ص ١٩-٢٥.

(٢) مذهب الدروز والتوحيد ، عبد الله النجار ، ص ١١٠ ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٥ .

(٣) انظر : عقيدة الدروز ، الخطيب ، ص ١٣٥-١٣٧ . ومذهب الدروز والتوحيد ، النجار ، ص ٩٥-٩٦.

(٤) عقيدة الدروز ، الخطيب ، ص ١٣٤ ، نقلاً عن شرح الميثاق .

الفاطمي ، فتوجهوا له بالعبادة والطاعة ، إن هذه المعتقدات كفر صريح تخــرج مــن ملــة الإسلام لأنها ناقضة لتوحيد الألوهية .

المبحث الثالث

أثر الهوى على توحيد الألوهية عند الأمم الوثنية

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الأصنام :

إن عبدة الأوثان مفتونون بعبادة الأصنام على مر التاريخ مع أنهم كانوا يعلمون أنه ما أُهلكت الأمم السابقة إلا لأنهم اتبعوا أهواءهم فعبدوا الأحجار والأصنام والخشب وظلوا مصرين على أفكارهم ومعتقداتهم الباطلة حتى أصبحت عبادة الأصنام كذبة مصدقة عندهم فأخذوا يألهون الأوثان وينكرون التوحيد الخالص ، قال تعالى على لسانهم " **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** " (ص ، ٥) .

فكل قرية أو عشيرة اتخذت معبودها بما يتناسب مع هواها وحاجاتها وشهواتها ، وهذا واضحٌ للناظر لمعبودات الأمم والشعوب عبر العصور فإن أهواءهم هي المسيطرة عليهم ، فهي التي تملي عليهم نوع المعبود الذي يعبدونه ، فمثلاً الوثنيون في عهد نوح كانوا يعبدون أصناماً يزعمون أنها تشفع لهم في الآخرة وشيدوا لها الهياكل والأوثان ، قال تعالى على لسانهم " **وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** " (نوح ، ٢٣) .

ومروراً بقوم إبراهيم وما كانوا يعبدون من الأوثان التي ينحتونها والعرب وما كانوا يعبدون من الأصنام حتى جاء الإسلام واستنقذهم من الظلمات إلى النور .

لقد كان من عادة عبدة الأوثان ومن تابعهم الميل مع أهوائهم عن الحق إلى الباطل وقد ظهر ذلك بوضوح في أعمالهم ومواقفهم وسيكتفي الباحث بذكر مثالين منهم .

المثال الأول : محاجة إبراهيم لأبيه وقومه[١] :

لقد سلك إبراهيم مع أبيه وقومه مسلكاً جديداً ليثني أبيه وقومه عن اتباع الهوى ويحثهم على التمسك بالهدى ، وكان هدف إبراهيم عليه السلام هو حثهم على ترك عبادة الأوثان تلك الآلهة الخرافية التي صنعتها أهواؤهم وشهواتهم .

---

(١) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر الألمعي ، ص ١٦٤-١٦٩ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير، ج/٥ ، ١١٦-١٦٧ ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٢٣٢١/٥ ، والملل والنحل ، الشهرستاني، ج٤٩/٢ .

فبدأ (إبراهيم) عليه السلام حواره مع أبيه (آزر) ؛ لأنه كان ينحت للقوم الأصنام التي يعبدونها، قال تعالى على لسان إبراهيم - عليه السلام - " **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** " (مريم ، ٤٢) .

بمعنى أن الذي تنحته وتعبده لا يملك شيئاً من خصائص الألوهية لأنها لا تملك لنفسها النفع والضر فمن باب أولى أن لا تملكه لغيرها فهي إذن لا تستحق التأليه ولا العبادة وبذلك أقام إبراهيم الحجة على والده ببطلان عبادة الأصنام ، وهنا نرى تحكم الهوى وسلطانه على نفس (آزر) إذ ظل على ضلاله بعد ظهور الحق ، فالكبر والتعصب قد أعميا بصيرته فكان رده " **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** " (مريم ، ٤٦).

أما محاورة إبراهيم لأبيه وقومه معاً فقد ذكرها القرآن في أكثر من موضع قال تعالى على لسان إبراهيم : " **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ** " (الأنبياء ، ٥٢-٥٣) .

إذن القوم ما عبدوها لأنها تستحق العبادة ، وإنما لهوى في نفوسهم وهو اتباع شريعة وعقيدة الآباء ، وهل شريعة وعقيدة الآباء تستحق أن تكون بديلاً عن شريعة وعقيدة السماء؟! ولكن القوم كانوا يعبدون ما وجدوا عليه آباءهم وما استحسنه أسلافهم من الآراء المنحرفة والنحل المخترعة والمذاهب المبتدعة ؟؟ فغطَّى الهوى على عقولهم دون أن يبصروا فقال تعالى على لسان إبراهيم " **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** " (الشعراء ، ٧٢-٧٤) ، فهو يدعوهم إلى أن يذعنوا بأنها لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضر شيئاً ، إنما الحامل على عبادتها هو الاقتداء بالأسلاف والأجداد وإن كانوا على ضلالة .

وهنا يبرهن لهم بطلان ألوهية هذه الآلهة فلو كانت آلهة لضرتني وكأنه يريد أن يقول : إن الذي يملك النفع والضر هو الذي يستحق العبادة وحده ، فهل آمنوا بعد ذلك بالله وتوجهوا له بالعبادة ؟ لا لأن هؤلاء القوم ليس لهم ضابطٌ سوى الهوى فهم يقبلون ويرفضون بما يتلاءم مع شهواتهم وأهوائهم .

فأراد إبراهيم – عليه السلام - أن يقيم عليهم حجة أخرى لبطلان استحقاق هذه الأوثان ؛ لأن تكون بديلاً عن الله ، وبين أن هذه الأوثان لا تصلح أن تكون آلهة تعبد من دون الله، قال تعالى: "**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**" (الأنبياء ، ٥٨).

وفي النهاية حطَّم إبراهيم عليه السلام أصنامهم التي يعبدونها إلا كبير هذه الأصنام ، فماذا كان ردهم " **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** " (الأنبياء ، ٦٢-٦٣) .

لقد سلك إبراهيم – عليه السلام - هذا المسلك بطريقة عملية ليقيم عليهم الحجة بشكل أكثر وضوحاً بأن هذه الأوثان والأصنام لا تستحق العبادة .

لقد حدَّثنا القرآن الكريم عما دار في نفوسهم قال تعالى : " **فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ** " (الأنبياء ، ٦٤) ، من خلال هذه الآية يتبين أنهم وصلوا إلى الحقيقة ولكنه الكبر واتباع الهوى أفسد عليهم الإيمان بدين إبراهيم فكان ردهم قالوا " **ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** " (الصافات ، ٩٧) .

فنرى أن هؤلاء القوم اتبعوا أهواءهم عمداً وقصداً بعد وضوح الحق ، وأن هؤلاء مالوا بكليتهم إلى رغبات نفوسهم وجعلوا هواهم إماماً لهم وقائداً يقتدى به واستحبوا الكفر على الإيمان .

المثال الثاني : العرب قبل بعثة الرسول محمدﷺ :

لقد كان في جزيرة العرب بقايا من التوحيد الخالص من الحنيفية السمحة (ما تبقى من ديانة إبراهيم وإسماعيل) منهم عامر بن الظرب العدواني من شعراء العرب وله وصية طويلة يقول في آخرها " إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ولا جائياً إلا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء ، ثم قال : إني أرى أموراً شتى وحتى ، قيل له : وما حتى قال حتى يرجع الميت حياً ويعود لا شيء شيئاً ولذلك خلقت السماوات والأرض "[(١)] ، ومن الموحدين كذلك زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل كانوا يعتقدون بالتوحيد ، هؤلاء وغيرهم كانوا ينتظرون قدوم النبيﷺ .

ولكن عمرو بن لحي وهو في زيارة إلى الشام رآهم يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فأخذ صنماً وأدخله الكعبة وأمر الناس بعبادته ، ثم أصبحت كل قبيلة تعبد صنماً خاصاً بها ثم دخلت الأصنام في كل بيت .

---

(١) الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٢/٢٤٢ ، والسيرة النبوية ، ابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، ج١/١٤١-١٤٢، تحقيق الشيخ محمد بيومي، مكتبة الايمان المنصورة،ط١ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

إن عمرو بن لحي لم يكتفِ بانحرافه عن جادة الصواب بل نجده يسعى لحمل غيره على ما يريده من الشهوات فالذين يتبعون الهوى يريدون من الخلق أن يميلوا معهم حيث مالوا قال تعالى " **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا** " (النساء ، ٢٧) .

لقد وصل بهم الحال بعد أن انتشرت عبادة الأصنام أنه إذا سافر الرجل منهم فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر أحسنها فاتخذه إلهاً ، ثم بعد ذلك جعله حجراً يوضع عليه القدر فإذا ارتحل تركه ، فإذا لم يجدوا حجراً حلبوا الشاة ووضعوا الحليب على التراب وصنعوا صنماً وعبدوه وطافوا به[١] .

واستمر حال العرب يعبدون الأوثان حتى بعثة النبي محمدﷺ فدعاهم إلى التوحيد وأيده الله بالمعجزات ، ولكن الهوى والكبر هو الذي منعهم من اتباع الحق والهدى مع علمهم بصدق رسول الله ﷺ فهذا " أبو طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبيﷺ وعنده أبو جهل فقال أي عم : قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب "[٢] .

قال تعالى : " **وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ** " (القمر ، ٣) .

قال ابن كثير " أي كذبوا بالحق إذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم "[٣] .

إن هؤلاء القوم قد انحرفوا في توحيد الله ، وأصروا على عبادة الأوثان والأصنام فكانت معتقداتهم في الله مخالفة لسبيل الحق والصواب .

إن كفار مكة قد تمادوا في كفرهم وباطلهم وانحرافهم ، وقد بذل الرسول ﷺ معهم من الجهد غايته ، ومن القول أخلصه وأصوبه ، فما كان جوابهم عندما دعاهم إلى العبودية لله رب العالمين وطرح ما سوى ذلك من آلهة الباطل قال تعالى : " **وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** " (ص ، ٦) ، وقال تعالى على لسانهم " **إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا** " (الفرقان ، ٤٢) ، وهذا اعتراف منهم بأنه قد بلغ

---

(١) انظر السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٥٣/١ ، وتلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، ص ٥٣ .

(٢) صحيح البخاري ، ج١٤٠٩/٣ ، ح٣٦٧١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣٣٥٣/٧ .

من الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد وإقامة الحجج والبيانات ما شارفوا به أن يتركوا دينهم لولا اتباعهم أهواءهم وتأثيره على نفوسهم فظلوا على عنادهم[١] .

وخلاصة القول: إن مشركي مكة قد أصروا على باطلهم وأهوائهم وشهواتهم وقالوا "**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** " (ص : ٥) ، وقد سلك معهم النبيﷺ كل مسالك الدعوة وخاطب عقولهم وقلوبهم إلا أنهم أصموا آذانهم وأقفلوا قلوبهم وأصروا على الشرك والانحراف عن التوحيد الخالص .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الكواكب :

إن من أوائل الآلهة التي عبدت عند الأمم الوثنية الكواكب ، فالإنسان البدائي اتخذ الكواكب والنجوم آلهة وأخذ يصورها على أنها تنفع وتضر وأنها تعطيهم الأمن والرزق ، ففي مصر وأجزاء متعددة من الشرق توجهوا إلى الشمس بالعبادة وكانوا يقيمون لها عموداً من حجر ويسمونها الإله العظيم .

وفي بلاد الهند أخذوا يتوجهون إلى الشمس بالدعاء والتبخير ، واتخذوا لها صنماً فيأتي المرضى وأصحاب الحاجات يصلون له ويصومون ويدعون ويستشفون ، وزعم قوم آخرون أن القمر يستحق العبادة والتعظيم ؛ لأنه إليه يرجع تدبير العالم السفلي، وجعلوا له صنماً يسجدون له ويعبدونه ويسألونه حوائجهم ، وعبادة الكواكب كانت منتشرة عند العرب فكانوا يعبدون الشمس والقمر وعطارد والزهرة وقد قلدوا في ذلك سنن من كان قبلهم من الأمم الضالة[٢] ، وسيكتفي الباحث بذكر نموذج ليبين فيه كيف أثر هوى أولئك من عبدة الكواكب على توحيد الألوهية.

---

(١) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ج١١/٣٣ ، دار الفكر .

(٢) انظر الديانات والعقائد ، عطار ، ج١/٦٧-٧٠ . والإسلام والمعتقدات الدينية القديمة ، أحمد إسماعيل ، ص ١١٧-١١٩ ، مكتبة الدار العربية ، ط/١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، والملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٢/٢٥٨-٢٥٩ ، وذيل ، ج٢/٥ ، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، ج٢/٢٢٠-٢٢٢، وموسوعة كل الأديان ، مفرج وآخرون ، ج٣/٣٠ ، وتلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، ص ٥٠-٥١.

محاورة إبراهيم – عليه السلام - لعبدة الكواكب[1] :

لقد أراد إبراهيم – عليه السلام – أن يبين أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب لا تصلح لأن تكون آلهة تعبد لأنها مخلوقة تطلع تارة وتأفل تارة أخرى والله لا يغيب ولا يخفى عليه شيء ، فبين لهم عدم صلاحية الكواكب للعبادة في حين أن قومه كانوا مصرين على أن الهياكل هي واسطة بينهم وبين الروحانيات – الملائكة - والروحانيات واسطة إلى الله لذلك صنعوا تماثيل لهذه الكواكب .

إن الله عز وجل أعطى إبراهيم – عليه السلام - الحجة في مخاصمة قومه ، قال تعالى : " **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** " (النمل : ١٤) ، فبدأ إبراهيم – عليه السلام - في استخدام هذه الحجة الدامغة في إبطال معبوداتهم حيث بدأ باستعظام الكواكب وأهال القداسة عليها ووصفها بالألوهية ، وقومه يستمعون إليه فلما أفلت وغابت عن الأنظار والإله لا يغيب عن ملكه، فكيف توصف بالألوهية وكيف تعبد وفي ذلك قال تعالى : "**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" (الأنعام،٧٦-٧٩).

وبذلك أثبت إبراهيم – عليه السلام - أن من كان إلهاً لا يغيب ولا يأفل وأن هذه الآلهة المعبودة من دون الله لا تستحق العبادة ، وهنا يبين إبراهيم لقومه أنه اهتدى لوجود إله ليس في كوكب يلمع ولا في قمر يطلع ولا في شمس تسطع ولا يجده فيما تبصره العين ولا فيما يحسه الحس ، إنه يجده في قلبه وفطرته وفي آياته الناطقة بعظمته وكبريائه .

لقد كشف لهم إبراهيم عن وهم ما هم فيه من أن هذه الكواكب تملك أن تنفع أو تضر أو أن تخلق أو تُعبد ، قال تعالى على لسان إبراهيم " **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** " (الأنعام ، ٨١) .

---

(١) انظر : مناهج الجدل ، الألمعي ، ص ١٧٠ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ج١/١٦٥-١٦٧ ، وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٧/٢٩٢-٢٩٤ ، ط٥ ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، والملل والنحل ، الشهرستاني، ج٢/٤٩-٥٤، وكتاب الديانات والعقائد، عطار، ج١/٦٧-٧٠ .

ومن خلال ما سبق نجد أن قوم إبراهيم – عليه السلام - اتبعوا أهواءهم بعد وضوح الحق وتغلبت عليهم النفس الأمارة بالسوء التي تؤثر هواها على الحق ، وتهوى وتختار ما يلائمها وما يوافق هواها فنلاحظ أن الأهواء الفاسدة هي التي صدتهم عن طريق الإيمان والهدى والحق وقادتهم إلى المكابرة والعناد .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة النار :

من المعبودات التي كانت موجودة وسائدة عند بعض الأمم السابقة عبادة النار، فعبد أقوام النار وتوجهوا لها بالدعاء والسجود، فمن هؤلاء من " زعموا أن النار أعظم العناصر جرماً وأوسعها حيزاً وأعلاها مكاناً وأشرفها جوهراً وأنورها ضياءً وإشراقاً وألطفها جسماً وكياناً والاحتياج إليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطبائع ولا كون في العالم إلا بها ولا حياة ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتها ..... وعلى هذا المذهب كثير من ملوك الهند يعظمون النار ويقدمونها على كل الموجودات "[(١)] .

ومن عبدة النار (المزدية) نسبة إلى أهورا مزدا وهم من الهند وعندهم أن النار من مظاهر هذه الديانة الخاصة ، فالنار لا تنطفئ ويجب أن تؤدي العبادة لها في المعبد الخاص بالنار[(٢)] .

والنار عند (أهورا مزدا) تمثل القوة العليا وهي قوة مهلكة طاهرة نقية نافعة ثم بعد ذلك أصبحت النار عندهم يُتوجَّه إليها بالعبادة لأنها مصدر من مصادر النور الإلهي[(٣)] .

وسيكتفي الباحث بعرض مثال للذين انحرفوا عن التوحيد وعبدوا النار وهم (الفرس).

*** الفرس :**

كانوا يعبدون النار ويقدسونها من دون الله ، ويذكر ابن كثير أنه لما ولد رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام[(٤)] .

---

(١) الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٢/٢٦١ .

(٢) انظر : الديانة والعقائد ، عطار ، ج١/٢٤٣ .

(٣) انظر : موسوعة كل الأديان ، مفرج وآخرون ، ج٤/١٦٥-١٦٧ .

(٤) انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج١/١٦٨ .

ومن الغرائب التي ظهرت في مولد النبيﷺ أن نار كسرى هي المعبـودة مـن دون الله بالممالك الفارسية المنسوبة إلى فرس ، وكان كسرى من أَجَلِّ ملوكهم وكـان لهـا ألـف عام لم تخمد لشدة اشتعالها وكثرة مدادها دائماً وكانوا يعبـدونها ، وكـان كـسرى وأتباعـه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوهما ، ولهم بها فتنة عظيمة وكان إقليم فارس مـن بيوت النار الموقدة المئين من السنين ما تحيل العادة انطفاءه فلما انطفأت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة أورثهم ذلك كربة وبلاءً عظيماً صبه الله عليهم صباً بإزالة ما يعتقدونه إلههم ومتعبدهم لأنهم مجوس[(١)] .

فأرسل الله النبي محمداً ﷺ بالتوحيد الخالص وراسل النبيﷺ كسرى ملك الفـرس ، وقد أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما " أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المـسيب قـال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق "[(٢)] .

وعن مرسل يزيد بن حبيب رحمه الله قال : " بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معـه ، بـسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبـده ورسـوله أدعـوك بدعاء الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فـإن تُسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك قال فلما قرأه شقه وقال يكتب إليّ بهذا وهـو عبـدي "[(٣)] .

يتبين من خلال هذا العرض أن كسرى وقع أسيراً لهواه فقدم هـوى الـنفس علـى التوحيد الخالص ، انظر إلى قوله " يكتب إليّ بهذا وهو عبدي " لذلك وصف الله المـشركين باتباع الهوى في مواضع كثيرة في كتابه العزيز حيث قال تعالى : " **فَإِن لَّمْ يَـسْتَجِيبُوا لَـكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ** " (القصص ، ٥٠) هذا هو حال الذين يدافعون عن أهوائهم فهـوى

---

(١) انظر : شرح المولد النبوي السنني بالكواكب والأنوار على عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر ، جعفر البرزنجي، ص ٣١٧ ، تحقيق نادي قزج دروس ، دار القاضي عياض للتـراث، ط/١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢) صحيح البخاري ، ج١/٣٦ ، ح٦٤ .

(٣) تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج٢/٦٥٤-٦٥٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/٤ ، دار المعارف .

الكرسي والزعامة دفعه إلى الاستمرار على عقيدته الضالة المنحرفة عن عقيدة التوحيد وبذلك آثر اتباع الهوى على اتباع الهدى رغم وضوح التوحيد ولكن ليس لهؤلاء الناس ضابط سوى الهوى .

وخلاصة القول أن هذه الأقوام والفرق ما عبدت النار لأنها تستحق العبادة فبعضهم عبدها لأنها أكبر الأجرام السماوية ، وغيرهم لأنها تضيء وتنير الكون ، وآخرون لأنه لا حياة بدونها ، وأنها مصدر الدفء والحرارة ، إذن فعبادتهم للنار تبعاً لأهوائهم وشهواتهم وليس تبعاً لوحي من الله ، فالناظر عبر التاريخ يجد أنه لم تخلُ حقبة من الزمن إلا وبعث الله بها رسولاً أو نبياً يرشد الناس إلى الحق والهدى ، قال تعالى " **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**"(فاطر: ٢٤)،وقال تعالى: "**مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**" (غافر: ٧٨)، فهؤلاء كما نرى يعبدون النار ركوباً منهم لأهوائهم واتباعاً منهم لدواعي نفوسهم الأمارة بالسوء وطاعة لشياطينهم .

المطلب الرابع : أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الشجر :

عاشت البشرية أزمات مختلفة ونكسات متعددة ، عندما انتشر الشرك وهيمنت البدع والخرافات فتفرقت بهم السبل عن الحق واستسلم الناس لسلطان الجهل والخرافة حتى عبد الإنسان الشجرة ودان لها بالطاعة فاتخذها نداً لله فتوجه إليها بالعبادة واستغاث بها من دون الله ، وتوسل إليها بالدعاء وهذا نموذج يوضح فيه الباحث انحراف البشرية عن التوحيد الخالص .

* أصحاب الأيكة[١] :

أصحاب الأيكة هم أهل مدين كانوا يسكنون قرية من أرض معان من أطراف الشام قريبةً من بحيرة قوم لوط ، ومدين قبيلة عربية كافرة كانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون شجرة من الأيكة وهي تعني الشجرة الملتف سيقانها بعضه ببعض .

فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله شعيب – عليه السلام – فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة الشجر ، لأنها مخلوقة من مخلوقات الله يلحقها الفناء

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ص ١٦٧-١٧٦ ، ضبط نصوصه حلمي بن إسماعيل الرشيدي ، دار العقيدة .

ولا تضر ولا تنفع ، فآمن به بعضهم ، وكفر أكثرهم حتى حل بهم البأس الشديد قال تعالى : "**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**" (الأعراف : ٨٥) ، فنرى أن شعيباً قد تحبب إليهم قائلاً يا قوم فهم قومه وهو أحرص الناس على مصلحتهم ودعوتهم حتى يستنقذهم من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان، فكان الأحرى بهم أن يستجيبوا له لو كانوا يفقهون ، ولكنهم ردوا قائلين قال تعالى : " **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** " (هود : ٨٧) .

فقد قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم من دعوة شعيب حيث قالوا له هل صلاتك يا شعيب التي تصليها ترفض الدين الذي نحن عليه والذي ورثناه عن آبائنا ، فكيف تريد منا أن نعبد الله وحده ونتخلى عن ما ورثناه عن آبائنا أهذا ما تأمرك به صلاتك فرد عليهم شعيب بقول الله تعالى " **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** " (هود : ٨٨) .

فقد تلطف معهم شعيب ودعاهم إلى الحق بأبين إشارة بأن الله أرسله إليهم وأعطاه من البينات والحجج الدامغات ، وما أراد شعيب بهذه الدعوة إلا إصلاح عقيدتهم الفاسدة التي توجهوا بها إلى المخلوق (شجرة الأيك) فهي شجرة مخلوقة لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً .

فكان ردهم بعد انهيار حجتهم الواهية مثل رد كل الأمم السابقة التي انحرفت عن طريق الحق واتبعت أهواءها قال تعالى : " **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** " (الأعراف : ٨٨) .

هذا الصلف والغرور والاستكبار الذي درج عليه أصحاب الدعوات الباطلة هو الذي أعمى بصيرتهم عن رؤية نور التوحيد وبريق الإيمان فملة الطاغوت والجاهلية واحدة يظهر فيها دور الهوى في انحراف تصور الأمم والشعوب لعقيدة التوحيد .

المطلب الخامس: أثر الهوى على توحيد الألوهية في عبادة الأشخاص:

إنَّ الناظر والمتأمل في سير أهل الضلال والهوى ممن انحرفوا عن بهاء التوحيد الخالص يجد تبايناً في معتقداتهم وتصوراتهم العقدية فهذا يجعل له صنماً إلهاً مطاعاً معبوداً وذاك يجعل من الإنسان إلهاً معبوداً مطاعاً من دون الله وكل ذلك راجع إلى اختلاف أهوائهم وشهواتهم وتصوراتهم المنحرفة .

وسيتناول الباحث في هذا المطلب مثالين ، يبين فيهما أثر الهوى في عبادة الأشخاص .

المثال الأول : عباد الأسلاف[1] من قوم نوح :

قال تعالى : " **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** " (نوح ، ٢٣) فقد ذكر الله في هذه الآية وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً هؤلاء جميعاً أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروهم على شكل تماثيل وأخذوا يتوسلون إليهم ويستشفعون ويستسقون بهم ، فبعث الله عبده ورسوله نوحاً – عليه السلام - يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، قال تعالى على لسان نوح " **اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**" (الأعراف ، ٥٩) .

وقال تعالى : " **أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** " (هود ، ٢٦) .

وقال تعالى : " **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** " (المؤمنون ، ٢٣).

وقال تعالى: "**يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**"(نوح،٢-٣) .

لقد أقام الله عليهم الحجة بإرسال رسله الذين لم يتوانوا عن الدعوة إلى التوحيد ليلاً ولا نهاراً لقوله تعالى : " **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا** " (نوح ، ٥-٦) فلم يزدهم ذلك إلا إمعاناً في الضلال والعصيان ثم دعاهم سراً وجهراً ولكن ظلوا على شركهم وعلى عبادة أوثانهم ، قال تعالى : " **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** " (نوح : ٨-٩) ومع كل هذا التذكير والنصح والإرشاد فقد تمادوا في غيهم وناصبوا نوح العداوة واستخفوا بمن معه من المؤمنين ، قال تعالى : "**قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** " (الأعراف ، ٦٠) ، واستكبروا وتمادوا في الكفر والضلال والفساد ، مبررين عدم قبولهم دعوة الله كما صور ذلك الذكر الحكيم " **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** " (هود ، ٢٧) .

إنها حجة وتبرير ضعيف واهٍ ينم عن هوى في نفوسهم وجهل بحقوق ربهم عليهم وليس لهم عذر ولكنه الإصرار على الكفر وركوب للأهواء ، ولهذا ضاقوا ذرعاً بنوح ونصحه

---

(١) السلف – جمع سالف وهو كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل ، انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ج١/٤٤٤ ، مادة سلف .

وإرشاده واستعجلوا العذاب ، قال تعالى " **قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** " (هود ، ٣٢)[1] .

إن هذه الآيات تبين تجربة من تجارب دعوة الأنبياء ومعاناتهم مع أقوامهم وتكشف لنا صورة من صور البشرية الضالة اللاهثة خلف أهوائها وشهواتها .

وما إصرار قوم نوح على الكفر والضلال إلا بالسير وراء القيادات والزعامات الضالة المضللة المنحرفة والتي تخدع الأتباع بما تملك من المال والجاه والسلطان فينساق الجهلة وراءهم طمعاً في متاع زائل أو شهوة عابرة أو هوىً مضلل .

المثال الثاني : عبادة فرعون[2] :

ادعى فرعون الألوهية ودعا قومه لعبادته وطاعته قال تعالى على لسان فرعون " **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** " (القصص : ٣٨) ، أي ما علمت لكم من إله تعبدونه وتصدقونه وتطيعونه غيري ، فأنا المستحق بالطاعة والجبروت والتصرف في هذا الكون .

هذا الغلو والانحراف برغم دعوة موسى وهارون له ولقومه بعبادة الله وحده حيث أمر الله موسى وهارون بقوله "**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" (الشعراء:١٦).

لكن قوم فرعون اتبعوا شهواتهم وأهواءهم فأطاعوه طمعاً في حطام الدنيا ، قال تعالى : " **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** " (الزخرف : ٥٤) .

ويستمر فرعون في غيه وضلاله وهواه متمسكاً بالدنيا وحب الرياسة صاداً عن دعوة الحق والتوحيد التي جاء بها موسى حتى أنه يهدد موسى بالسجن قال تعالى : " **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** " (الشعراء : ٢٩) .

لكن الله عز وجل أيد موسى بالمعجزات الباهرات التي تصفع كل معاند جبار قال تعالى على لسان موسى قوله لفرعون " **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ** "

---

(١) انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج١/١٢١-١٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٩/٥٠٢-٥١٢، وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٨/٢٩٠-٣٠٨ ، وجامع البيان ، الطبري ، المجلد الرابع عشر، ٨٦٠٨ ، ج٢٨/٩٦-١٠٦ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج١/٢٨٦-٣٠٤ ، وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٦/٣٤٩ ، وجامع القرآن ، القرطبي ، ج٧/٢٥٦ ، وجامع البيان ، الطبري ، المجلد الحادي عشر ، ٦٧٥٧ ، ج١٩/٨٥ ، وقصص الأنبياء ، ابن كثير ، ص ٢٢٢-٢٧٠ .

(الشعراء : ٣٠-٣٣) ، إذن استبان الحق وانقشع الظلام ولم يعد هنا مجال للإنكار بعـد أن رأى فرعون وحاشيته الآيات الباهرات الساطعات ، ولكن الهوى الذي طمس على قلـب فرعـون فأصبح لا يرى إلا ما يريه شيطانه قال تعالى: "**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**" (طه:٥٦)، فقد كذبوا بالآيات برغم أن نفوسهم توقن أن موسى ما جـاء إلا بـالحق ولكـن المـصلحة وشهوات النفوس أبت إلا الاستكبار قال تعالى : " **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** " (النمل : ١٤) ، وقال تعالى : " **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** " (القصص : ٣٩) .

وهناك مجموعة ممن فتح الله قلوبهم لما رأوا هذه الآيات ما كان لهم إلا أن يـذعنوا ويستسلموا لله رب العالمين إنهم سحرة فرعون ، فآمنوا عندما رأوا أن هذه الآيات لا طاقـة لبشر أن يأتي بمثلها إلا أن يكون مؤيد من إله قادر قوي جبار ، فدفعوا ضريبة هذا الإيمان ، أنهم صلبوا على جذوع النخل وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف .

ويمكن القول أن عبدة الأشخاص وأعوانهم كأمثال فرعون وقومـه اسـتكبروا علـى عبادة الله هوىً وعتواً على الله عز وجل، فكانت عاقبتهم الغرق في الدنيا والهلاك في الآخرة كما أخبرنا الله عز وجل عن عاقبتهم بقوله : "**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**" (القصص:٤٠).

المبحث الرابع

أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود

كانت عقيدة بني إسرائيل في أصلها عقيدة صافية مبنية على الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولكن سرعان ما انحرف اليهود عن توحيد الله عز وجل ، فأصبح مفهوم الألوهية عندهم هو مفهوم مادي حيث كانوا يشكلون الإله حسب ما تهواه نفوسهم فتارة يعبدون العجل وتارة يعبدون (يهوه) وأخرى يعبدون (عزير) وهذا عرض لهذه النماذج الثلاث في ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة العجل :

لم تطمئن نفوس اليهود إلى عبادة الله وحده ، فلم يكد يذهب موسى – عليه السلام - لتلقي التوراة من ربه حتى انحرف اليهود عن عبادة الله وحده كما جاء ذلك في أسفارهم من تجنيهم على نبي الله (هارون) بأنه صنع لهم العجل كما جاء في سفر الخروج " فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها ... فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزاميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر" (خروج ٣٢: ٢-٤) .

يذكر ديورانت : إن بني إسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والجمل ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت ولا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وتقرر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم هارون فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب(١).

ويؤكد القرآن الكريم عبادة اليهود للعجل وذلك في أكثر من موضع ، قال تعالى : **"وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ "** (الأعراف : ١٤٨) .

---

(١) انظر قصة الحضارة ول وايريل ديورانت ، ج٢/٣٣٨ ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، دار الجيل بيروت ،لبنان، ١٤١٩هـ ،١٩٩٨م .

وقال تعالى : " **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ** " (البقرة : ٥١) .

وقال تعالى : " **وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**" (البقرة : ٩٢) .

يذكر الإمام الطبري رحمه الله أن بني إسرائيل – قوم موسى – اتخذوا عجلاً فعبدوه وقالوا هذا إلهنا وإله موسى فعكفوا عليه يعبدونه جهلاً منهم وذهاباً عن الله وضلالاً[٢] .

ويحدثنا القرآن أن هارون بريء مما نسبوه إليه ، فقد حاول صدهم عن عبادتهم للعجل ولكنهم أصروا على ضلالهم وانحرافهم وأهوائهم .

قال تعالى: "**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي* قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**" (طه:٩٠-٩١).

فلما كرر عليهم النصيحة استضعفوه وكادوا يقتلونه ويصور ذلك الذكر الحكيم على لسان هارون " **قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** " (الأعراف : ١٥٠) .

فهارون لم يألُ جهداً في نهيهم عن ضلالهم ولكن لجهلهم وعنادهم قابلوا هذا القول الحسن بالإعراض والاستمرار على غيهم وضلالهم .

فالذي صنع لهم العجل رجل منهم يُقال له (السامري) حيث انتهز ذهاب موسى لتلقي التوراة فصنع لهم عجلاً من الحلي وألقى فيه قبضة من التراب ، قال تعالى : " **قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ** " (طه : ٨٧-٨٨) .

ولقد حاول موسى عليه السلام هدايتهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة هذه الأوثان والأصنام قال تعالى : " **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** " (البقرة : ٥٤) .

ويذكر سيد قطب رحمه الله في الظلال أن موسى –عليه السلام– "حاول جاهداً تعبيد بني إسرائيل لله وحده وإخراجهم من ضلال عبوديتهم لغير الله من الأوثان والأحجار والأشخاص

---

(٢) انظر : جامع البيان ، الطبري ، المجلد السادس ، ص ٣٨٨٣ ، ج٧٥/٩ .

إلى نور عبادة الإله الذي يستحق التوجه إليه بالعبادة ولكن بُنْيَةَ بني إسرائيل النفسية المفككة الهابطة الساقطة المتداعية المتبعة للهوى أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الهدف والغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر وهي ميراث الأرض المقدسة وعبادة الله وحده ، ولكنهم لا يريدون أن يتركوا ما ألفوا من عباده المصريين والفراعنة فقد ذكرت بعض الروايات أن موسى أمضى في مصر ثلاثة وعشرين عاماً برسالته مع بني إسرائيل مجتازاً ببني إسرائيل البحر فنسوا كل هذا وطلبوا من نبيهم أن يتخذ لهم بنفسه آلهة "[٣] .

من خلال ما سبق يتبين أن توحيد الألوهية عند بني إسرائيل لم يكن عميق الجذور في نفوسهم ، فالمادية والتجسيم أكثر ما يشغلهم في الإله ، فهم لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا إليه موسى عليه السلام ودعا إليه كل الأنبياء ، فنجدهم يتبعون أهواءهم وشهواتهم ويميلون حيث يميل هواهم في اختيارهم لمعبودهم قال تعالى " **أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ** " (البقرة : ٨٧) .

فاليهود لم يعبدوا إلهاً واحداً ولكنهم أشركوا معه معبودات الأمم الوثنية فهم مقلدون يعبدون معبودات الأمم المجاورة من الأصنام والتماثيل والأحجار .

المطلب الثاني: أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة يهوه:

لقد اضطربت عقيدة الألوهية عند اليهود ، اضطراباً بالغاً ، فلم يخلُ مجال من مجالات التصور والفكر إلا دخله التحريف والافتراء والهوى ، ومن هذا الانحراف تصورهم للإله، فالإله لم يكن إلا نتاجاً يهودياً، إلهاً خاصاً بهم ليلبي أهواءهم وشهواتهم وطموحاتهم، فقد اختار اليهود لهم إلهاً خاصاً بهم وسموه يهوه .

و(يهوه) هو إله العبرانيين وهو في الأصل إله قمري ، وكان (يهوه) في العصور القديمة يرسم في صوره ثور مقدس له قرنين[٤] .

وقيل أن (يهوه) كان أول مرة إلهاً من آلهة الطبيعة (إلهاً للجمال) ثم أصبح إلهاً قبلياً مقاتلاً لأن رجال القبيلة التي عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوي شوكة وبأس ، وظل هذا شأنه وحاله حتى السبي البابلي ثم أصبح عميداً للآلهة في فلسطين[٥] .

---

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٣/٦٢٩ .

(٤) انظر : بنوا إسرائيل ، محمد بيومي مهران ، ج٤/٤١٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج٤/٤٣٨-٤٣٩ .

يذكر (أحمد شلبي) في كتابه (مقارنة الأديان اليهودية) أن عبادة اليهود ليهوه مرت بثلاث مراحل وهي :

١) عبادة يهوه قبل الهيكل :

وهذه المرحلة تبدأ عندما دعاهم موسى إليه وكان يهوه عند موسى هو الإله الواحد رمز له باسم يهوه ، ولكن بني إسرائيل لم يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية وسرعان ما عبدوا العجل في حياة موسى وبعده .

٢) يهوه مع الهيكل :

تم بناء الهيكل في عهد سليمان واعتبر الهيكل مقر إلههم الذي طالما دعاهم له الأنبياء، والذي سموه يهوه أو ياهونا وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعي استجابتهم لهذا المعبود الذي طالما نفروا منه ، وأصبح الهيكل هو مسكن الأرواح ، واعترف اليهود لغير اليهود بآلهة يعبدونها بل لم يقتنع اليهود في أكثر أحوالهم بيهوه وراحوا يعبدون آلهة هؤلاء .

٣) يهوه بعد الهيكل :

وهذا بعد الأسر البابلي فقد فكر اليهود أن (يهوه) الآن بعد أن تحطمت المدينة المقدسة وأُحرق الهيكل كان معهم .

تلك مراحل الاستنباط بين بني إسرائيل وبين إلههم يهوه(٦) .

وعقب موت سليمان عليه السلام انقسم ملكه بين ابنيه يربعام ورحبعام ، ومن هنا أصبح تغيراً في عقيدتهم فإسرائيل في الشمال عبدوا آلهة الكنعانيين (بعل) وإسرائيل في الجنوب عبدوا الإله (يهوه) إله الفقراء(٧) .

وخلاصة القول : إن العبرانيين ظلوا في الخرافات والانحرافات والأوهام يلهثون خلف أهوائهم وشهواتهم ومصالحهم في عبادة (يهوه) رغم وجود الأنبياء والصالحين من بعد موسى - عليه السلام - الذين نادوا بدعوة التوحيد وعبادة الإله الواحد إله العالمين ، إلا أن اليهود استمروا بعبادة إلههم (يهوه) ممثل في بيت بأورشليم تارة ، أو عبادة بعل إله الكنعانيين تارة أخرى فكلما أملت عليهم أهواؤهم صياغة آلهة تخدم مصالحهم شكلوا يهوه كما يريدون .

---

(٦) انظر : مقارنة الأديان اليهودية ، د. أحمد شلبي ، ج١/١٩٠-١٩٧ .

(٧) انظر : المصدر السابق ، ج١/١٩٦ .

إن مشكلة هوى النفس عند اليهود صفة دائمة ملازمة لهم ، فاليهود صاغوا إلههم كما لمسنا كإله قبلي قومي خاص بهم ، وهذا نوع من الشرك في الألوهية ، فاليهود لم يعرفوا الإله الحق في أكثر تاريخهم، قال تعالى : " **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** " (الأنعام : ٥٦) .

المطلب الثالث: أثر الهوى على توحيد الألوهية عند اليهود في عبادة عزير:

لقد ظلت قضية التوحيد عند اليهود منحرفة ، لأنهم لم يستطيعوا أن يستقروا على عبادة إله واحد ، ويظهر ذلك من خلال استقراء تاريخهم وما ورد في القرآن الكريم بشأنهم ، فها هم يدّعون أن لله ابناً ، ويقولون أن عزيراً ابن الله .

قال تعالى : " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) .

وعزير اسم حبر كبير من أحبار اليهود واسمه في العبرانية (عزرا) وكان حافظاً للتوراة، فكان اليهود يعظمون عزرا إلى حد أن أحبارهم ادعوا أن عزرا ابن الله غلواً منهم في تقديسه ، وتبعهم كثير من عامتهم[٨] .

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا : كيف نتبعك يا محمد وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله ، فأنزل الله في ذلك من قولهم " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠)[٩] .

وقيل إن العزير كان عبداً صالحاً حكيماً خرج ذات يوم إلى ضيعة له يعتادها ثم أتى إلى قرية في الظهيرة فاستراح وقال " **أَنَّىَ يُحْيِــي هَــذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** " (البقرة : ٥٩) ، لم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأماته الله مائة عام ثم بعثه الله .

والمشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وقال بعضهم لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب وأن عزير قد جاءنا بها من غير كتاب ، فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله[١٠] .

---

(٨) انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، المجلد السادس ، ج١٦٧/٦ .
(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل القرآن ، المجلد السادس ، ص ٤٢٣٧ ، ج١١١/١٠ .
(١٠) انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج٤٣٨/١-٤٤٠ .

وذكر البيضاوي أنهم إنما قالوا ذلك ، لأنه لم يبق فيهم بعد (بختنصر)[١١] من يحفظ التوراة، فلما أحيا الله عزيراً بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً ، فتعجبوا من ذلك ، وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله[١٢] .

ولقد أبطل الله مزاعم اليهود والنصارى ومشركي العرب حينما نسبوا لله ولداً بقوله تعالى : " **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " (الأنعام : ١٠١) .

فكيف يكون لله ولد ولم تكن له زوجة وصاحبة والتوالد يكون بين اثنين والله لا صاحبة له .

وقد ذكر ابن القيم بطلان الولد إلى الله من وجوه عديدة :

١- كون ما في السماوات والأرض ملكاً لله ، وهذا ينافي أن يكون فيهما ولد له لأن الولد بعض الوالد وشريكه ، فلا يكون مخلوقاً له مملوكاً له لأن المخلوق مملوك مربوب عبد من العبيد، والابن نظير الأب فكيف يكون عبده تعالى ومخلوقه ومملوكه بعضه ونظيره، فهذا من أبطل الباطل .

٢- قوله تعالى " **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ** " (الأنعام : ١٠١) ، من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد إليه ، أن من اخترع هذه السماوات والأرض مع عظمها وآياتها وفطرهما وابتداعهما ، فهو قادر على اختراع ما هو دونهما ولا نسبة له إليهما البتة ، فكيف يخرجون هذا الشخص بالعين عن قدرته وإبداعه ويجعلونه نظيراً وشريكاً وجزءاً، مع أنه تعالى بديع العالم العلوي والسفلي .

٣- إن كانت قدرته تعالى كافية في إيجاد ما يريد إيجاده بمجرد أمره وقوله (كن فيكون) ، فأي حاجة به إلى ولد وهو لا يتكثر به من قلة ، ولا يتعزز ولا يستعين به ، يعجزه عن خلق ما يريد خلقه وإنما يحتاج إلى الولد من لا يخلق ولا إذا أراد شيئاً قال له (كن فيكون) وهذا المخلوق العاجز المحتاج الذي لا يقدر على تكوين ما أراد[١٣] .

---

(١١) بختنصر بن سنحارريب الموصل غزابيت المقدسي وأخرب المدينة والهيكل وسبى بني إسرائيل ، انظر: تاريخ الطبري ، ج٣١٨/١-٣٢٣ .

(١٢) انظر تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، ج١٤٠/٣ ، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة .

(١٣) انظر : بدائع الفوائد ، الإمام شمس الدين محمد بن بكر ابن قيم الجوزية ، ج١٥٢/٤-١٥٤ ، دار الفكر للطباعة ، بدون طبعة وتاريخ.

ويقول سيد قطب في قوله تعالى " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ** " " إن السياق بيّن ضلال عقيدة أهل الكتاب هؤلاء ، وأنها تضاهي عقيدة المشركين من العرب والوثنيين من قدامى الرومان وغيرهم .... ، فلا عبرة إذن بأنهم أهل كتاب وهم يخالفون في الاعتقاد الأصل الذي تقوم عليه العقيدة الصحيحة في كتبهم "(١٤) .

ويخلص الباحث مما سبق أن قول اليهود بأن لله ولداً قول لا يستند إلى حجة أو برهان وإنما هو محض افتراء وكذب وانحراف، أملتها عليهم أهواؤهم ، وتحكمت فيهم شهواتهم فالأدلة السمعية والعقلية دلت على استحالة أن يكون لله تعالى ولد أو صاحبة، وإنما هو تقليد لمن سبقوهم من أهل الكفر والضلال، قال تعالى: "**يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**" (التوبة: ٣٠)، ولقد أنذر الله في كتابه العزيز الذين ينسبون له الولد بالعقاب الشديد.

قال تعالى : " **وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** " (الكهف : ٤-٥) .

وجاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " فيدعى اليهود فيقال لهم من كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ... "(١٥) .

وبعد هذا الاستعراض لعقيدة اليهود في توحيد الألوهية نجد أن الصورة التي رسمها اليهود في كتبهم وأسفارهم لله صورة مشوهة مليئة بالتناقض والاضطراب مليئة بالنقص وسوء الفهم رغم كل المعجزات التي حدثت أمام أعينهم إلا أن الصورة بقيت مشوهة بعيدة عن التوحيد الخالص ، مما يدلل على أن اليهود يستجيبون لدواعي الهوى ونوازعه ويركبون شتى الأهواء في سبيل المحافظة على مصالحهم .

---

(١٤) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٤/١٩٢ .

(١٥) صحيح البخاري، ج٤/١٦٧٢ ، ح٤٣٠٥ .

المبحث الخامس

أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة عيسى - عليه السلام - :

لقد بدأت النصرانية بالاعتقاد بإله واحد لا شريك له وأن عيسى – عليه السلام - عبده ورسوله ، ولكن النصارى انحرفوا عن التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام فادعوا ألوهية عيسى عليه السلام وذكروا ذلك في أناجيلهم وصدحوا به على لسان مفكريهم .

أما أناجيلهم فقد جاء في إنجيل يوحنا (أنا هو ابن الله) (يوحنا ٩: ٣٥-٣٨) ، (لأنه هكذا أحب الله هذا العالم كثيراً حتى بذل ابنه الوحيد) (يوحنا ٣: ١٦) .

وجاء في إنجيل مرقص (فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له أأنت المسيح ابن المبارك فقال أنا هو) (مرقص ١٤: ٦١-٦٢) .

وفي رسالة تيموثاوس الأولى (الله ظهر في الجسد) (تيموثاوس الأولى ٣: ١٦) ، وجاء في تيطس (إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح) (تيطس ٢: ١٣) .

وأما أقوال مفكريهم ورهبانهم وقسيسيهم فقد جاء في رابطة قراء الكتاب المقدس "وهاهو المسيح يعلن عن نفسه أنه البداية والنهاية فهو بذلك يعلن عن ألوهيته ، هو الأصل والمصدر وهو أيضاً الهدف النهائي والقصد الأخير ، هو أصل كل شيء ومنه كل خليقة تتحرك وتوجد وهو أيضاً الهدف الأخير لكل الحياة "[(١٦)] .

(الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل) (كولوسي ١: ١٦-١٧) أنه الممسك بدفتي هذا الكون البديع فكل النواميس التي تحكم العالم في نظام مذهل وحكمة رائعة، هي الحقيقة إفصاح عن كلمة الله الذي هو الأول والآخر تعني أنه الأزلي الكائن قبل كل وجود والأبدي الدائم الذي لا يزول هو السرمدي أي الأزلي والأبدي معاً[(١٧)] .

---

(١٦) كل صباح جديد ، رابطة قراء الكتاب المقدس ، ص ٣٥٥ ، ط٢ /٢٠٠١ ، طُبع بدار موبار .

(١٧) انظر : المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

ويقول (ناشد حنا) " إن الحقيقة بأن الله تنازل ليصير إنساناً محتفظاً في نفس الوقت بلاهوته وهذا بحسب قدرته الفائقة "(١٨) .

ويستدل النصارى على ألوهية المسيح أنه قَبِلَ السجود من البشر والملائكة ومن يسجد له البشر والملائكة لا يمكن إلا أن يكون إلهاً كما جاء على لسان (ناشد حنا) قوله "المسيح فقد قَبِلَ سجود البشر له في مناسبات كثيرة لأنه هو الله ... إن الرب يسوع المسيح له كل المجد إذ له كل الأسماء الإلهية والصفات الإلهية والأعمال الإلهية والذي هو موضوع الإيمان ويقدم له السجود من البشر والملائكة ، لا يمكن إلا أن يكون الله نفسه الذي ظهر في الجسد "(١٩) .

إن المتتبع لنصوص الأناجيل السابقة وأقوال علماء ومفكري النصارى يجد أنهم يؤلهون عيسى - عليه السلام - ولكن بعد استقرائنا لنصوص الأناجيل وجدنا أن هناك تضارباً وتناقضاً إذ أن بعض النصوص تصرح ببشرية عيسى - عليه السلام - وأنه نبي مرسل كما جاء على لسان عيسى عليه السلام .

وفي إنجيل متى (قال لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) (متى ٥: ١٧) .

وجاء في إنجيل يوحنا قول الرجل الأعمى (قال أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه يفتح عينيك فقال إنه نبي) (يوحنا ٩: ١٧) .

وجاء في إنجيل متى قول المسيح عند صلبه كما يدعي النصارى (إلهي إلهي لماذا تركتني) (متى ٢٧: ٤٦) .

وجاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (لأن الله واحد) (رومية ٣: ٣٠) .

من خلال النظر إلى تلك الأقوال نرى أن هناك تخبطاً وتضارباً واضطراباً في أقوال مؤلفي هذه الأناجيل ، خاصة أن هذه الأناجيل قد ألفت بعد رفع عيسى - عليه السلام - وليس لهذه الأناجيل سند تاريخي يحفظها ، فبعض الأناجيل تَعرَضَ للحذف والإضافة وبعضها يناقض بعض ، وبعضها يناقض التاريخ ، فإذا كان هذا هو حال الأناجيل وهي المصدر الوحيد الذي يدعي بنوة وألوهية المسيح ، فإن مسألة القول بألوهية المسيح لا أساس

---

(١٨) الإيمان المسيحي هل هو معقول ، ناشد حنا ، ص ٥٦ ، ط٢ .

(١٩) كتاب خمس حقائق عن المسيح ، ناشد حنا ، ص ٢٠-٢٢ ، بدون طبعة وتاريخ .

لها وهي غير موثوق بها لأن المصادر التي قالت بذلك لا تصلح أن تكون محل ثقة ، ومما يؤكد انحراف النصرانية في عيسى - عليه السلام - هو بقاء لمجموعة من النصارى الموحدين الذين لم ينجروا وراء التحريفات وعلى رأسهم أريوس المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندرية حيث أعلن أن الله هو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وأن المسيح منفصل بطبيعته عن الله، وكان أسقف مقدونية وأسقف فلسطين على رأى أريوس ، ومن الموحدين كذلك الأسقف (نسطور) حيث كان ينكر ألوهية المسيح ويقرر أنه إنسان كسائر البشر مملوء بالنعمة والبركة [٢٠] .

كما دحض القرآن الكريم فكرة بنوة المسيح وألوهيته ، وعرض دعوة عيسى عليه السلام ناصعة نقية ، وأنه عبد الله ورسوله وهو أحد الرسل الكرام من أولي العزم وأنه مخلوق ليس له من خصائص الألوهية شيء ، حيث قال تعالى : " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** " (التوبة : ٣٠) .

وقال تعالى : " **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** " (مريم : ٨٨-٩١) .

وقال تعالى : " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** " (المائدة : ١١٦-١١٧) .

وقال تعالى : " **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** " (المائدة : ٧٢) .

وقال تعالى على لسان عيسى: "**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**" (مريم:٣٠).

ويقول ابن تيمية " أن من أظهر الآيات الدالة على عدم ألوهية عيسى - عليه السلام- قوله تعالى : " **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا**

---

(٢٠) انظر : الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٠ ، دار القلم دمشق ط٢ ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، دار البشير جدة. ومحاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١١٣ .

يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ " (المائدة : ٧٥) ، حيث يقول إن هذه من أظهر الصفات النافية للألوهية لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات "[٢١] .

وقال تعالى : " **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** " (النساء : ١٧١) .

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى الذين نسبوا إلى عيسى عليه السلام الألوهية بالكفر ، قال تعالى : " **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا** " (المائدة : ٧٢) .

نخلص مما سبق أن عيسى - عليه السلام - لم يكن إلهاً ولا ابن الله في يوم من الأيام ، ولم يدع أنه إله أو ابن إله بل دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه نبيٌ ومرسلٌ إلى بني إسرائيل ، قال تعالى : " **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** " (المائدة : ٧٢) ، إلا أن اتباع النصارى لأهوائهم جعلهم ينحرفون عن عقيدة التوحيد ، فضلوا وأضلوا حتى اختفى توحيد الألوهية ، وظهر على السطح ألوهية عيسى - عليه السلام - ، وهكذا عاشت المسيحية في تخبط واضطراب إلى عصرنا الحاضر ، فالنصرانية الحاضرة لا تمت إلى عقيدة عيسى بصلة فعقيدة عيسى هي عقيدة التوحيد كما بينها القرآن الكريم .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة مريم :

إن النصارى لم يقتصروا في انحرافهم على تأليه عيسى - عليه السلام - بل قامت طائفة من النصارى بتقديس مريم - عليها السلام - ، حتى رفعوها إلى مرتبة الألوهية ، هذا الغلو في مريم لم يرد على لسان عيسى - عليه السلام - ، ولا على لسان مريم - عليها السلام- ، إنما هو هوى وانحراف عن عقيدة التوحيد الخالص التي جاء بها عيسى - عليه السلام - .

يقول ابن تيمية : " منهم من يجعل مريم إلهاً مع الله كما جعل المسيح إلهاً فإن قالوا بذلك جعلوا لله صاحبة وولداً ، وجعلوا المسيح ابن مريم وأمه إلهين من دون الله ، كما فعل

---

(٢١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ج١/٣١١ .

ذلك من فعله منهم ، فإنهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها إلهاً كما يجعلون المسيح إلهاً ، فيقولون يا والدة الإله اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك ، فيطلبون منها ما يطلبون من الله عز وجل "[٢٢] .

وهناك من الفرق التي كانت تؤله مريم فرقة البربرانية أو المريمانية وقد كانوا في الأصل يعبدون كوكب الزهرة ويسمونها ملكة السماء ، وكانوا يقولون " إن الشمس تزوجت القمر فأنجبا الزهرة ، وقد بالغ أصحاب هذا الرأي في عبادة مريم العذراء وتأليهها وكانوا يقدمون لها نوعاً من القرابين عبارة عن أقراص العجين والفطائر ، فعرفوا بالفطائريين ، وكانوا ينادون بثالوث مكون من الله والمسيح ومريم وقد انتشر هؤلاء في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية ، ولكنهم لم يكونوا كغيرهم من المسيحيين بل كانوا أقل عدداً وانتشاراً "[٢٣] .

ويذكر أبو زهرة : إن فرقة البربرانية كانت تدعي بأن المسيح وأمه إلهان ، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته في قوله تعالى مبيناً ما يكون بينه سبحانه وتعالى وبين عيسى - عليه السلام - من قول يوم القيامة ، قال تعالى : " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (المائدة : ١١٦-١١٨)[٢٤] .

ولقد رد ابن تيمية على افترائهم وكذبهم على المسيح وأمه القول بألوهيتهما بقول الله تعالى : " **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** " (المائدة : ٧٥) ، فقال إن هذه الآية من أظهر الصفات النافية للألوهية لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات ، والله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والنصارى تقول إنه يلد وإنه يولد وإنه له كفواً[٢٥] .

---

(٢٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ج٣/٢٠٣ ، وج٣/٤٥-٤٦ .

(٢٣) www.geocities.com/christiantyandisslam/hidava7a.htm.

الشريعة الإسلامية سلسلة هداية المؤمنين للحق المبين .

(٢٤) انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٤١ .

(٢٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ج١/٣١١ .

نخلص مما سبق أن مريم -عليها السلام - مخلوقة مربوبة وأن عيسى - عليه السلام - لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله وإنما قال لهم ما أمره الله عزل وجل به " **أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** " (المائدة : ١١٧) ، ولكن النصارى ألهوا مريم لِهوىً في نفوسهم وجرياً وراء شهواتهم وإلا فمتى يصح أن يكون المخلوق إلهاً ورباً يعبد ، وهو يأكل ويشرب ويولد ويهرم ويمرض فهذه صفات كلها تنافي خصائص الألهوهية ، فكيف يدّعون أن مريم إله وينسبون إليها صفة الولادة والأكل والشرب والله سبحانه وتعالى يقول " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (سورة الإخلاص) .

ولقد بين الله سبحانه وتعالى بشرية مريم في كتابه العزيز بأنها بشر مخلوقة طاهرة عفيفة ليست بإله ولا أم إله ، قال تعالى : " **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** " (المائدة : ٧٥) .

وقال تعالى : " **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** " (آل عمران : ٤٢-٤٣).

ولقد امتدح الله تعالى طهارة مريم في كتابه العزيز ، قال تعالى : " **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** " (التحريم : ١٢) .

هذه الآيات القرآنية وغيرها تَرُدُّ على أولئك القائلين بألوهية مريم وتقرر بشريتها وتبين أن النصارى ما قالوا ذلك إلا اتباعاً لأهوائهم وشهواتهم .

المطلب الثالث : أثر الهوى على توحيد الألوهية عند النصارى في عبادة الروح القدس :

لقد كان النصارى في زمن عيسى عليه السلام يؤمنون بالروح القدس (جبريل) على أنه ملك مرسل إلى نبي الله عيسى عليه السلام وأنه هو الناموس الذي نزل على الأنبياء والمرسلين، ولكن النصارى بعد عصر عيسى عليه السلام وحواريه انحرفوا عن عقيدة التوحيد الخالصة التي جاء بها عيسى فقالوا بألوهية الروح القدس ، ويستدلون على ذلك بنصوص من الأناجيل المحرفة منها .

ما جاء في أعمال الرسل أن الروح القدس هو الله قال بطرس لحنانيا (لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمرة الحقل ... أنت لم تكذب على الناس بل على الله) (أعمال الرسل ٥: ٣-٤) .

ووصفوا الروح القدس بخصائص لا تكون إلا لله كصفة الإحياء ، كما جاء في إنجيل يوحنا (الروح هو الذي يحيي) (يوحنا ٦: ٦٣) .

كما ادعوا أيضاً أن روح القدس يعلم كل شيء كما جاء في رسالة كورنثوس الأولى (لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ... هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحدٌ إلا روح الله) (كورنثوس الأولى ٢: ١٠-١١) .

و من أقوال علمائهم التي تشهد بألوهية الروح القدس ، يقول القس يسي منصور "إن الروح القدس هو الله الأزلي ، فهو الكائن منذ بدء الخليقة، والخالق لكل شيء والقادر على كل شيء والحاضر في كل مكان وهو السرمدي غير المحدود"[٢٦].

ويبين هانز جورج لينك : إن الروح القدس هو الرب وكونه أقنوماً إلهياً ، فهو يأخذ مكانة الله الرب والمسيح الرب ، وباعتراف الكنيسة بالروح القدس إنه الرب ، وأن قانون الإيمان يؤكد أن ألوهية الروح هي بالضبط ألوهية الأب والابن ، وعليه فإن الكنيسة تؤسس تعاليمها وعقيدتها على الثالوث الأقدس لثلاث أقانيم إلهية الأب والابن والروح القدس في وحدة تامة للكائن الإلهي الواحد نفسه والروح القدس هو معطى الحياة (المحيي) فهو ينبثق من الله الأب خالق الحياة وبدونه لا يكون شيء حي .

وروح القدس روح الله مع الأب والابن نعبده ونمجده فهو الرب ، فالروح القدس لا يُعترف به قط ولا يُفهم منفصلاً عن الإله الواحد وابنه وكلمته الذي هو روحه ، فالإيمان بالروح القدس يتمشى دائماً مع الإيمان بالله ويسوع المسيح بالإله الواحد وبالرب يسوع وبالروح القدس الرب المحيي[٢٧] .

يتبين من خلال النظر في نصوص الأناجيل وأقوال القسيسين والرهبان أن الغرور والهوى وصل بالنصارى إلى درجة الادعاء بأن الروح القدس نفسه الإله وذلك بقولهم الروح القدس هو الله الأزلي ، وهو المحيي وعالم الغيب والعليم بكل شيء ، فإطلاق هذه الخصائص

---

(٢٦) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد أحمد الحاج ، ص ٢٣٥ ، دار القلم دمشق ط/٢ ، ٢٠٠٢م ، نقلاً عن كتاب الله واحد أم ثالوث، حمدي مرجان ، ص ١١٦ .

(٢٧) انظر : كتاب إله واحد ورب واحد روح واحد ، تفسير معاصر للإيمان الرسولي ، هانز جورج لينك ، ص ٢٤٧-٢٥٤ ، ترجمة بهيج يوسف يعقوب ، دار الثقافة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

الإلهية على الروح القدس لهو انحراف وهوى وضلال لأن هذه الصفات لا يجوز إطلاقها إلا على الله سبحانه وتعالى وإطلاقها على غير الله هو كفر بواح .

إن هذه العقائد المنحرفة والضالة إنما دخلت على النصرانية بعد اختلاطها في المجتمعات الوثنية التي عددت الآلهة فألهت الأحجار والأشجار والأشخاص ، فعيسى عليه السلام براء من كل ما يقولون ، وإن قولهم هذا هو محض افتراء على دين عيسى وعلى الروح القدس ؛ مما يدلل على فساد عقيدة النصارى في ألوهية الروح القدس أنهم لم يتفقوا على ألوهيته في مجمع (نيقيه) وإنما قالوا بألوهيته في مجمع القسطنطينية حيث قالوا : " ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوقة ، فقد قلنا أن روح الله مخلوقة ، وإذا قلنا أن روح الله مخلوقة قلنا أن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حي ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن "[٢٨] .

والذي تزعم القول بألوهية روح القدس هو بطريرك من بطارقة الإسكندرية فقال أن المسيطر على العالم قوى ثلاث :

١- المكون الأول وهو الله يسمونه الأب .
٢- العقل ويقصدون به المسيح ويسمونه الابن .
٣- النفس العامة ويقصدون به روح القدس[٢٩] .

تلك هي المجامع التي حرفت وغيرت وبدلت النصرانية من التوحيد إلى التثليث فهي تأله عيسى تارة ، وتأله مريم تارة أخرى ، وتأله الروح القدس تارة ثالثة ، إنها تصنع للنصارى إلهاً على حسب أهواء الرهبان والقسيسين والسلاطين .

ولقد بين القرآن الكريم أن الروح القدس (جبريل) - عليه السلام - ما هو إلا ملك مرسل من ملائكة الله عز وجل، قال تعالى: "**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**" (البقرة : ٢٥٣)، وقال تعالى: "**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**" (الشعراء : ١٩٣-١٩٥) ، وقال تعالى : " **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ**

(٢٨) الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٦٦ ، ومقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج١٥٢/٢ ، نقلاً عن كتاب Pengadjaran Deredja Katolik p. 93 ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ج٣٥/٣ ، ومحاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص ١٢٣ .
(٢٩) انظر : الميزان في مقارنة الأديان ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ١٦٤-١٦٥ .

بِالْحَقِّ " (النحل: ١٠٢)، وقال تعالى : " **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا** " (الشورى : ٥٢) .

إن إضافة الروح القدس أو أي مخلوق من مخلوقات الله إليه هو إضافة تفضل وتكريم وتشريف ، كما خص الله ناقة صالح من بين النوق كلها بالإضافة إليه بقوله تعالى : "**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** " (الشمس : ١٣) .

وكما خص بيته الحرام فقال تعالى : " **أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ** " (البقرة : ١٢٥) . وإضافة الروح إلى الله من هذا الباب .

إذن جبريل الروح القدس عليه السلام هو أحد الملائكة الذين يعملون بأمر الله وهو عبد الله ولن يستكبر عن عبادة ربه قال تعالى : " **لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** " (النساء : ٧٢) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت " إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله "[٣٠] ، وفي رواية قال رسول الله لحسان بن ثابت " إن روح القدس معك ما هجيتهم "[٣١] .

ومن خلال هذه النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وأناجيل النصارى يتبين أن روح القدس تنزل على العديد من الأنبياء والمرسلين فليس المسيح وحده مختص بالروح القدس دون غيره ولم نسمع أن أحداً من المرسلين الذين جاءهم الروح القدس أنه نسب للروح القدس الألوهية أو نسبها لنفسه وبهذا يتبين أن الروح القدس ليس إلهاً كما يعتقد النصارى وإنما هو ملك من ملائكة الله يعمل بأمر الله كما قال تعالى " **مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** " (التكوير : ٢١) .

---

(٣٠) صحيح مسلم ، ج١٩٣٦/٤ ، ح٢٤٩٠ .

(٣١) صحيح ابن حبان ، ج٩٦/١٦ ، ح٧١٤٦ .

الفصل الثالث

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول : عقيدة توحيد الأسماء والصفات في الإسلام :

المطلب الأول : تعريف الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الثالث : منهج القرآن الكريم في بيان توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الرابع : نواقض توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام .

المبحث الثالث : اثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند الأمم الوثنية :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند الأمم الوثنية .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند الأمم الوثنية .

المبحث الرابع : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند اليهود :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند اليهود .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند اليهود .

المبحث الخامس : أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند النصارى :

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند النصارى .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند النصارى .

الفصل الثالث

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات من أهم مباحث علم التوحيد إذ أن العباد لا يمكن أن يعرفوا ربهم حق المعرفة إلا إذا تعرفوا عليه من خلال النصوص التي وردت في الكتاب والسنة والتي فصلت وبينت ووضحت أسماءه وصفاته بما لا يدع مجالاً للزيادة أو النقصان ، فالله أعلم بأسمائه وصفاته . والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وعليه فلا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ولا يُسمى الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، وليس للعقل أو الإلهام وغيرها دور في إثبات أو نفي صفة لم ترد في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ودور العقل هنا أن يتلقى النصوص الشرعية ويفهم ما تتضمنه هذه النصوص من معاني أسماء الله وصفاته ، وقد نشأ حول توحيد الأسماء والصفات انحراف في التصور عند كثير من الفرق الضالة والمبتدعة فدخلت تحت قوله تعالى : " **وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** " (الأعراف: ١٨٠) ، وخالفوا ما أثبته الله لنفسه، قال تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** " (الذاريات : ٥٨)، وقال تعالى : " **فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** " (فاطر : ١٠) ، فخرجوا بذلك عن منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات ، وهذه الدراسة تكشف عن منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات ، وتسلط الضوء على الانحرافات التي شطح أصحابها عن هذا المنهج الأصيل من مبتدعة ينتسبون إلى الإسلام أو أمم وثنية أو نصرانية أو يهودية عندما دخلت الأهواء وأصبحت الشهوات تتحكم في الإنسان فخرج عن المنهج السوي والصراط المستقيم .

المبحث الأول

توحيد الأسماء والصفات في الإسلام

المطلب الأول : تعريف الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً :

الأسماء لغة :

اسمُ الشَّيْءِ وَسَمُهُ وسِمُهُ وسُمُه وسَمَاهُ : علامته .

وقال الزجاج : معنى قولنا اسمٌ هو مشتق من السُّموِّ وهو الرِّفعة .

وقال الجوهري : جمعه أسماء وتصغيره سُمَيٌّ .

وفي التنزيل " **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** " (البقرة : ٣١) .

قيل علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات .

وقيل (وَسَمَ) الشيء (يَسِمُهُ) وَسماً ، وسِمَةً : كواه فأثر فيه بعلامة(٣٢) .

يتضح مما سبق أن الاسم في اللغة يأتي بمعنى العلامة والرفعة والسمو .

الصفات لغة :

الصفة : وَصَفَ الشيء له وعليه وصْفاً وصِفةً والوصْف وصفك الشيء بحِلْيته ونَعْته قال تعالى: "**وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**" (الأنبياء:١١٢) والصفة كالعِلْم والسواد .

والصِّفة : الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته ونعته وصفاً وصِفةً : نعته بما فيه وقيل وصفت الشيء وصفاً وصفة والصِّفَةُ كالعلم والجهل والسواد والبياض والوصف قد يكون حقاً وباطلاً، قال تعالى : " **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ** " (النحل : ١٦)(٣٣) .

يتضح مما سبق أن الصفة في اللغة تأتي بمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء وقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً .

---

(٣٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة سما، ج١٤/٤٩٣-٤٩٤، والمعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وآخرون، ج٢/١٠٣٢، وبصائر ذو التمييز، الفيروز أبادي، ج٥/٢١٧، ، والقاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص ١٠٥٦ ، ط١/١٩٨٦ ، مؤسسة الرسالة .

(٣٣) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة وصف ، ج٩/٤٢٥-٤٢٦ ، وبصائر ذو التمييز ، الفيروزأبادي ، ج٥/٢٢٣ ، والمعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ج٢/١٠٣٦ ، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي ، ص ١١١١ .

الأسماء والصفات اصطلاحاً :

" هو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله وناطق السنة من الأسماء والصفات من غير زيادة عليها ولا نقصان ولا تجاوز لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها "(٣٤) .

ويعرف (ابن مندة) الأسماء والصفات بأنه " هو إثباتها كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ولا تجوز المجاوزة لوصفهما مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف بل على أساس قوله تعالى "**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**" (الشورى : ١١) "(٣٥) .

يتضح مما سبق أن إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه الذي يليق بالله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل هو منهج سلفنا الصالح وعليه وجب إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت ، والإيمان بها حق الإيمان وأنها أسماء له سبحانه وأن معانيها حق موصوف بها الله عز وجل كالرحمن والرحيم والعزيز والقدير والحكيم إلى غير ذلك من الأسماء والصفات من غير سؤال عن كيفيتها وكنهها ، لأنه لا يعلم كيفية صفاته إلا هو قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) .

لذلك لا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل .

المطلب الثاني : الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات :

يقوم منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات على أسس وقواعد ثابتة مستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة وهي :

الأساس الأول : إثبات ما أثبته الله ورسوله ﷺ :

يثبت السلف ما أثبته الله لنفسه من صفات أو أثبته له رسوله ﷺ وينفون ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ .

---

(٣٤) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١/١٨ .

(٣٥) الإيمان ، للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى ابن مندة ، ج١/٤٦ ، تحقيق علي الفقيهي ، دار ابن حزم ، ط/٤.

وهذا ما أشار إليه شيخ الإسلام (ابن تيمية) في قوله : " الأصل في باب الصفات أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه "[٣٦].

ويضيف شيخ الإسلام (ابن تيمية) : " فالواجب أن ينظر في هذا الباب فما أثبته الله عز وجل ورسوله أثبتناه وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والألفاظ التي ورد بها نص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني وننفي ما تنفيه النصوص من الألفاظ والمعاني "[٣٧] .

وبذلك لا يجوز أن نشتق لله تعالى اسماً أو صفة إذا لم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة ويجب أن نؤمن بالأسماء والصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ولا نعطلها أو ننفيها أو نجحدها، فالمؤمنون يصفون الله تعالى بكل ما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فيقولون إن الله يسمع ويبصر واستوى على عرشه إلى غير ذلك من الصفات ، وبذلك يكون المؤمنون في مأمن من التناقض الذي يقع فيه جميع أهل البدع والأهواء المنطلقون من منطلقات بعيدة عن الكتاب والسنة ، فأهل الحق السائرون على منهج السلف يثبتون لله تعالى الصفات التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ على وجه يليق بجلاله.

ومن هنا وجب الاقتصار فيما يثبت لله من أسماء وصفات على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة ، ويُمررها على معانيها الظاهرة في لغة العرب دون نفي لمعانيها أو تعطيل لمدلولاتها أو تحريف لها بالزيادة أو النقصان .

الأساس الثاني : اعتقاد أن أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها كاملة عليا :

يعتقد أهل السنة والجماعة أن صفات الله لا نقص فيها وأن أسماءه أحسن الأسماء قال تعالى " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** " (الأعراف : ١٨٠) ، وقال تعالى " **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (الحشر : ٢٤) .

قال شيخ الإسلام : " الكمال ثابت لله عزل وجل بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تبارك وتعالى بنفسه المقدسة وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه "[٣٨] .

---

(٣٦) مجموع الفتاوى ، إبن تيمية ، ج٣/٣ .
(٣٧) منهاج السنة ، ابن تيمية ، ج٢/٥٥٤-٥٥٥ .
(٣٨) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٦/٧١ .

ويرى (الإمام ابن القيم) بأن " صفات الله كلها كمال محض فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها "(٣٩) .

يتضح مما سبق أن الله عز وجل له الكمال والتنزيه المطلق في صفاته وأسمائه فصفات الله كلها كمال كالعلم والسمع والبصر وغيرها من صفات الله لأن الرب كامل فوجب كمال أسمائه وصفاته ، أما إذا كان في الصفة والاسم نقصاً فهي ممتنعة في حق الله ، فالله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه .

الأساس الثالث : تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل وكل صفات النقص :

تُنزّه أهل السنة والجماعة الله تنزيهاً مطلقاً عن مماثلة ومشابهة الخلق قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) .

ويقول القاضي ابن العز الدمشقي : " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولكن لفظ التشبيه قد صار كلام الناس لفظاً وجملاً يُراد به المعنى الصحيح وهو ما نفاه القرآن من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) ، وهذا رد على الممثلة المشبهة "(٤٠) .

وبذلك يجب الإيمان بصفات الله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ونؤمن بالله على مراد الله .

الأساس الرابع : إجراء الصفات على ظاهرها كما جاءت في الكتاب والسنة :

منهج أهل السنة والجماعة هو إثبات الصفات لله تعالى على حقيقتها كما جاءت في الكتاب من غير تأويل للصفات يخالف مقتضى اللفظ ومعناه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن مذهب السلف إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها والمقصود بإجرائها على ظاهرها هو المعنى الذي يظهر من اللفظ وفق ما تفقهه العرب من كلامها "(٤١) .

---

(٣٩) بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ج١/١٦٧-١٦٨ .

(٤٠) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١/٥٧ .

(٤١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٣٣/٧٧ .

ويقول الإمام المقدسي : " درج السلف وأئمة الخلف - رضي الله عنهم كلهم – متفقين على الإقرار والإصرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله "(٤٢) .

ويذكر شارح العقيدة الطحاوية " بأن الله سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله فيما أخبرنا به من صفاته وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه "(٤٣) .

ومن خلال ما سبق يتبين أنه يجب الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من الأسماء والصفات وإقرارها كما جاءت وأن الله موصوف بها على الحقيقة لا على المجاز على الوجه اللائق ، قال تعالى : " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (سورة الإخلاص : ١-٤) ، وقال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) .

الأساس الخامس : الوقف في أسمائه وصفاته :

ذهب السلف إلى أن أسماء الله وصفاته توقيفية أي أنهم لا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ولا يثبتون شيئاً بمقتضى عقولهم وتفكيرهم ولا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله وما لم يصرح به الكتاب والسنة ، فالسلف يتوقفون فيه بناءً على هذا الأصل العظيم .

يذكر (شيخ الإسلام ابن تيمية) أن السلف والأئمة لم يدخلوا مع الطوائف فيما ابتدعوه من نفي وإثبات بل اعتصموا بالكتاب والسنة ورأوا ذلك هو الموافق لصريح العقل فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقاً يجب الإيمان به وإن لم تعرف حقيقة معناه(٤٤) .

ويؤكد الإمام المقدسي ذلك بقوله : " أسماء الله توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا يُنقص ، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما لا يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على الشرع ، لأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك "(٤٥) .

---

(٤٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ، ص ٣٥ ، شرح محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط٣ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

(٤٣) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١/٧١ .

(٤٤) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٦/٣٦ ، وج٣/٤١ .

(٤٥) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، الإمام بن قدامة المقدسي ، ص ٢٣ .

وعليه فيجب التوقف مطلقاً عن إطلاق أسماء أو صفات الله التي لم ترد في كتاب الله وسنة رسوله ، فالله هو الأعلم بنفسه ورسولُه لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكل من خالف في هذا المنهج فهو متقول على الله بغير علم ، ورجمٌ بالغيب وهذا ما وقع فيه بعض الفرق المخالفة كالمعتزلة وبعض الأشاعرة والكرامية وغيرهم .

الأساس السادس : عدم الإلحاد في أسماء الله وصفاته :

إن من معالم عقيدة أهل السنة والجماعة عدم الإلحاد في أسماء الله وصفاته ، قال تعالى : "**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**" (فصلت : ٤٠) ، وقال تعالى : " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ** " (الأعراف :١٨٠) .

يبين ابن القيم رحمه الله أن : أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حُسنى ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد ، والإلحاد تسمية الأوثان بها كما يسمونها آلهة وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب بها وإدخال معانيها فيها وإخراج معانيها عنها هو حقيقة الإلحاد فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات المصنوعات[٤٦] .

ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته :

١- التكذيب بأسماء الله أو ببعض هذه الأسماء ، قال تعالى : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** " (الفرقان : ٦٠) ، أي لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن ، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل أما بسم الله فلا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم "[٤٧] وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا لا نعرفه ولا نقر به[٤٨] .

---

(٤٦) انظر : مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، ج١/٣٦-٣٨ بتصرف .

(٤٧) صحيح مسلم ، ج٣/١٤١١ ، ح ١٧٨٤ .

(٤٨) تفسير القرآن الكريم ، ابن كثير ، ج٦/٢٥٦١ .

٢- وصف الخالق بصفات المخلوق : كتشبيه الفرق الضالة من المشبهة والمجسمة والخابطية والكرامية[٤٩] صفات الله وذاته بصفات وذات المخلوق وقالوا أن يد الله مثل يد الإنسان ووجه الله كوجه الإنسان وكذلك باقي الصفات كالسمع والبصر والنزول وغيرها. وتشبيه اليهود الله بصفات النقص كقولهم " **يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ** " (المائدة : ٦٤) ، وقولهم " **إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء** " (آل عمران ، ١٨١) ، وتشبيه النصارى الله بصفات المخلوقات وإطلاق (الأب) كاسم من أسماء الله .

٣- وصف المخلوق بصفات الخالق : كما وصف فرعون نفسه بالربوبية والألوهية عندما قال "**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**" (النازعات: ٢٤)، وقال "**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**" (القصص: ٣٨)، وكما وصف النمرود نفسه حينما ادعى أنه يملك صفات الله كالإحياء والإماتة فقال " **أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيتُ** " (البقرة : ٢٥٨) ، وكما وصف المشركون أصنامهم حينما سموا الأصنام بأسماء مشتقة من أسماء وصفات الله مثل اللات وهي مشتقة من لفظ الجلالة الله ، والعزى مشتقة من العزيز ، وكما وصف النصارى عيسى - عليه السلام - بصفات الألوهية " **وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) ، وكما وصف اليهود عزير -عليه السلام - بصفات الألوهية " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) .

يتضح مما سبق أن التكذيب بأسماء الله أو ببعضها ، أو إضافة النقص لله في أسمائه وصفاته أو في بعضها أو وصف المخلوق بصفات الخالق إنما هو من الإلحاد لقوله تعالى " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** " (الأعراف : ١٨٠) ، فالله سبحانه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص. قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** " (الشورى : ١١) ، وقال تعالى : " **فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ** " (النحل : ٧٤) .

الأساس السابع : قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات :

يقوم منهج السلف على قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ، وإقرارها من غير سؤال عن كيفيتها ولا بحث عن كنهها ، لأن معرفة كيفية الصفة متوقف على معرفة كيفية الذات ، وبما إننا لم نقف على ذات الله سبحانه فلا يصح السؤال عن ذاته ، فكذلك لا

---

(٤٩) الكرامية : أصحاب محمد بن كرام من سجستان دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أن جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه وقد وصف معبوده بأنه جوهر كما زعمت النصارى ، الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج١/ص ١٠٨ .

يصح السؤال عن كيفية تعلق الصفة بالذات ، فالعقل أعجز من أن يستطيع التعرف على حقيقة صفاته المتعلقة بذاته وكل من حاول في هذا الضرب وقع في بيداء التيه والضلال وضل سواء السبيل ولا يرجع إلا بالحيرة والخيبة والندم ، فمهما تصورت العقول وتوهمت في ذات الله وتعلق الصفة بها فالله بخلاف ما توهمت العقول ، لأن هذا من علم الغيب الذي لا يقع على الحواس ولا يمكن للعقل أن يدركه و أن يتعرف على حقيقته ومحتواه .

ويخطئ كثير من الناس عندما يجعل عقله حكماً على كل شيء حتى فيما لا يحسن العمل فيه إذ أن العقل يتخيل ويتوهم ما يجري على حواسه وذات الباري وتعلق الصفات بها ليس للعقل وسيلة للولوج إلى عالمه ولا معرفة حقيقته ، وعلى العقل السليم التسليم فيما جاء به القرآن والسنة من صفات الله ، فالوحي هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن نتعرف بها على صفات الله .

فمن ولج بعقله باب الكنه والكيفية رجع هالكاً كما قال ﷺ " تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا "[٥٠] .

وهذا المنهج هو ما سار عليه سلفنا الصالح ، التسليم المطلق بصفات الله دون البحث عن كيفيتها وكنهها ، فعندما سئل الإمام مالك – رحمه الله - عن الاستواء قال : " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "[٥١] إذن فقد اتفقوا على أن الكيف غير معلوم والسؤال عن هذا الكيف بدعة في الدين وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، ولو سأل سائل مثلاً كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ كما جاء في الحديث " ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير يقول من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له[٥٢] .

نقول للسائل : كيف هو ؟ فإذا قال لا أعلم كيفيته قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع وتابع له[٥٣] .

---

(٥٠) العظمة ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد ، ج٢١٥/١ ، ح٤ ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

(٥١) مجموع الفتاوي ، ابن تيمية ، ج٣٦٥/٥ .

(٥٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣٨٤/١ ، ح ١٠٩٤ .

(٥٣) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٢٥/٣ .

إذن وجب علينا أن نقطع الطمع عن إدراك معرفة وكنه الصفات فلا نسأل عن كيفية سمعه أو بصره أو استوائه لأننا لا نعلم كيفية ذاته سبحانه مع الإقرار بأن صفات الله هي صفات الكمال والجلال التي لا يشابهها أحد من مخلوقاته ، قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) .

ومما سبق ذكره نجد أن العقل البشري عندما يتخبط في البحث عن الذات الإلهية يقع في التشبيه والتعطيل والتحريف والتمثيل والتجسيد ، لذلك جاء الإسلام بالتوحيد الخالص لينقذ الناس من الحيرة والتخبط والضلال ، قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**" (الشورى : ١١).

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في بيان توحيد الأسماء والصفات:

إن المتأمل لمنهج القرآن في عرض توحيد الأسماء والصفات ، يجد منهاجاً واضحاً ودعوة ميسرة للتدبر والتأمل ، ليتعرف الإنسان على ربه ويعبده حق عبادته ، ولقد تحدث القرآن الكريم عن حقيقة الأسماء والصفات باعتبارها أحد أنواع التوحيد الثلاث وتناولها بشكل واسع دقيق مفصل ، فأعطى صورة شاملة كاملة وتفسير جامع مفصل ، ولذلك فقد سلك القرآن الكريم أساليب عدة وبراهين متنوعة واضحة ودقيقة ساقها للتدليل على توحيد الأسماء والصفات ومن هذه المسالك :

المسلك الأول : ظواهر نصوص توحيد الأسماء والصفات مفهومه لدى المخاطبين(٥٤) :

يمتاز المنهج القرآني بالبساطة والسهولة واليسر والوضوح مما يجعل إدراك وفهم العقيدة الإسلامية سهلاً وميسراً لكافة المستويات من الناس على اختلاف مشاربهم ومداركهم فكلام الله وكلام رسوله عربي مبين لا سيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته .

ومعاني كتاب الله تعالى موافقة لمعاني كلام العرب ، كما أن ألفاظه موافقة لألفاظها .

يذكر الإمام أبو الحسن الأشعري في معرض حديثه في إثبات صفة اليدين لله تعالى واستدلاله على ذلك بالكتاب والسنة فقال : " وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عز وجل إنما

---

(٥٤) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، عثمان بن علي حسن ، ج٢/٤٣٧-٤٤١ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٤ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها وكان لا يجوز في لسان البيان أن يقول القائل : فعلت بيدي ، ويعني النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل (بيدي النعمة...) "[٥٥] .

قال تعالى : " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ** " (الأعراف : ١٨٠) .

وقال تعالى : " **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (طه : ٨) .

وقال تعالى : " **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (الحشر : ٢٤) .

وبذلك يتبين أن المنهج القرآني يعرض توحيد الأسماء والصفات بسهولة ويسر وهذا ما يميزه عن كتب الفلاسفة وعلم الكلام التي صبغت بالتعقيد والجفاف ، فوقع الناس من وراء ذلك في الشك والريبة والضلال .

المسلك الثاني : ظواهر نصوص توحيد الأسماء والصفات مطابقة لمراد الله[٥٦] :

الأصل إجراء نصوص الأسماء والصفات الواردة في القرآن كما هي دون تعرض لها بتحريف أو تعطيل أو نحوهما ، واعتقاد أن ظاهرهما يطابق مراد المتكلم بها .

والمراد بالظاهر في هذا الباب هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني وأنه ليس لها معنى باطن يخالف ظاهرها .

وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق آخر، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه.

فمثلاً تقول : صنعت هذا بيدي ، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى " **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**" (ص : ٧٥) لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له ، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به ، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو العكس . وإذا تقرر هذا فظاهر نصوص الأسماء والصفات ما يتبادر إلى الذهن من المعاني.

---

(٥٥) الإبانة عن أصول الديانة، بتقديم الشيخ صالح الفوزان، ص ٥٤، الرياض، بدون طبعة، بدون تاريخ .

(٥٦) انظر : منهج الاستدلال عن مسائل الاعتقاد ، عثمان حسن ، ج٣٩١/١ ، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد الصالح العثيمين ، ص ٧٩-٨٠ ، أضواء السلف ، الرياض ، طبعة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

وعليه فمنهج القرآن يمتاز بالتوافق والانسجام لا التناقض والاختلاف فظاهر نصوص توحيد الأسماء والصفات يوافق باطنها لفظاً ومعنى .

المسلك الثالث : مناقشة شبهات المشركين والملحدين :

تجرأ كثير من المشركين على الله فنفوا أسماءه وعطلوا صفاته وأوّلوها قال تعالى : على لسانهم : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**" (الفرقان : ٦٠) ، وقال تعالى : " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ** " (الأعراف : ١٨٠) ، فرد الله عليهم بقوله تعالى : " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (سورة الإخلاص : ١-٤) .

وقال تعالى على لسان اليهود : " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ**" (المائدة : ٦٤) فرد الله عليهم بقوله : " **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" (المائدة : ٦٤) . ورد الله تعالى على شبهة اليهود عندما وصفوا الله بالتعب فقالوا خلق الخلق في ستة أيام واستراح في السابع قال تعالى : " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** " (ق : ٣٨) ، وقال تعالى على لسان النصارى : " **وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) فرد الله باطلهم وضلالهم وأبان الحق ودفع الباطل عندما ناقش شبهاتهم وبين حقيقة الشرك الذي وقعوا فيه عندما نسبوا لله ما لا يليق بكماله ولم ينزهوا الله عن النقائص والعيوب كالأب والابن والروح القدس قال تعالى : " **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ** " (المائدة : ٧٣) ، ويسرد لنا القرآن حوار وجدال رسل وأنبياء الله عليهم السلام مع أقوامهم وكيف بينوا لهم أن هذه المعبودات التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً فكيف تقبل عقولهم أن يعبدوها بدلاً عن الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، فهذا إبراهيم – عليه السلام - يحاجج أباه وقومه ، قال تعالى في محاجته لأبيه : " **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** " (مريم : ٤٢) .

وقال تعالى في محاجته لقومه : " **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** " (الشعراء : ٧٢-٧٣) .

وقال تعالى : "**أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**" (الأنبياء: ٦٦-٦٧).

وهكذاقطع القرآن الكريم حجج الكافرين والملحدين الذين ألحدوا في أسماء الله وأضافوها إلى المخلوق الضعيف العاجز الذي لا يستطيع أن يملك النفع والضرر لنفسه فكيف بغيره .

المسلك الرابع : الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات :

لقد وصف الله تعالى نفسه في كتابه العزيز أنه بكل شيء عليم ، وأنه على كل شيء قدير ، وأنه عزيز حكيم ، وأنه غفور رحيم ، وأنه يحب المتقين وغير ذلك وهذا في الإثبات.

أما في النفي فإنه أجمل في الصفات ، فقال تعالى: " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) وقال تعالى: " **فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً** " (البقرة : ٢٢) ، وقال تعالى : " **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (الإخلاص : ٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل ولهذا قال سبحانه وتعالى : " **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** " (الصافات : ١٨٠-١٨٢) ، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ، وطريقة الرسل هي ما جاء بها القرآن ، والله تعالى في القرآن الكريم يثبت الصفات على وجه التفصيل وينفي عنه على طريق الإجمال والتشبيه والتمثيل "[(٥٧)] .

ويؤكد الدكتور (سليمان الأشقر) ذلك بقوله : " والسر في الإثبات المفصل والنفي المجمل أن النفي المحض لا يستلزم إثباتاً ليس بمدح ولا ثناء لأنه عدم والذي يكون به المدح والثناء والتمجيد والتعظيم هو صفات الإثبات فلا يثبت الله لنفسه صفة سلب إلا إذا كانت متضمنة لثبوتٍ كالأحد فإن هذه الصفة متضمنة لانفراده في الربوبية والألوهية "[(٥٨)] .

يتضح مما سبق أن هذا المنهج يخالف ما درج عليه أصحاب الفرق الضالة والمنحرفة الذين فصلوا في النفي ، وأجملوا في الإثبات فهم يقولون عن الله مثلاً " ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ... "[(٥٩)] ، فخالفوا بذلك منهج القرآن الكريم في إجمال النفي وتفصيل الإثبات كقوله تعالى " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** " (الشورى : ١١) .

وخلاصة القول أن التمسك والالتزام بمنهج القرآن الكريم في توحيد الأسماء والصفات فيه اعتراف حقيقي بأن الله كامل في أسمائه وصفاته ، فهو يعصم الموحدين من الزلل والانحراف ، ويجعل المسلم في موقف المعظم لتوحيد الله في أسمائه وصفاته ؛ لأنه

---

(٥٧) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٦/٣٧ .

(٥٨) أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، سليمان عمر الأشقر ، ص ١٢٥ ، دار النفائس ، الأردن ، ط/٥ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

(٥٩) شرح العقيدة الطحاوية ، أبي العز الدمشقي ، ج١/٦٩ .

يعتقد الكمال لله ، وكل ما تضمنته الأسماء والصفات هو الحق ، وما خلافه هو الباطل والضلال ، فالتمسك بهذا المنهج يقلل الخطأ ويكثر الصواب ويجمع المسلمين على كلمة واحدة ، ويبعدهم عن التشتت والاختلاف والشك والحيرة والضياع ، ومجانبة مسالك الأمم الضالة من اليهود والنصارى وغيرهم ، ومخالفة هذا المنهج يؤدي إلى الكفر ، وعليه فيجب النظر إلى منهج القرآن الكريم في توحيد الأسماء والصفات بعين الكمال ، وعدم الخروج عن هذا المنهج .

المطلب الرابع : نواقض توحيد الأسماء والصفات :

لقد ضلت كثير من الأمم في أسماء الله وصفاته كما ضلت في أمور كثيرة ، وضل بعض المنتسبين إلى هذا الدين في أسماء الله وصفاته عندما لم يقفوا حيث أوقفهم الله فطلبوا علماً استأثر الله به دونهم ، وقد أَصَّلَ كثير من هؤلاء أصولاً وجعلوها أعلى حكماً من نصوص الكتاب والسنة ، وفي الحقيقة لم يكن الذي قعدوه أصولاً ، وإنما شبه وخيالات ، فاستعملوا قياسات فاسدة وآراء باطلة وشبه مردودة بالنصوص الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة فقابلوا النصوص بالتشبيه والتحريف والتعطيل والتكييف ، فلجأ بعضهم إلى نفي صفات الله وأسمائه وبعضهم إلى التأويل في أسمائه وصفاته ، وفريق آخر وقع في التشبيه ، فأنكروا رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده ، وأنكروا استواءه على عرشه وعلوه على مخلوقاته وهذه كلها من نواقض توحيد الأسماء والصفات والتي من أهمها :

أولاً : التشبيه :

المشبهة هم أولئك الذين حملوا الصفات والذات على مقتضى الحس المشاهد فشبهوا صفات الله وذاته على هيئة الإنسان بذاته وصفاته ، أولئك الذين رفعوا شأن الإنسان حتى أوصلوه إلى مرتبة الإله المعبود وهم أصناف .

أ) تشبيه الخالق بالمخلوق :

زعم كثير من الذين ضلوا في باب الاعتقاد أن صفات الله كصفات البشر وذاته كذوات المخلوقات وهم على ضربين :

١ - تشبيه ذات الخالق بذات المخلوق :

وهم الذين يشبهون ذات الله بذوات غيره من المخلوقات وهم فرق متعددة كالسبئية أتباع (عبد الله بن سبأ) الذين قالوا بألوهية علي - كرم الله وجهه - ، والبيانية أتباع (بيان بن سمعان) الذي كان يقول إن معبوده نور صورته صورة إنسان وله أعضاء كأعضاء الإنسان،

والهشامية أتباع (هشام بن الحكم الرافضي) الذي كان يقيس معبوده على الناس وكان يزعم أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه ، وكالحلولية الذين كانوا يقولون إن الله تعالى يحل في صورة الحسان ومتى رأوا صورة حسنة سجدوا لها ، والكرامية أتباع (محمد بن كرام السجستاني) الذين قالوا إن له جسم وله حد ونهاية وأنه محل الحوادث وغيرها من الفرق الضالة الذين قاسوا ذات الله بالذوات المخلوقة في الهيئة والشكل والفعل(٦٠) .

٢ - تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق :

وهم الذين يشبهون صفات الخالق بصفات المخلوقات من سمع وبصر وكلام وإرادة وحياة وغيرها ، وهم فرق متعددة منها الزرارية من الروافض أتباع (زرارة بن أعين) حيث زعموا أن حياته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره كحياة الخلق ، وزعموا أن كل صفاته حادثة مثل صفات الأجسام ، والشيطانية من الروافض أتباع شيطان الطاق حيث زعموا أن الله لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون وأن علمه محدث كعلوم العباد ، والكرامية الذين قالوا إن إرادته وقوله عرض حادث من جنس كلام الخلق وإن كلامه أصوات وحروف كالأصوات والحروف المنسوبة إلى البشر(٦١) .

وكما أُطلقت النصارى على الله صفة الأبوة عندما ادعوا أن عيسى ابن الله فالأبوة صفة بشرية ، قال تعالى : " **وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) .

ب) تشبيه المخلوق بالخالق :

لقد ضلَّ كثير من الأمم السابقة عن الصراط المستقيم في أسماء الله وصفاته فشبهوا المخلوق بالخالق وهم على ضربين :

١ - تشبيه ذات المخلوق بذات الخالق :

وهم الذين شبهوا ذات المخلوق بذات الله تعالى كما فعل النصارى عندما شبهوا عيسى عليه السلام بالله تعالى، قال تعالى "**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**" (المائدة:٧٣)، أي أن ذات عيسى كذات الإله الخالق ويدعون أن عيسى - عليه السلام - هو ابن وإله أزلي

---

(٦٠) انظر التبصر في الدين ، أبي المظفر الأسفراييني ، ص ١١٩-١٢١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، وخبئية الأكوان محمد صديق حسن خان ، ص ٢٣ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .

(٦١) انظر المصدر السابق ، ص ١٢١ .

وأن القتل والصلب وقع على الناسوت وعلى اللاهوت معاً كما قالت الملكانية من النصارى وغيرها من الفرق(٦٢) .

وكما شبه اليهود عزيراً بالله تعالى ، قال تعالى : " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ** " (التوبة : ٣٠) وكما شبه المصريون القدماء " حورس " وأنه يمثل ابناً في الثالوث الإلهي أزوريس وإيزريس وحورس وهو يعمل نفس ذات الإله الأب ، وكذلك الهنود الذين اعتقدوا أن " لفشنو "الابن المنبثق والمتحرك بالألوهية من الأب " براهما " وكذلك إله الدمار والهلاك والإبادة(٦٣).

٢) تشبيه صفات المخلوق بصفات الخالق :

وهم الذين يشبهون صفات المخلوق بصفات الخالق كمن يدعي لنفسه الإحياء والإماتة كما فعل النمرود عندما قال "أنا أحيي وأميت" فأبطل إبراهيم حجته فقال: "**فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**" فانقطع عن الإجابة " **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**" (البقرة:٢٥٨).

وكما يعتقد النصارى أن عيسى الإنسان يحمل صفات الخالق من الرزق والإحياء والإماتة ويدير شئون البلاد والعباد وأمر السماء والأرض(٦٤) .

وكما زعم فرعون أن له صفات من صفات الخالق وهي صفة " الملك " عندما ادعى أنه يملك ملك مصر وهذه الأنهار كدليل على ألوهيته قال تعالى : " **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** " (الزخرف : ٥١) .

هذه نماذج من الفرق والأديان والملل التي تحكمت فيها الشهوات وتقاذفتها الأهواء فخرجت عن بهاء التوحيد إلى أتون الشرك والظلام .

ثانياً : التحريف :

وأشكال التحريف متعددة وهي :

١- التأويل: "وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن بذلك"(٦٥).

---

(٦٢) انظر : الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج٢٢٢/١ .

(٦٣) انظر الوحدانية ومنهج إثباتها في القرآن الكريم ، د. عبد الستار نوير ، ص ٥٦-٥٧ ، دار الثقافة ، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٦٤) انظر : المصدر السابق ، ص ٥٥ .

- كتأويل الاستواء بالاستيلاء قال تعالى : " **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** " (فصلت : ١١) .
- كتأويل اليد بالقدرة قال تعالى : " **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** " (الفتح : ١٠) .
- كتأويل العين بالرعاية قال تعالى : " **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** " (طه : ٣٩) .
- كتأويل الوجه بالذات قال تعالى : " **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** " (الكهف : ٢٨) .

فهذا التأويل يذم طالبه لأن صفات الباري غيب لا نعرف حقيقتها ، فالتأويل الذي يحمد طالبه هو البحث عن تفسير الأسماء والصفات ومعرفة معانيها على الوجه الذي تعرفه العرب من كلامها .

٢- تغيير الحركات الإعرابية : كنفي صفة الكلام لله بتغيير حركات الكلام كما فعل المعتزلة عندما قرأوا قوله تعالى " **وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** " (النساء : ١٦٤) بنصب لفظ الجلالة ليكون موسى هو المتكلم وليس الله جل جلاله ، ومغالطة الملاحدة في قراءتهم لقوله تعالى " **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** " (فاطر : ٢) فلفظ الجلالة مفعول به وفاعل الخشية هم العلماء فيأتي المحرفون فيحرفون النص ويقرأونه على أن الله هو فاعل الخشية والعلماء مفعول به أي أن الله يخشى منهم(٦٦) .

٣- الزيادة والنقصان : كمن يضيف لله أسماء وصفات لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله سواء كانت أسماء تحمل معاني حسنة كالقاضي والمؤيد والمبتلى والمطعم ونحو ذلك ، أو إضافة أسماء وصفات مذمومة لا تليق بالله كالمخادع والماكر والزارع ، وهذا ما أشار إليه (ابن حجر) بقوله : " اتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق على الله تعالى اسم أو صفة توهم نقصاً فلا يقال ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك في قوله فنعم الماهدون أم نحن الزارعون"(٦٧) ، أو نفي اسم أو صفة من أسماء الله وصفاته أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ قال تعالى : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** " (الفرقان : ٦٠) .

---

(٦٥) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٣٥/٥ ، والتعريفات ، الجرجاني ، ص ٢٨ .

(٦٦) انظر : ضوابط المعرفة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص ٣٢٠ ، ط١ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، دار القلم .

(٦٧) فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، ج٢٢٣/١١ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ ،.

ثالثاً : التعطيل :

وهو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله كمن يجحد أسماء أو صفات لله أو يعطلها عن مدلولها كإنكار قدرة الله علي إحياء الموتى قال تعالى " **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** " فجاء الجواب " **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** " (يس : ٧٨-٧٩) .

" نزلت هذه الآية في أُبي بن خلف عندما أمسك بعظمة نخرها وفتتها في وجه النبيﷺ وقال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال له النبي ﷺ نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار "[٦٨] .

أو كمن قال بقدم العالم أي أن الكون أزلي فهو يضاهي أزلية الله وينكر قيام الله بخلقه.

رابعاً : التكييف :

وهم أولئك الذين يكيفون في صفات الله ويثبتون كنهها كمن ينزل على درجة ويقول هكذا ينزل الله من العرش إلى السماء ، أو يفصلون في صفة العين بأن فيها رموش وجفن وبياض وسواد ، أو يفصلون صفة اليد واليد فيها خمسة أصابع وكل أصبع فيه ثلاث عقد ويأخذ بيده وكأنها يد الله في الكنه والذات ، وكمن يصف استواء الله على عرشه كمن يجلس على سريره ويأخذ يصف كيفية الاستواء .

وهذا يخالف منهج السلف الصالح في عدم التطرق إلى تعيين كنه الذات عندما سئل الإمام مالك – رحمه الله - عن الاستواء قال " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "[٦٩] .

وهكذا يقال في كل صفة لله فيجب إثباتها من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف وهذا هو منهج السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(٦٨) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٧/٢٩٦١ .

(٦٩) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج٥/٣٦٥ .

المبحث الثاني

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام

ضل أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام عن توحيد الله في أسمائه وصفاته ، وانحرفوا عن درب من سبقهم من الصحابة والتابعين وما عليه سلف الأمة ، فابتعدوا عن دين الله واتبعوا أهواءهم وشهواتهم فوقعوا في المهالك والضلال فبعضهم ألحد في أسماء الله وبعضهم ألحد في صفات الله ، وسيعرض الباحث في هذا المبحث بعضاً من هذه الفرق المنحرفة الضالة .

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام :

لقد ضلت كثير من الفرق في توحيد الأسماء ومنها : الإسماعيلية وغلاة الصوفية والنصيرية والدروز والخابطية وغيرهم، وسيتناول الباحث الحديث عن الإسماعيلية والدروز.

أولاً : الإسماعيلية :

لقد ضلت الإسماعيلية لأنها تعتقد أن أول مبدع أبدعه الله هو العقل الأول ولذلك يجردون الله عن أسمائه وصفاته ويضيفونها إلى العقل ، فالعقل عندهم هو الخالق وهو المبدأ وإليه المعاد ، فإذا ذكر الله عندهم فالمقصود هو العقل الكلي .

ويصف (الكرماني) أحد كتاب الإسماعيلية العقل بقوله : " إذا كان الله عرياً ، عن كل صفة فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه ، فهو (أي المبدع) الحق والحقيقة وهو الوجود الأول وهو الوحدة ، وهو الواحد وهو الأزل وهو الأزلي وهو العقل الأول وهو المعقول الأول وهو العلم وهو العلم الأول وهو القدرة وهو القادر الأول وهو الحياة وهو الحي الأول "(١) .

وقال ابن هانئ الأندلسي الشاعر في مدح المعز لدين الله العبيدي (الفاطمي) :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

---

(١) الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٨٦-٨٧ نقلاً عن راحة العقل للكرماني ، ص ١٨٩ .

ويقول :

ندعوه منتقماً عزيزاً قادراً

غفاراً موبقة الذنوب صفوحاً[٢]

نخلص مما سبق أن الإسماعيلية جحدوا وأنكروا أسماء الله تعالى وأضافوها لغيره من المخلوقين (العقل والمعز لدين الله الفاطمي) فسموهما بأسماء الله كالواحد والقادر والحي والقهار والأزلي وغيرها ، كما أضافوا إليهما مسميات أخرى ابتدعتها أهواؤهم كالمبدع الأول والوحدة والمعقول الأول والعلم الأول وغيرها من الأسماء فخرجت هذه الفرقة عن عقيدة سلفنا الصالح وألحدت في أسماء الله ، قال تعالى : " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ** " (الأعراف : ١٠٨) .

ثانياً : الدروز :

لقد ضل الدروز في أسماء الله عز وجل فأضافوها إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي.

كما جاء في مصحف الدروز :

"آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى... وأقر بأنك أنت الحاكم الإله الحقيقي المعبود"[٣].

"استغفر لهم لن يغفر الله مولاهم الحاكم الصمد، والفرد بلا عدد الواحد الأحد خطيئاتهم"[٤].

وورد في ميثاق ولي الزمان ما نصه :

" توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد ، الصمد "[٥] .

وأجاب (حمزة الدرزي)[٦] عندما سئل لماذا تُسمى الإله المعبود بأسماء العباد وخاصة باسم الحاكم أجاب حمزة بقوله " قلنا بتوفيق مولانا جل ذكره وتأييده أن جميع ما يسمون الباري جل ذكره في القرآن وغيره فهو لعبيده وحدوده ، وأجل اسم عندهم (عند المسلمين) في القرآن

---

(٢) تاريخ الدولة الفاطمية ، د. حسن إبراهيم حسن ، ص ٣٤٨ ، ط٢ ، ١٩٥٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، نقلاً عن ديوان ابن هانئ ، ص ٣٤-٣٦ .

(٣) عقيدة الدروز عرض ونقد ، الخطيب ، ص ١٢٣-١٢٤ ، نقلاً عن مصحف الدروز ، عرف العهد والميثاق ، ص ١٠٧-١١٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، نقلاً عن مصحف الدروز عرف الإنذار والحساب ، ص ١٩-٢٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ نقلاً عن ميثاق ولي الزمان .

(٦) حمزة بن علي بن محمد الدرزي من مقاطعة زوزن ، ولد سنة ٤٣٣هـ ، وتوفي سنة ١٠٤١م ، من كبار دعاة الباطنية ، انظر الأعلام ، الزركلي ، ج٢/٢٧٨-٢٧٩ .

(الله) ... فلما كانت العبيد عاجزين عن النظر إلى توحيد باريهم إلا من حيث هم في صورة البشر ، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمى بأسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه "(٧) .

يتبين من خلال ما سبق أن الدروز ينازعون الله في أسمائه كمنازعة فرعون في أسماء الله حيث قال تعالى على لسانه " **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** " (القصص : ٣٨) وكإطلاق المشركين على أصنامهم أسماء الله حيث اشتقوا اسم اللات من الله ، والعزى من العزيز ومناه من المنان .

فالدروز تحكمت فيهم أهواؤهم واستسلموا لشهواتهم فخرجوا عن عقيدة الأمة بإضافتهم أسماء الله إلى أئمتهم وإلى المخلوقين وهذا ناقض لتوحيد أسماء الله تعالى .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام :

إنَّ تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبيه والتمثيل والتعطيل والتأويل هو منهج سلفنا الصالح ومن سار على دربهم ، فالله منزه عن كل ما لا يليق به من الصفات ، بينما نجد بعض الفرق المنتسبة للإسلام يخالفون ما عليه سلف الأمة ، فيصفون المخلوق بصفات الخالق أو يعطلون صفات الله ، فيؤولون على حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم ومصالحهم ومن هذه الفرق الخابطية ، والبيانية ، والنصيرية ، والدروز ، والإسماعيلية ، والشيعة الإمامية ، وغيرها .

وسيتناول الباحث الحديث عن فرقتين نقضت توحيد صفات الله تعالى هي (الإسماعيلية ، الشيعة) .

أولاً : الإسماعيلية :

تذهب الإسماعيلية في عقائدها دائماً إلى النفي المطلق لصفات الله تعالى ، وإنكار ما وصف بها نفسه في القرآن الكريم ، ولهذا نرى (إبراهيم الحامدي) وهو أحد دعاة الإسماعيلية ينفي جميع الصفات الإلهية عن الله سبحانه وتعالى بقوله : " فلا يقال عليه حي ، ولا قادر ، ولا عالم ، ولا عاقل ، ولا كامل ، ولا تام ، ولا فاعل ، لأنه مبدع الحي القادر العام التام الكامل الفاعل ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات "(٨) .

ويجعل (علي بن محمد الوليد) – أحد دعاة الإسماعيلية - نفى الصفات عن الله اعتقاداً أساسياً عند الإسماعيلية ، فيقول : " إن نفي الصفات عنه - عن الله - معتقد صحيح لا يسوغ

---

(٧) الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٢٣٤ ، نقلاً عن رسالة السيرة المستقيمة .

(٨) كنز الولد، إبراهيم بن الحسين الحامدي، ص ١٣-١٤، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة، ١٩٧٩م.

تركه ، لأن الصفات تلحق الجوهر : إما في الأجسام أو في النفوس ، وتكون في الأجسام كيفيات من خارجها كالأقدار والألوان وما يجري مجراها ، وفي النفوس كيفيات من داخلها : كالعلم ، والجهل ، وما يجري هذا المجرى وهو يتعالى على أن يكون له داخل وخارج ... وقد حق أن التوحيد نفى الصفات عن المتعالي سبحانه فإذا أثبتناها فلا توحيد ، لأن الدليل قام على أنه كان ولا صفة له فالقدم له خالص ولا يمكننا التعبير عنه بما فينا من الأعراض والجواهر ... فمنع الصفات الموجودة في الخلقة عن أن تكون تضاف إليه معتقد صحيح "(٩).

ويؤكد الكرماني في (راحة العقل) نفي الصفات عن الله فيقول " طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له مؤدٍّ إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب ما لا يليق به"(١٠).

" وينكر (الكرماني) إمكانية وصف الله بالوجود لأنه يعني أن ثمّ ذاتاً ، وأن هذه الذات اتصفت بالوجود بعد أن لم تكن ، وهذا يوجب كونها كانت ناقصة ثم كملت بالوجود بأن كانت مفتقرة إلى الوجود ثم اتصفت بالوجود ، ولكنه لا يجوز وصف الذات الإلهية بالنقص أو الافتقار وعلى هذا فإيجاب الوجود لله تعالى محالٌ ظاهرٌ لا يليق بمجده ، والمحال لا يجوز أن يقال عليه تعالى "(١١) .

وقد عمد الإسماعيليون إلى تأويل الآيات القرآنية لتتفق مع معتقدهم الباطل فقالوا : "والعقل هو الذي رمز الله تعالى به القلم في الآية الكريمة "**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**" (القلم: ١)، وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن بـــ (اللوح المحفوظ) ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي ... "(١٢) .

وهكذا يتضح مما سبق ضلال هؤلاء القوم وانحرافهم عن منهج أهل السنة والجماعة في توحيد صفات الله تعالى ، فالله سبحانه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ والله سبحانه يتصف بصفات الكمال ، قال تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** " (الشورى : ١١) .

---

(٩) مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، ص ٩٦٨ ، نقلاً عن تاج العقائد ومعدن الفوائد ، علي بن محمد الوليد ، ص ٢٧-٢٨ ، بيروت ، ١٩٦٧ ، نشره عارف تامر .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٩٧٢ ، نقلاً عن راحة العقل ، الكرماني ، ص ١٣٩ ، بيروت ، ١٩٦٧ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٩٧٣ ، نقلاً عن راحة العقل للكرماني ، ص ١٢٥ .

(١٢) الحركات الباطنية ، الخطيب ، ص ٨٧-٨٨ .

ويشير شيخ الإسلام (ابن تيمية) إلى "أنَّ الله ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقةً فإنه سبحانه وتعالى مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه "(١٣).

ثانياً : الشيعة(١٤) الإمامية :

ضلت الشيعة وزاغت عن منهج الحق منهج سلف الأمة في توحيد الصفات وذلك عندما وصفوا المخلوق " أئمتهم " بصفات الخالق وعندما أضافوا لله صفة من صفات النقص كالبداء(١٥) ويمكن تفصيل ضلالاتهم على النحو التالي :

١) وصف الأئمة بصفات الله :

نسب الشيعة لأئمتهم صفات فوق صفات البشر كأنهم آلهة يعلمون الغيب وهذا ناقض لتوحيد الصفات، حيث زعم الشيعة أن أئمتهم يعلمون ما في السماوات والأرض ويعلمون أهل الجنة وأهل النار كما جاء في رواية الكافي التي ينسبها زوراً وبهتاناً إلى جعفر الصادق قوله "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون"(١٦).

٢) وصف الله بصفات النقص " البداء " :

انحرفت الشيعة في توحيد صفات الله عندما وصفوا الله بالجهل (البداء) ، أي يظهر لله أمر بعدما كان خافياً عليه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

(١٣) مجموع فتاوى ، ابن تيمية ، ج٢٦/٥ ، وانظر ٢٦٣/٥ .

(١٤) هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص فقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، وقالوا وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام علي رضي الله عنه .
انظر : الملل والنحل ، الشهرستاني ، ج١ ، ص ١١٧ .

(١٥) البداء لغة : من مادة بدا يبدوا إذا ظهر ، انظر لسان العرب ، ج٣٢/١ ، واصطلاحاً : هو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده ، " التفسير الكبير ، الإمام أبو الفخر الرازي ، ج٥٢/١٩ ، تحقيق دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط/٢ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

(١٦) أصول الكافي، الكليني، ج٣١٩/١ ، تحقيق محمد جواد مغنية ، دار الأضواء، ط/١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

وهذا ما أكده شيخ الشيعة (محمد بن النعمان العكبري) حيث ذكر اتفاق الإمامية على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى فقال : "واتفقت الإمامية على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس "[١٧] .

ويؤكد الإمام (أبو الحسن الأشعري) وهو من أعلام أهل السنة والجماعة أن عامة الشيعة متفقون على القول بالبداء حيث يقول : "وعامة الروافض يصفون معبودهم بالبداء ويزعمون أنه تبدو له البدوات"[١٨].

ومن أقوال أئمة الشيعة في البداء :

ما رواه الكليني في الكافي " ما عبد الله بشيء مثل البداء "[١٩] .

وكذلك قوله " ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس خصال بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة "[٢٠] .

وروى أيضاً عن الرضا[٢١] قوله "ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء"[٢٢].

وخلاصة القول أن هذه العقيدة المنحرفة الخبيثة التي أجمعت عليها الشيعة الإمامية تخرجهم من ملة الإسلام فقد نقضوا توحيد الصفات عندما وصفوا أئمتهم بخصائص وصفات وضعتهم فوق مرتبة البشر مما جعلهم يعلمون علم ما كان وما يكون وما هو كائن ، وعندما أضافوا صفات النقص لله عزل وجل تعالى الله عما يقول به الشيعة علواً كبيراً من أن الله يظهر له الأمر بعدما كان خافياً عليه فهذا يخالف ما أجمعت عليه أمة الإسلام من أن الله متصف بصفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص وأن الله وحده الذي يعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فعلمه سبحانه شامل لجميع الموجودات قبل خلقها .

قال تعالى : " **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** " (النمل : ٦٥) .

وقال : " **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** " (الأنعام : ٥٩) .

---

(١٧) بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهي ظهير ، ص ١٧٩ ، ط/١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، دار الأضواء ، تحقيق جواد مغنية ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، إدارة ترجمان السنة، باكستان ، نقلاً عن أوائل المقالات للمفيد، ص ٥٢ ، وعقيدة البداء عرض ونقد ، محمد حسن بخيت ، ص ١٥٦ ، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة ، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

(١٨) مقالات الإسلاميين ، الإمام أبي الحسن الأشعري ، ص ٤٩١ .

(١٩) أصول الكافي ، الكليني ، ج٢٠٠/١ ، كتاب التوحيد ، باب البداء .

(٢٠) المصدر السابق ، ج٢٠٢/١ ، كتاب التوحيد ، باب البداء .

(٢١) علي الرضا بن موسى وهو الإمام الثامن عند الشيعة ، مولود ١٤٨هـ-٢٠٣هـ . انظر : دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، د. أحمد محمد جلي ، ص ٨٠ ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الرياض .

(٢٢) المصدر السابق ، ج٢٠٣/١ ، كتاب التوحيد ، باب البداء .

كما أن الله نفى أن يكون رسوله محمداً ﷺ يعلم الغيب أو يملك لنفسه نفعاً أو ضراً إلا ما شاء الله قال تعالى : " **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ** " (الأنعام : ٥٠) ، فهل أئمة الشيعة أكرم على الله من رسوله محمد ﷺ حتى يعلموا الغيب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

المبحث الثالث

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند الأمم الوثنية

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند الأمم الوثنية :

لقد ضلت وانحرفت الأمم الوثنية بعد وضوح الحق واتبعوا الغي والضلال واختاروا الكفر على الإيمان بعد أن أرسل الله الأنبياء بالهدى ودين الحق ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فأبت هذه الأمم واستكبرت وألحدت في أسماء الله عندما أنكرت أسماء الله التي وردت في كتب الأنبياء والرسل ، وعندما سمَّت المخلوق بأسماء تكافئ وتساوي أسماء الله ، وعندما اشتقت لمعبوداتها أسماء مشتقة من أسماء الله تعالى ، وعندما سموا الله بأسماء لم يُسَمِّ بها نفسه لم ترد في كتاب سماوي ولا وحي إلهي .

فشعوب الشرق الأدنى ، أطلقوا على المخلوقات اسم الله ، وعبدوها من دون الله ، كالرعد والبحر والري والحبوب وغيرها من المخلوقات ، وكذلك أصحاب الديانات الكنعانية الفينيقية عندما أطلقوا اسم الله على السماء والأرض والحصاد والحبوب والقحط والجفاف وغيرها من المخلوقات ، ومثلهم شعوب الشرق الأقصى كالصين والهند فقد أطلقوا اسم الله على النار والسماوات ، وسموا الله بأسماء لم ترد في كتاب الله ، كإبراهما وسيفا ويشنوا ، وكذلك المصريون القدماء الذين سموا الله بأسماء غريبة ، استهوتها نفوسهم فتارة يسمونه بتاح، وتارة أمون رع وتارة إيزيريس وزوريس وحورس وغيرها من الأسماء كما أطلقوا اسم الإله على أفراس النهر والتماسيح والغزلان والظباء والثيران والسباع والذئاب وغيرها من المخلوقات .

وكذلك العرب قبل الإسلام عندما اشتقوا لأصنامهم ومعبوداتهم أسماء من أسماء الله ، كالعزى من العزيز واللات من الله ، كما ألحدوا في أسمائه عندما أنكروا أسماء لله وردت في كتاب سماوي ووحي إلهي كاسم الله (الرحمن) .

ولقد عرض القرآن الكريم نماذج من هذه الأمم التي انحرفت وألحدت في أسماء الله واستكبرت على الحق واتبعت شهواتها وأهواءها ومن هذه الأمم .

أولاً : قوم نوح[٢٣] :

لقد ضل قوم نوح في أسماء الله فأطلقوا اسم الله على أصنامهم وأوثانهم ، قال تعالى: "**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**" (نوح : ٢٣) فالآية تبين أنهم نسبوا إلى هذه الأصنام اسم الله ، فبعث الله نبيه نوحاً -عليه السلام- ليرشدهم أن اسم الله لا يطلق إلا عليه ومن أطلقه على غيره فقد كفر وأشرك قال تعالى " **يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ** " (المؤمنون : ٢٣) ، فهذه الأصنام التي يسمونها آلهة ما هي إلا حجارة لا تضر ولا تنفع ، وبذلك لا تستحق أن يطلق عليها اسم الله عز وجل قال تعالى : " **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم** " (يوسف : ٤٠) ، وقال تعالى : " **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** " (النجم: ٢٣) .

إذن هذه الأصنام التي أطلقوا عليها اسم الله ليس لها من حقيقة أسماء الله شيء ، فأصحاب الباطل من عبدة الأوثان تحكمت فيهم أهواؤهم وشهواتهم فحرفوا توحيد الأسماء عن حقيقته فكانت عاقبتهم الهلاك .

ثانياً : العرب قبل الإسلام[٢٤] :

لقد كفر العرب قبل الإسلام من عبدة الأوثان بأسماء الله الحسنى ، عندما أنكروا اسم الرحمن لله ، قال تعالى : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** " (الفرقان : ٦٠) ، أي لا نعرف الرحمن وذلك عندما أرسلت قريش (سهيل بن عمرو) رئيس وفد المفاوضات إلى محمد ﷺ فصالحه ثم دعا رسول الله ﷺ (علي بن طالب) ليكتب بنود الصلح فقال ﷺ لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاعترض (سهيل بن عمرو) على اسم من أسماء الله وأنكر أن يكون الرحمن اسمه فقال سهيل أما بسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم[٢٥] وهذا يدلل على أن الجاهلية كانت تلحد في أسماء الله عندما أنكرت اسم الله الذي ورد في كتابه وعلى لسان

---

(٢٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج١٤٤٥/٣ ، وج١٨٤٢/٤ ، وظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٥٤٨/٣-٥٤٩ ، وج٧٢٣/٤-٧٢٥، والبداية والنهاية، ابن كثير، ج١٢١/١-١٢٢ ، وأسماء الله الحسنى، سليمان الأشقر ، ١٣٨ .

(٢٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج١٥١٦/٤-١٥١٨ ، وج٣٣٣٠/٧-٣٣٣٧ ، وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٦٨٥/٣ ، وج٦١٧/٧-٦١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٨٦/٩-٩٠ .

(٢٥) انظر : صحيح مسلم ، ج١٤١١/٣ ، ح ١٧٨٤ .

رسوله ولهذا أنزل الله تعالى قوله " **ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـــنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (الإسراء : ١١٠) .

ثم ألحد العرب في أسماء الله عندما اشتقوا من أسمائه أسماء لأصنام نحتوها بأيديهم ، قال تعالى : " **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** " (النجم: ١٩-٢٣) ، فاللات مشتق من لفظ الجلالة (الله) والعزى مشتق من اسم الله (العزيز) فأسماء الله مختصة به تعالى وحده دون غيره ، وتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميلٌ بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت، قال تعالى : " **وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** " (الأعراف : ١٨٠) ، وقال تعالى : " **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى** " (طه : ٨) .

فالمشركون ليس لهم دليل على هذه الأسماء التي سموا بها أصنامهم وأوثانهم إلا دليل الهوى والظن قال تعالى " **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ** " (النجم : ٢٣) ، وظلوا مصرّين على الشرك برغم ما جاءهم من الهدى من ربهم ، قال تعالى : " **وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى** " (النجم : ٢٣) ، فانقطع العذر وبطل التعلل وانتهى بهم الأمر إلى شهوة النفس وهواها فلن يستقيم أمر ولن يجدي هدى لأن العلة ليس في خفاء الحق ولا في ضعف الدليل ، إنما العلة في الهوى الجامح الجارف الذي يردي صاحبه في نار جهنم وبئس المصير .

وخلاصة القول أن كل عابد للأوثان ما عبدها إلا هوى وشهوة وانحرافاً عن الحق الواضح الذي جاء به الأنبياء على مدار الأزمان والعصور لكل الأمم والشعوب ، فأبى الإنسان إلا أن يلهث وراء شهواته وأهوائه فسمى معبوداته التي صنعها بيده آلهة .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند الأمم الوثنية :

لقد غالت الأمم السابقة والطوائف من بني آدم من أهل الشرك من عبدة الأوثان فيما يعظمونه من الأصنام والأوثان التي يعتقدون أنها آلهتهم ، فوصفوا هذه الأوثان بصفات الله سبحانه وتعالى وصرحوا بأن إلههم من الأصنام يُرتجى ويُخاف ويُعظم ويُسجد له ويتضرع له ، وأطلقوا عليها أسماء من أسماء الله وهذه الأسماء تعكس صفاته ، فبعض القبائل والأقوام أطلقوا صفات الله على الظواهر الطبيعية التي يعتقدون أنها آلهة ، كالشمس والقمر والنجوم والأجرام السماوية الأخرى .

ولقد حكى القرآن الكريم وكتب التاريخ عن بعض هذه الأقوام والأمم المحرّفة لصفات الله تعالى ومن هذه الأقوام والأمم :

أولاً : عاد قوم هود عليه السلام :

إن قوم هود كانوا يعتقدون أن أصنامهم التي يعبدونها تمتلك صفات الله فهي تنفع وتضر فقد قالوا لهود : " **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**" (هود: ٥٤-٥٥) .

يقول الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية " أي إنك ممسوس من بعض آلهتنا وجعلوا ذلك فعل بعض الآلهة تهديداً للناس بأنه لو تصدى له جميع الآلهة لدكوه دكاً ، أي آلهتهم أصابته بمس فجعلوه مجنوناً "[٢٦] .

فالقوم أطلقوا على أوثانهم صفة النفع والضر والإصابة بالسوء ، مع تحذير نبي الله هود لهم وتسفيه آلهتهم في قوله " إني بريء مما تشركون " ثم قال لهم " فكيدوني جميعاً " ، أي إن كانت آلهتكم التي أعطيتموها صفة الضر فلتضرني ، فإني بريء منها رغم هذا ، إلا أن القوم لم يتوانوا عن الميل إلى ما تهوى أنفسهم فعبدوا الأصنام وأعطوها صفة الألوهية وحرضوا القوم على نبيهم هود – عليه السلام - فاستجاب الغواء من الناس لهواهم وكذبوا بنبيهم وعبدوا الأصنام ، فانحرفوا عن التوحيد ومالوا حيث مالت أهواؤهم .

ثانياً : قوم إبراهيم[٢٧] :

لقد ضلَّ قوم إبراهيم عن توحيد صفات الله وذلك يتبين من خلال النظر إلى محاورة إبراهيم لأبيه وقومه فقد أعطى قوم إبراهيم أصنامهم التي ينحتوها صفات الله سبحانه وتعالى، كصفة السمع والبصر والنفع والضر ، كما صور ذلك الذكر الحكيم بقوله تعالى : "**لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** " (مريم : ٤٢) ، وقوله تعالى : " **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** " (الشعراء : ٧٢-٧٣) فجاء جواب قومه " **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** " (الشعراء : ٧٤) .

(٢٦) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج٩٨/٦ .

(٢٧) انظر : مناهج الجدل ، لألمعي ، ص ١٦٦-١٦٩ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ج١٦٦/١ ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٢٣٢١/٥ .

فالآيات السابقة تدلل على أن القوم كانوا يتضرعون إلى الأصنام ويطلبون منها حاجاتهم فبين لهم إبراهيم – عليه السلام - أنها لا تستحق هذه الصفات ، وبرهن على عدم استحقاقها لهذه الصفات بقوله "**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** " (الشعراء : ٧٧) ، أي لو كانت تضر لضرتني فإني عدوٌ لها وكأنه يريد أن يقول أن الذي يستحق هذه الصفات هو الله لأنه ينفع ويضر ويعطي ويمنع على الحقيقة فهو وحده يستحق هذه الصفات .

ولكن أباه وقومه لم يتنازلوا عن عقيدتهم ، وركبوا أهواءهم وظلوا مصرين على كفرهم وعنادهم ، مستحبين لأهوائهم وشهواتهم فانحرفوا عن توحيد صفات الله بإطلاقها على المخلوق .

ثالثاً : العرب قبل الإسلام :

العرب كسابقيهم من الأمم أطلقوا على الأصنام صفات من صفات الله تعالى يقول ابن هشام : " حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عماليق رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا له هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه فأعطوه صنماً يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه "[(٢٨)] .

قال تعالى : " **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ** " (يونس : ١٨) .

يتضح مما سبق أن عبدة الأصنام وصفوا أوثانهم بأوصاف الله عز وجل فاعتقدوا أنها تضر وتنفع وتشفع فأرسل الله لهم رسوله محمداً ﷺ فبين لهم الحق والهدى وأن الله هو النافع الضار وهو الذي بيده خزائن كل شيء وأيده الله بالمعجزات على صدق ما يقول ، إلا أن الذين كفروا ظلوا على شركهم ، تشرع لهم أهواؤهم وتملي عليهم عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، قال تعالى عنهم " **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** " (ص : ٢) .

---

(٢٨) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٥٣/١ .

المبحث الرابع
أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند اليهود

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند اليهود :

ألحد اليهود في أسماء الله عز وجل رغم الميثاق الغليظ الذي أخذه الله على بني إسرائيل بأن يوحدوه ويعبدوه قال تعالى: "**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ**" (البقرة:٨٣) إلا أن اليهود ضلوا في أسماء الله واتبعوا أهواءهم ولم تُجْدِ دعوى الأنبياء إلى توحيد الله في أسمائه قبولاً عندهم ، فأعرضوا عن التوحيد الخالص واخترعوا لله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وهذه بعض الأسماء التي أضافوها إلى الله :

١- **ألوهيم**: أطلقت التوراة هذا الاسم على الله عز وجل في المواضع التي وصفته فيها بأنه الخالق لكل البشر والخاضع له كل شيء، وقد ورد هذا الاسم في العهد القديم أكثر من ألفي مرة، و(ألوهيم) هو الاسم المنتشر في أسباط إسرائيل في الشمال وكانوا يعتقدون أن تسمية الرب (ألوهيم) هي التسمية التقليدية القديمة للعبرانيين حتى ظهور موسى –عليه السلام-، وأن اسم (يهوه) لم يظهر إلا بعد دعوة موسى عليه السلام ، لذلك حرصوا على تمييز ألوهيم لقدمه في الأمة(٢٩).

٢- **يهوه** : لفظ عبري ورد في سفر الخروج ومعناه الموجود أو الكائن وقد ورد الاسم بألفاظ متعددة منها (أهوه) وينطق أحياناً (جيوفاه) أو (يهوفا) وهو مشتق من اللفظ العبراني (هيه) أو (هوه) أي الذي يفيد الوجود و(يهوه) اسم علم على رب العبريين الوطني القديم ، وقد أطلقت التوراة هذا اللفظ على الله في المواضع التي اعتبرته فيها إله اليهود وحدهم ، ويصفه اليهود بأنه إله باطش منتقم جبار ويعتبر اسم (يهوه) أكثر الأسماء قداسة عند اليهود(٣٠) .

---

(٢٩) انظر : الرسالة السبعية بإبطال اليهودية للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، ص٣٢-٣٤ ، علق عليه عبد الوهاب طويلة، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، نقلاً عن كتاب اليهود ، زكي شنودة ، ص ٢٩٢ .
وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المسيري ، ج٥/٦٨-٧٠ .
والفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، د. حسن ظاظا ، ص ٢٦ ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الدار الشامية ، بيروت .

(٣٠) انظر : الرسالة السبعية ، بن شموئيل ، ص ٣٢-٣٤ ، نقلاً عن كتاب اليهود لزكي شنودة ، ص ٢٩٣-٢٩٤. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج٥/٦٨-٧٠. والفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص ٢٦. والموسوعة الميسرة ، الجهني، ج٢/١١٨٤. ومفهوم الألوهية وتطوره في

٣- **أدوناي** : ظهر اسم (أدوناي) في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد عندما رأى كهنة اليهود وعلماؤهم أنهم يرددون اسم (يهوه) باستهتار ، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم إلا رئيس الكهنة في أثناء الصلاة في الهيكل ومن ثم صاروا إذا أرادوا أن ينطقوا باسم الله يقولون (أدوناي) أي السيد أو الرب(٣١) .

٤- **إيل** : أي الله باللغات السامية ومنها العبرية وهو مفرد كلمة إيليم وهي تعني الإله على وجه العموم ، فقد جاء في سفر التكوين (ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله) (تكوين ٣٥: ١) ، ويستخدم اسم (إيل) في العديد من المواضع في توراة موسى إشارة إلى إله الآباء ، وكان اليهود ينسبون إلى اسم إيل كثير من أسماء الأشخاص والمدن وغيرها ، فتارة يضمونه في أول الاسم فيقولون (إيليا) أي إلهي يهوه، وتارة يقولون (اليشع) أي الله مخلص ، و(اليعازر) أي الله معين ، وتارة في آخر الاسم فيقولون (إسرائيل) أي الذي جاهد مع الله ، وجبرائيل أي رجل الله ، وربما اختصر اسم (إيل) في نهاية الاسم المنسوب إليه فقالوا (دانيال) أي الله قضى، وحزاقيال أي الله يقوى(٣٢).

٥- **البعل**(٣٣) : وهو بمعنى الرب أو السيد وهو إله كان يعبده الكنعانيون ويعتقدون أنه ابن الإله (إيل) وكان اليهود أحياناً يعدون اسم البعل مرادفاً لاسم الله أو الرب ، وقد نسبوا إلى البعل بعض أسماء أبنائهم ومدنهم، فمن الأسماء (بعليا) أي بعل يهوه، جاء في سفر ملوك أول (حتى اتخذ إيزابيل ابنة اتبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له) (ملوك أول ١٦: ٣١) .

اليهودية ، محمد الخطيب ، ص ١٥١ ، أبحاث اليرموك ، مجلد ١٥ ، عدد٣، ١٩٩٩ ، ومقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج١/١٨٩، وبنو إسرائيل ، مهران، ج٣/٣٦٠ .

(٣١) انظر : الرسالة السبعية ، بن شموئيل ، ص ٣٢-٣٤ نقلاً عن كتاب اليهود ، زكي شنودة ، ص ٢٩٤ .

(٣٢) انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المسيري ، ج٥/٦٨-٧٠ . والتوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، ص ١٦-١٧ ، دار النفائس ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م . والقرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ، حسن الباش ، ج٢/٦٨ ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م . وبنو إسرائيل ، مهران ، ج٤/٤٣٨ . ومفهوم الألوهية وتطوره في اليهودية ، الخطيب ، ص ١٥١ . والرسالة السبعية ، بن شموئيل، ص ٣٢-٣٤ ، نقلاً عن كتاب زكي شنودة ، ٢٩٤-٢٩٥ ، وأباطيل التوراة في العهد القديم تحريف اليهود ، محمد البار ، ص١٣٢-١٣٤ ، دار القلم ، دمسق ، والدار الشامية ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٣٣) انظر : الرسالة السبعية ، بن شموئيل ، ص ٣٢-٣٤ .

٦- **أهْيَهْ**[٣٤] : ورد هذا الاسم في سفر الخروج فقال موسى لله (فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم ، فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه ، وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم) (خروج ٣: ١٣-١٤) .

٧- **شداي**[٣٥]: وهي تعني قوي كما جاء في سفر التكوين (قال له أنا الله القدير) (تكوين ١٧: ١)، (والله القدير يباركك) (تكوين ٢٨: ٣) ، وفي سفر الخروج (وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء) (خروج ٦: ٣)، وهي مأخوذة من الجملة العبرية (شوميرولاتوت يسرائيل) ومعناها حارس أبواب إسرائيل .

٨- **الشخينة**[٣٦] : وهي مصدر سخن أوسكن أي مسكن الله وقد جعل منها التلموديون ومن بعدهم القبليون آلهة أنثى وهي تشكل أحد أركان (القبلة) حتى يومنا هذا .

٩- **ليليت**[٣٧] : وهي مأخوذة من مجمع الآلهة السومريين وهي تمثل الشر ، وقد دامت عبادتها والاعتقاد بها لدى القبليين واليهود والحسيديم أي المتزمتين حتى قرننا هذا .

ومما تقدم عرضه وذكره يتضح أن اليهود جرفتهم أهواؤهم وشهواتهم ومصالحهم، فأطلقوا أسماء لله ما سبقهم بها أحد من العالمين ، رغم وجود دين التوحيد الخالص بينهم قال تعالى : " **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** " (يوسف : ٣٧) .

وقال تعالى : " **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** " (طه : ٩٨) .

إلا أننا نجد اليهود أطلقوا اسم الله على حسب الطوائف والقبائل اليهودية ، وعلى حسب البلاد التي سكنوها والأقوام التي عاشوا معها كالكنعانيين والبابليين وغيرهم ، وهكذا حرّف اليهود اسم الله إلى أسماء لا معنى لها ، قال تعالى : " **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** " (النجم : ٢٣) .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند اليهود :

لا شك أن سيدنا موسى - عليه السلام - قد علم بني إسرائيل صفات الكمال المطلق لله عز وجل ، ووصفه بما يليق بذاته العلية المقدسة ، فكانت رسالته بعيدة كل البعد عن

---

(٣٤) الرسالة السبعية ، بن شموئيل ، ص ٣٢-٣٤ نقلاً عن كتاب زكي شنودة ، ص ٢٩٥-٢٩٦ .

(٣٥) اليهودية ، د. محمد بحر عبد المجيد ، ص ١٠ ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد ٢٠ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المسيري ، ج٥/٧١ .

(٣٦) (٣) انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، ص ٤٧-٥٩ .

التجسيم والتشبيه ، إلا أن اليهود قد كفروا وضلوا وانحرفوا واتبعوا أهواءهم وشهواتهم فتكونت لديهم عقيدة منحرفة جعلتهم يقولون على الله قولاً عظيماً لا يليق بجلاله وعظمته، فاليهود لم يستوعبوا الصورة المنزهة لله سبحانه فقصدوا إلى تصويره جل شأنه بصور حسية ونسبوا إليه صفات النقص ، فصوروا الذات الإلهية في صور بشرية ، ونسجوا الخرافات وافتروا الأقاصيص والأكاذيب على الله سبحانه وتعالى ، فاتجه اليهود إلى التشبيه والتجسيم وهذا واضحٌ في معظم مراحل تاريخهم ، ومن مظاهر التشبيه والتجسيم التي انحرفت فيها اليهودية عن صفات الكمال والتنزيه المطلق لله كثيرة هذه نماذج منها :

١) وصف الله بالفقر :

قال تعالى: "**لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء**" (آل عمران:١٨١).

روى الحافظان ابن مردويه وابن أبي حاتم في سبب النزول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى " **مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** " (البقرة : ٢٤٥) .

" قالت اليهود : يا محمد : افتقر ربك فسأل عباده القرض فأنزل الله تعالى هذه الآية"[(٣٨)].

وفي رواية أن حيي بن أخطب لما نزلت آية القرض قال يستقرضنا ربكم وإنما يستقرض الفقير الغني[(٣٩)] .

هكذا تظهر طبيعة اليهود من خلال هذا القول بأنها طبيعة مادية منحرفة ، تحب المال أكثر من حبها لله ولدينها ، فقد كانوا يتهكمون ويستهزئون بالقرآن عندما يدعو الناس إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله ، لقد تطاولوا على مقام ربهم ، فسوف يحاسبهم ربهم على سوء أدبهم ، وقبح أقوالهم وما نطقوا به من الفحش والزور .

٢) وصفوا الله بالبخل :

قال تعالى عنهم " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء** " (المائدة : ٦٤) .

---

(٣٨) الأحاديث المختارة ، محمد المقدسي ، ج١٠/١١٣ ، ح ١١٠ .

(٣٩) انظر : جامع البيان ، الطبري ، المجلد الثالث ، ٢١٨٨ ، ج٤/٢٣٦ .

يعقّب سيد قطب في الظلال على هذه الآية " أن هذا القول من سوء تصورهم لله فهم يعللون بهذا القول بخلهم بأن الله لا يعطي الناس إلا القليل فكيف ينفقون "[٤٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما " قال رجل من اليهود يقال له (شاس بن قيس) إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ** "[٤١] ، ولقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم في الحديث الذي رواه أبو هريرة بقولهﷺ " إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة سماء الليل والنهار "[٤٢] .

ويذكر (الخالدي) بأن الله عز وجل قد ذم اليهود بسبب هذا القول وكتب عليهم لعنته وغضبه وسخطه ، وبين القرآن أنهم هم البخلاء الذين لا ينفقون ، وأن أيديهم هي المغلولة المحبوسة عن إنفاق المال غلت أيديهم[٤٣] .

هذه الجبلة التي درج عليها اليهود من سوء الأدب مع الله حتى وصفوه بالبخل وأن يده مغلولة ، وقد أعطاهم الله ما لم يعطِ أحداً من العالمين فأنزل عليهم المن والسلوى وحقق لهم كل ما سألوه ، قال تعالى : " **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** " (إبراهيم : ٣٤) .

٣) وصفوا الله بالتعب :

لقد وصف اليهود الله بأنه يتعب ويطلب الراحة ، فقالوا إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت ، فقد جاء في سفر الخروج (لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع) (خروج ٢٠: ١١) .

وفي سفر التكوين (فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل) (تكوين ٢: ١-٢) .

---

(٤٠) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٧٩١/٢ .

(٤١) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ج٦٧/١٢ ، ح ١٢٤٩٧ ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

(٤٢) رواه البخاري ، ج٢٦٦٩/٦ ، ح٦٩٨٣ .

(٤٣) انظر : الشخصية اليهودية من خلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص ١٧٧ ، دار القلم ، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

وجاء في التلمود " إن الله يقسم الليل والنهار إلى اثنتي عشرة ساعة ينام فيها ويرتاح ويقسم النهار إلى اثنتي عشرة "(٤٤) .

لقد رد الله عليهم في القرآن الكريم حيث قال تعالى : " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** " (ق : ٣٨) .

" أي وما مسنا من إعياء وتعب ونصب كما قال تعالى : " **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " (الأحقاف : ٣٣)(٤٥) .

يقول (الرازي) أن المراد من هذه الآية الرد على اليهود حيث قالوا " إن الله تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت "(٤٦) .

وقد جاء في تفسير الطبري أن اليهود عليهم لعنة الله قالوا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم(٤٧) .

إن قول اليهود هذا يدلل على تحكم الشهوات والأهواء في نفوسهم فقد تجرأوا على مقام ربهم في مواطن كثيرة فعتوا عتواً كبيراً وضلوا ضلالاً بعيداً وتوعدهم ربهم بالعذاب المهين على سوء أدبهم وجهالاتهم بربهم مع وجود الآيات البينات الواضحات الدالة على وحدانية الله وتنزيهه المطلق فأعرضوا عن اتباع الحق الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فضلوا وأضلوا .

٤) وصفوا الله بالندم :

زعم اليهود أن الله ندم على أفعال قام بها ومن هذه الأفعال :

أ- ندمه على هدم الهيكل :

---

(٤٤) تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية، محمد البار، ص ٧٣-٧٤ ، دار القلم، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

(٤٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣٢٩٧/٧ .

(٤٦) التفسير الكبير ، الرازي ، ج١٥٧/٢٨ .

(٤٧) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، المجلد الثالث عشر ٧٩٨٥ ، ج٢٠٩/٢٦ .

جاء في سفر الأخبار (وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لإهلاكها وفيما هو يُهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك) (الأخبار أول ٢١: ١٥) .

ب- ندمه على إغراق الأرض بالطوفان في زمن نوح :

جاء في سفر التكوين (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن قلب الإنسان شرير منذ حداثته) (تكوين ٢٠: ٢١) .

ج- ندمه أن نصّب شاول ملكاً على بني إسرائيل :

جاء في سفر صموئيل : (وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً ندمت على أني قد جعلت شاؤل ملكاً) (صموئيل أول ١٥: ١٠) .

د- ندمه أن خلق الإنسان :

جاء في سفر التكوين (فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم) (تكوين ٦: ٧) .

إن الله تعالى شأنه وتقدست عظمته لا يندم على عمل عمله لأن مشيئته لا تكون عن هوى فهو بكل شيء عليم ، لقد استمر اليهود في نسبة الندم لله بعد كل قول قاله أو عمل عمله ، فأين كان علمه جل شأنه وتقدست أسماؤه ، قولهم هذا مرضٌ وهوى في نفوسهم المنحرفة الضالة عن الصراط المستقيم والدين القويم .

٥) وصفوا الله بالبكاء :

جاء في سفر أرميا (وإن لم تسمعوا ذلك فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء وتبكي عيني بكاء وتذرف الدموع لأنه قد سُبي قطيع الرب) (إرميا ١٣: ١٧) .

وجاء في سفر إشعيا أن الله قال (لذلك أبكي بكاء غزير) (أشعيا ١٦: ٩) .

فالنصوص التوراتية تدلل على نفوس اليهود المريضة والمنحرفة فهي تتلاعب بكلام الله وفق أهوائهم وشهواتهم ولا يراعون لله تعظيماً ولا وقاراً .

٦) وصفوا الله بالجهل :

وصف اليهود الله بالجهل في عدة مواطن من كتابهم ، منها ما جاء في قصة آدم وحواء أن الله لا يعلم بمكانهما بعد أن أكلا من الشجرة واختبئآ في شجر الجنة ، جاء في سفر التكوين

(وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت) (تكوين ٣: ٨-٩) .

ومنها ما زعموه أن الله طلب منهم أن توضع له علامة ليستدل على بيوتهم حتى لا يدمرها حيث أمرهم قبل خروجهم من مصر أن يلطخوا أبوابهم بالدم جاء في سفر الخروج (فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب) (خروج ١٢: ٢٣) .

إن هذا القول افتراء على الله سبحانه وتعالى ويتناقض مع كماله المقدس وعلمه المطلق، فالله عالم بكل شيء وعلمه محيط بكل شيء قال تعالى : " **عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** " (سبأ: ٣) .

٧) وصفوا الله أنه يأمر بالسرقة :

زعم اليهود أن الله أمر بني إسرائيل سرقة حلي المصريين قبل خروجهم من مصر كما جاء في سفر الخروج (بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين) (الخروج ٣: ٢٢) .

وهذا افتراء وانحراف عن دين الله فالسرقة محرمة في كل شرائع الأنبياء والرسل فكيف يزعم هؤلاء الجهلة ويفترون على ربهم ويجحدون الحق بعدما تبين ، ويتحايلون بقبح على استحلال محارم الله مما جعلهم أهلاً للعذاب الشديد والمسخ الشنيع وما ربك بظلام للعبيد.

٨) وصفوا الله بالنسيان :

يزعم اليهود أن الله قد نسي عهداً كان قد قطعه على نفسه لآباء العبرانيين الأولين كما جاء في سفر الخروج (وأنا أيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذي يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي) (خروج ٦: ٥) .

أي إله يصوره لنا هؤلاء اليهود الذي ينسى كلامه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٩) وصفوا الله بأنه يسير أمام بني إسرائيل :

من افتراءات اليهود على الله أن الله عندما أتاه بنو إسرائيل في البرية كان يسير أمامهم ، جاء في سفر الخروج (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم) (خروج ١٣: ٢١) .

فأي انحراف انحرفت إليه بنو إسرائيل وهم يلصقون بالله كل نقيصه وعيب وتجسيم فالله تقدست أسماؤه وتنزهت صفاته وتعالى الله عما يفتري هؤلاء المفترون .

١٠) وصفوا الله بالدموي :

تزعم التوراة أن إله اليهود قاسٍ مدمر متعصب نكد ، وقد أراد قتل موسى وهو في الطريق من مدين إلى مصر بسبب تركه سنة الختان .

جاء في سفر الخروج (وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله) (خروج ٤: ٢٤) .

فهاهم اليهود يصفون الله أنه ربٌّ شريرٌ غضوبٌ متقلب الأطوار والأهواء فهو إله يدعو إلى القتل والتدمير والوحشية ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

١١) وصفوا الله بالكذب :

جاء في أسفارهم أن الرب يقول (مرة حلفت بقدسي أني لا أكذب لداود) (مزامير٨٩: ٣٥)، ومعنى هذا أن الرب يكذب على غير داود تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذا هو خلق اليهود تحقير شأن الإله ووصفه بما لا يليق به ، فالكذب لا يوصف به إلا أراذل البشر ، ولكنها طبيعة اليهود المضطربة المتناقضة .

١٢) وصفوا الله بالضعف :

قالوا في سفر القضاة (وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد) (قضاه ١: ١٩) .

إن هذا الكفر والوقاحة من اليهود بوصفهم الله بالضعف لهو أثر من آثار انحرافهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى مبيناً عكس قولهم : " **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** " (البقرة : ١٦٥) .

وقال تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** " (الذاريات : ٥٨) .

وهكذا يتبين بعد هذا العرض لأقوال اليهود في صفات الله ونصوص توراتهم المحرفة أنهم لم يألوا جهداً في تحقير شأن الإله ونزع تاج القداسة عن ذاته العلية ميلاً مع أهوائهم ومصالحهم فاليهود نزعوا أخص صفات الإله وهي صفة الكمال والتنزيه المطلق ، فأساءوا إساءة بالغة في فهمهم للذات العلية وأفسدوا فساداً عظيماً في تصورهم للخالق سبحانه وتعالى فنسبوا إليه أحط الصفات ، وتحدثوا بسخف واستهتار عن الله وصفاته فانحرفوا بذلك انحرافاً شديداً عن التنزيه التام لله سبحانه وتعالى ، وكل ذلك رغم وجود دعوة موسى –عليه السلام-

بين ظهرانيهم ، ووجود دعوة التوحيد الخالص التي يرعاها الأنبياء والرسل في كل الأزمنة الأنبياء والرسل ، إلا أن اليهود لم يستمروا على عقيدة التوحيد الخالص فاتبعوا أهواءهم ومالوا حيث يميل بهم هوى النفس فانحرفوا في حياة موسى وهو لا زال على قيد الحياة كما تشهد بذلك أسفارهم ، إن عقولهم لم تقوَ على فهم الذات العلية الفهم المجرد الصحيح فقالوا لموسى (أرنا الله جهرة) علقوا إيمانهم بموسى على رؤيتهم لله ، قال تعالى : " **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** " (البقرة : ٥٥) .

فاليهود جنحوا جنوحاً كاملاً إلى التشبيه والتجسيم ، وأسرفوا إسرافاً شديداً في اتجاههم الحسي وتصورهم المادي لله عز وجل تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

المبحث الخامس

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات عند النصارى

المطلب الأول : أثر الهوى على توحيد الأسماء عند النصارى :

إنَّ المتأمل في النصرانية قبل التحريف والتغيير والتبديل يجد أن توحيد أسماء الله كان معلماً بارزاً من معالم النصرانية التي نزلت على عيسى عليه السلام ، قال تعالى : " **وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** " (المائدة : ١١٦) .

ولكن النصارى بعد عيسى - عليه السلام - ، ألحدوا في أسماء الله عز وجل فنازعوا الله سبحانه في أسمائه وأطلقوها على عيسى ، وما ذلك إلا تبعاً لأهوائهم وشهواتهم ، وهذه بعض أسماء الله التي أطلقوها على عيسى[١] :

١- **الله** : سمى النصارى المسيح في العهد الجديد بصريح العبارة أنه الله جاء في إنجيل يوحنا (في البدء كان الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) (يوحنا ١: ١) .

٢- **القدير** : جاء في سفر أشعياء (لأنه يولد لنا ولدٌ ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً) (أشعياء ٩: ٦) .

٣- **العظيم** : جاء في الرسالة إلى تيطس (منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصا يسوع المسيح) (تيطس ٢: ١٣) .

٤- **الرب** : وهو أكثر الأسماء شيوعاً بالنسبة للمسيح فذكر نحو ٦٥٠ مرة في العهد الجديد منها ١٧٠ مرة في الأناجيل الأربعة اسم الرب يرتبط بأسماء أخرى ، منها :

---

(١) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ، يوسف رياض ، ص ٦٢-٦٤ ، والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي ، ص ٧٠-٧١ ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، دار الصحوة ، القاهرة ، وكل صباح جديد، رابطة قراء الكتاب المقدس، ص ٣٤٧-٣٤٨ ، والمسيحية طقوس وفرائض .. أم روح وحياة ، سعيد سليم سلامة ، ص ١٥ ، جمع وإخراج لوجوس ، القاهرة ، ص ١٥-١٦-١٧ ، و برهان يتطلب قراراً ، جوش مكدويل ، ص ١٢٣-١٢٤ ، ترجمة د. القس منيس عبد النور ، ط٣ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١، وكتاب ليس له مثيل، بيل برايت، ص ٧ ، ترجمة ريما قبعية ومنير فرج الله .

- رب المجد : كما جاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس (لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد) (كورنثوس ٢: ٨) .
- رب الأرباب : جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي (هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك) (١٧: ١٤) .
- رب الكل : جاء في أعمال الرسل (الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل) (أعمال الرسل : ١٠: ٣٦) .

٥- **السلام** : جاء في إنجيل يوحنا (سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب) (يوحنا ١٤: ٢٧) .

٦- **الخالق** : جاء في سفر الأمثال (جاء في الأمثال الرب قناني أول طريقة من قبل أعماله منذ القدم... كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه) (أمثال ٨: ٢٢-٣١).

٧- **النور**: جاء في إنجيل يوحنا (ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو نور العالم) (يوحنا ٨: ١٢).

٨- **القدوس** : أي المعطي القداسة ، وجاء في أعمال الرسل (ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجلٌ قاتل) (أعمال الرسل ٣: ١٤) .

٩- **الحق**: جاء في إنجيل يوحنا (قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة) (يوحنا ١٤: ٦).

١٠- **الأول والآخر** : (فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي لا تخف أنا هو الأول والآخر) (رؤيا يوحنا اللاهوتي ١: ١٧) .

١١- **الغافر** : جاء في مرقص (فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني مغفورة لك خطاياك) (مرقص ٢: ٥) .

١٢- **الديان** : جاء في إنجيل يوحنا (لأن الآب لا يدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن) (يوحنا ٥: ٢٢) ، وجاء في يوحنا (وأعطاه سلطاناً أن يدين) (يوحنا ٥: ٢٧) وسوف يقيم يسوع الموتى ويجمع كل الأمم قدامه ويجلس على عرش المجد ويدين العالم وسيذهب البعض للسماء والبعض الآخر للجحيم بناء على حكمه وقضائه .

١٣- **المعطي** : جاء في إنجيل يوحنا (خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فستتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية لن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أسد من يدي) (يوحنا ١٠: ٢٧-٢٨) .

يتبين مما سبق أن إطلاق أسماء الله على عيسى افتراء وانحراف عن التوحيد الخالص لأن الخالق والأزلي والسلام والنور ونحو ذلك من الأسماء سالفة الذكر ، هي لله

وحده لا شريك له ولا يصح إطلاقها على غير الله سبحانه ، وإن نسبتها إلى عيسى عليه السلام من دوافع هوى الرهبان والأحبار والكهنة حيث أطلقوا أسماء الله على المسيح عيسى عليه السلام واستندوا في ذلك إلى النصوص الواردة في أناجيلهم المحرفة ، وعيسى عليه السلام براء من كل ما نسبوا له من أسماء الله عز وجل ، فالله وحده جلت أسماؤه هو الذي يستحق أسماء الجلال وصفات الكمال ، وإضافة هذه الأسماء إلى المخلوقات باعتبارها مشاركة لله في الألوهية لهو نقض لتوحيد الأسماء .

المطلب الثاني : أثر الهوى على توحيد الصفات عند النصارى(٢) :

ضل النصارى عن الصراط المستقيم في باب الصفات ، فسلكوا طريق الهوى والانحراف فوصفوا الله بصفات النقص ، كوصفه بصفات المخلوقين كالبنوة والأبوة وما إلى ذلك من صفات المخلوقين ، أو إثبات صفات الله عز وجل للمخلوقين كادعاء القدرة والعلم بالغيب وغفران الذنوب وغير ذلك من الصفات التي لا يوصف بها إلا الله تعالى وهذه بعض الأنماط من انحرافات وضلالات النصارى في الصفات .

أولاً : وصف الله بصفات البشر :

١) **وصفوا الله بأنه قاسي القلب عديم الرحمة** : جاء في رسالة روميه (إن كان الله معنا فمن علينا ، الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين) (روميه ٨: ٣١-٣٢) ، وهذا افتراء على الله سبحانه وتعالى لأن رحمة الله وسعت كل شيء قال تعالى : " **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** " (الأعراف : ١٥٦) .

٢) **وصفوا الله بالبنوة والأبوة** : جاء في إنجيل يوحنا (أنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) (يوحنا ٣: ١٦) .

إن قولهم هذا افتراء على الله سبحانه وتعالى ولقد أنكر القرآن قولهم هذا ، قال تعالى: " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** " (سورة الإخلاص :١-٤) ، وقال تعالى : " **وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**

---

(٢) انظر : ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ، يوسف رياض ، ص ٦٥-٦٧ ، والإيمان المسيحي هل هو معقول ، ناشد حنا ، ص ٥٧-٥٩ ، وبرهان يتطلب قراراً ، جوش مكدويل ، ص ١٢٢ ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد أحمد الحاج ، ص ٢٢٩ ، وخمس حقائق عن المسيح ، ناشد حنا، ص ١٣-١٥، والمسيحية طقوس وفرائض، سعيد سلامة، ص٧٣.

وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ " (البقرة : ١١٦) ، فالله واحد لا يشاركه أحد في صفاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ثانياً : وصف البشر بصفات الله :

نسب النصارى إلى المسيح بعض الصفات الإلهية باعتباره ابن الله وأنه يملك القدرة والعلم بالغيب وحساب البشر يوم القيامة وغفران الذنوب وغيرها من الصفات التي لا تكون إلا لله ومنها ما يلي :

١) كلي القدرة :

أ- أضافوا للمسيح صفة **إحياء الموتى لكونه إلهاً** : جاء في إنجيل يوحنا (كما أن الأب يقيم الأموات كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء) (يوحنا ٥: ٢١-٢٥) .

ب- أضافوا للمسيح صفة **شفاء المرضى لكونه إلهاً**: جاء في إنجيل متى (ولما كمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهود من عبر الأردن وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك) (متى ١٩: ١-٢) .

ج- أضافوا للمسيح **صفة الخلق لكونه إلهاً** : جاء في إنجيل يوحنا (كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) (يوحنا ١: ٢)، وجاء في كولوسي (الكل به وله قد خلق) (كولوسي١: ١٦).

د- أضافوا للمسيح **صفة الرزق لكونه إلهاً**: جاء في إنجيل متى قال يسوع للتلاميذ حينما لم يبق معهم إلا خمسة أرغفة (ائتوني بها إلى هنا فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ... وكسروا فأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا) (متى ١٤: ١٩-٢٠) .

٢) كلي العلم :

نسبوا إلى عيسى - عليه السلام - صفة العلم بالغيب وما سوف يحدث حيث جاء في إنجيل يوحنا أن يسوع عندما خاطب (سمعان بن يونان) قال له (أتحبني فقال له يا رب أنت تعلم كل شيء أنت تعرف أني أحبك قال له يسوع ارع غنمي) (يوحنا ٢١: ١٧-١٨) .

وقالوا أن يسوع كان يعلم ما في قلوبهم ويعلم أفكارهم ، كما جاء في إنجيل لوقا (فعلم يسوع فكر قلوبهم وأخذ ولداً وأقامه عنده) (لوقا ٩: ٤٦) .

وقيل أنه يعلم أسماء الأشخاص دون أن يخبره أحد ، جاء في إنجيل يوحنا (فنظر إليه يسوع وقال أنت سمعان بن يونان أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس) (يوحنا ١: ٤٢) .

٣) كلي التواجد :

عندما نسبوا إلى عيسى أنه لا يخلو منه زمان ولا مكان ، كما جاء في إنجيل متى قوله للتلاميذ (هاأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) (متى ٢٨: ٢٠) ، وجاء في إنجيل متى (لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم) (متى ١٨: ٢٠) .

٤) صفة الأزلية :

نسبوا إلى عيسى صفة السرمدية أي أنه أزلي أبدي لا يتغير ، جاء في إنجيل يوحنا (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) (يوحنا ١: ١) .

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين (يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد) (عبرانيين ١٣: ٨) ، وجاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي (أنا هو الألف والياء والبداية والنهاية) (رؤيا يوحنا ١: ٨) .

٥) صفة الدينونة :

نسبوا إلى المسيح عليه السلام صفة الدينونة ، حيث يعتقد النصارى أن عيسى –عليه السلام - بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار الأب على كرسيه استعداداً لاستقبال الناس ليدينهم على ما فعلوا ، جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً) (كورنثوس الثانية ٥: ١٠) .

٦) صفة الغفران :

نسبوا إلى عيسى عليه السلام صفة غفران الذنوب كما أضافوها إلى رجال الكنيسة ، فقد جاء في إنجيل متى قول يسوع للمفلوج (مغفورة لك خطاياك) (متى ٩: ٢ ، ومرقص ٢: ٦)، وأيضاً أعطوا هذه الصفة للرهبان والأحبار حيث قرر مجمع روميه الذي عقد سنة ١٢٢٥هـ أن البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[٣] .

ومن خلال ما سبق يتبين أن النصارى تجرؤوا على الله سبحانه وتعالى فوصفوه بصفات النقص التي لا تليق بالله كالبنوة والأبوة والقساوة فهذه صفات المخلوقين ولا تليق بذي الجلال ، وزادوا في غلوهم عندما اعتقدوا أن المسيح مساوٍ لله في سائر الصفات الإلهية، حيث يستندون في ذلك إلى نصوص وردت في أناجيلهم تصف المسيح بسائر الصفات الإلهية كالقدرة والرزق والعلم بالغيب والإحياء وغيرها من الصفات ، وعليه فوصف غير الله بصفات الله إنما هو افتراء وكذب وضلال وهوى لأن القرآن الكريم وضح طبيعة عيسى -

---

(٣) انظر : مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ج١٩٨/٢ .

عليه السلام- بأنَّه بشر فهو يجوع ويعطش ، ومن كانت هذه صفاته لا يكون إلهاً البتة حيث قال تعالى : " **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** " (المائدة : ٧٥) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له على توفيقه بأن سهل لي جميع العقبات ، وإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على المسلمين هو بقاء عقيدة التوحيد صافية واضحة لم تختلط بغيرها من العقائد الفاسدة والمذاهب الزائفة ، وكان هذا من حفظ الله لدينه الذي تكفل بحفظه في محكم كتابه العزيز قال تعالى : " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" (الحجر : ٩) .

وبعد هذا العرض حول أثر الهوى على عقيدة التوحيد ينتهي هذا البحث إلى عدة نتائج يمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

أولاً : خلاصة ما بيناه في الفصل التمهيدي :

أ- إن المراد باتباع الهوى في **اللغة** : هو ميل النفس ومحبة الإنسان للشيء .

ب- وفي **الاصطلاح** : هو ميل النفس إلى الشهوات من غير داعية الشرع والعقل السليم .

ج- إن لفظ الهوى لا يذم على الإطلاق ، ولكن الذي يذم هو اتباع الهوى مع مجاوزة الحد المشروع والمعقول .

د- إن اتباع الهوى إذا أطلق ينصرف إلى الهوى المذموم إلا إذا قيد بنعت يخرجه من دائرة الذم التي هي أصل فيه .

هـ- هناك أنواع للهوى :

١- الهوى بمعنى الحق : وهو الهوى المحمود المقيد الموافق لشرع الله ومنهجه وهديه .

٢- الهوى بمعنى الباطل : وهو الهوى المذموم المخالف لشريعة الله وحدوده .

و- دوافع الهوى كثيرة منها الشهوة والكبر والظن .

ثانياً : خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج التوحيد في الإسلام :

١- إن توحيد الربوبية هو الأساس لأنواع التوحيد الأخرى كتوحيد الألوهية والأسماء والصفات ، ولهذا التوحيد مظاهر متعددة كصفة الخلق ، وتسخير الله المخلوقات بعضها لبعض ، وله نواقض كثيرة كإنكار الخالق والخالقية وإنكار أن الله المحيي والمميت وأنه هو النافع والضار .

٢- تبين من خلال هذا البحث أن توحيد الألوهية متضمن لأنواع التوحيد الأخرى وهو الأساس لأركان الإيمان الأخرى ، وهو الفارق بين المؤمنين والمشركين ، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق ، ولقد ركز القرآن الكريم عليه في مسالك متعددة منها توحيد الألوهية مباشرة ، وبيان العبادة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم ، فيقوم توحيد الألوهية على إخلاص العبادة لله ، وعبادة الله بما شرعه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولتوحيد الألوهية نواقض منها نفي استحقاق الخالق أن يعبد ، أو استحقاق العبادة لغيره وغير ذلك .

٣- ظهر من خلال هذا البحث أن توحيد الأسماء والصفات من أهم مباحث علم التوحيد إذ العباد لا يمكن أن يعرفوا ربهم إلا إذا تعرفوا عليه من خلال النصوص التي بينت أسماءه وصفاته ، فالمتأمل لمنهج القرآن في عرض الأسماء والصفات يجده واضحاً ميسراً يدعو للتدبر والتأمل ليتعرف الإنسان على ربه ، ومن نواقض هذا التوحيد تشبيه الخالق بالمخلوق وبالعكس والتحريف والتعطيل والتكييف .

ثالثاً : من نتائج أثر الهوى على التوحيد عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام يتبين ما يلي :

١- تأثر كثير من المسلمين بأفكار وعقائد منحرفة عن التوحيد الخالص ، كعقائد الأمم التي عاشوا معها كالهندوس والفرس وغيرهم ، فبرزت فرق بمفاهيم غريبة عن عقيدة الأمة ، هي من صنع أهوائهم فتجرؤوا على الله سبحانه في توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

٢- كثير من هذه الفرق خرجت عن عقيدة التوحيد الخالص وذلك بإضافة خصائص الربوبية لغير الله من الخلق وإضافة النفع والضر للأولياء ، كغلاة الصوفية والإسماعيلية والخابطية والبيانية وغيرها .

٣- انحرفت فرق كثيرة ممن تنتسب للإسلام في توحيد الألوهية وذلك بتأليه المخلوقين ، وقولهم بالحلول والاتحاد كالسبئية والنصيرية والدروز وغيرهم .

٤- ضلَّ أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام عن توحيد الأسماء والصفات ، حيث نسبوا أسماء الله وصفاته للمخلوقين ومنهم من نفى الصفات نفياً مطلقاً عن الله ، كالإسماعيلية والدروز ومنهم مَنْ وصفه بصفات النقص كالشيعة .

رابعاً : من نتائج أثر الهوى على التوحيد عند الأمم الوثنية يتبين ما يلي :

١- التوحيد الخالص هو الأساس الذي قام به هذا الكون وعندما تدخل الهوى وتحكمت الشهوات انحرفت الإنسانية عن التوحيد إلى متاهات الشرك والضلال ، فانزلقت وتلقت عقيدتها من الأساطير والخرافات والأوهام التي نسجتها عقول المشعوذين والسحرة ، فاتخذت لها أرباباً وآلهة تعبد من دون الله .

٢- تبين من خلال البحث أثر الهوى على توحيد الربوبية عند الأمم الوثنية عندما اتخذوا أرباباً بأجسام وأشكال مختلفة كالشمس والقمر والمطر والزرع والبقر والأوثان والأنثى ، بحسب ما تهواه نفوسهم وما تصوره عقولهم الضالة المنحرفة عن التوحيد الخالص .

٣- ظهر أثر الهوى عند الأمم الوثنية على توحيد الألوهية عندما توجهوا بالعبادة والتعظيم والإجلال للمخلوقات كالأصنام والكواكب والنار والشجر والحجر ، واعتقدوا أنها تملك النفع والضرر والنصرة ، لذلك توجهوا إليها بالعبادة من دون الله الواحد القهار وهذا خروج عن التوحيد الخالص .

٤- لقد غالت الأمم الوثنية وتحكمت فيهم الشهوات فعظموا الأصنام والأوثان عندما أطلقوا اسم الله على السماء والأرض والحصاد والحبوب وغيرها من المخلوقات وسموا الله بأسماء لم ترد في كتابه ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كابراهما وسيفا وغير ذلك من الأسماء ، كما وصفوا هذه الأوثان بصفات الله كالنفع والضرر والشفاء والنصر وكل ذلك مناقض لتوحيد الأسماء والصفات .

خامساً : من نتائج أثر الهوى على التوحيد عند اليهود يتبين ما يلي :

١- إن الرسالة التي جاء بها الأنبياء إلى بني إسرائيل كانت قائمة على توحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة شأنها في ذلك شأن سائر الرسالات ، التي جاء بها الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- ظهر من خلال البحث أثر الهوى على اليهود في توحيد الربوبية عندما اختلطوا بالشعوب الوثنية وانخرطوا فيهم وتأثروا بهم ، فقلدوهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وأضافوا النفع والضرر لغير الله وهذا من نواقض توحيد الربوبية .

٣- كذلك تبين أثر الهوى على اليهود في توحيد الألوهية عندما توجهوا بالعبادة لغير الله كعبادة العجل والأشخاص وادعاء الألوهية للبشر عندما قالوا عزير ابن الله وهذا كله ناقض لتوحيد الألوهية .

٤- ظهر من خلال هذا البحث أثر الهوى على اليهود في توحيد الأسماء والصفات عندما اتجهوا إلى التشبيه والتجسيم ، فصوروا الله بصور حسية ووصفوه بصفات بشرية لا تليق بذاته المقدسة ونسبوا إليه ما لا يليق به ، وألحدوا في أسماء الله فأطلقوا عليه اسم ألوهيم ، ويهوه ، وأدوناي ، وإيل وبعل وأهيه وغيرها من الأسماء وهذا كله ناقض لتوحيد الأسماء والصفات .

سادساً : من نتائج أثر الهوى على التوحيد عند النصارى يتبين ما يلي :

١- من خلال البحث يتبين أن الديانة النصرانية كانت في بدايتها على التوحيد ، ثم طرأ التغير والتبديل والانحراف نتيجة تدخل الهوى على عقيدة التوحيد فحرف الديانة النصرانية عن مسارها الصحيح .

٢- ظهر جلياً أثر الهوى في نقض النصارى لتوحيد الربوبية وذلك بإضافة خصائص الربوبية كغفران الذنوب وإحياء الموتى وشفاء المرضى لعيسى - عليه السلام - بمشيئته وإرادته وليست بإذن الله كما يدعي النصارى .

٣- تبين من خلال البحث أثر الهوى على انحراف النصارى في توحيد الألوهية عندما رفعوا عيسى وأمه إلى مرتبة الألوهية وهذا يناقض توحيد الألوهية .

٤- ظهر من خلال هذا البحث أثر الهوى على النصارى انحرافهم في توحيد الأسماء والصفات ، حيث أطلقوا أسماء الله وصفاته على المخلوقين فقالوا عن عيسى - عليه السلام - إنه الله والقدير والعظيم والمبارك والرب والسلام والخالق والأزلي والأول والآخر وغيرها من الأسماء ، كما نسبوا إلى عيسى بعض صفات الألوهية فقالوا عنه كلي القدرة وأضافوا له صفة الإحياء والإماتة وشفاء المرضى بقدرته الذاتية الإلهية ، كما وصفوا الله بصفات البشر فقالوا بأنه قاسي القلب ، وبالبنوة والأبوة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وكل ذلك ناقض لتوحيد الأسماء والصفات .

التوصيات :

١- الحرص والعناية والالتزام بعقيدة السلف الصالح لأنها المنجية من عذاب الآخرة .

٢- إفراد دراسة مستقلة تستقرئ أثر الهوى على كافة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ، وبيان دورها في زعزعة عقيدة التوحيد الخالص .

وبعد هذا العرض لكيد هذه الفرق التي تنتسب للإسلام والأمم الوثنية وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أرى لزاماً علينا أبناء الإسلام أن نقف أمام تلك الهجمات الحاقدة على عقيدة التوحيد الخالص ، وذلك بإيماننا بالله وحده لا شريك له ، وبدفاعنا عن حمى التوحيد والذود عن حياضه بكل ما نملك ، وعلينا الحذر من ضلالات وزيف هؤلاء المنحرفين والانجرار خلفهم أو التودد إليهم وعدم التعامل معهم أو الاختلاط بهم إلا في حدود ما تقتضيه مصلحة المسلمين وقضاء حوائج المسلمين الضرورية .

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع والله أسأل أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما علمني وأن يزيدني علماً وعملاً إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، ومع ما بذلت من جهد ومشقة في إعداد هذا البحث إلا أنني أعترف أن هذا الجهد لا يعطي الموضوع حقه تماماً ، لأن الكمال لله وحده والنقص من صفات البشر ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ملخص البحث باللغة العربية

أثر الهوى على التوحيد

- هدف الدراسة إلى الكشف عن أثر الهوى على التوحيد ، حيث أبان الباحث في دراسته أن التوحيد هو الأصل ، وأن الشرك والانحراف طارئ على النفس البشرية بسبب أثر الهوى عليها وتحكم الشهوات فيها .
- وضح الباحث التوحيد على أصوله ، وأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يتضمن توحيده في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، وأنَّ العبد لا يكون مؤمناً حتى يعتقد أنَّ الله رب كل شيء ولا ربَّ غيره ، وإله كل شيء ولا إله غيره ، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه ولا كامل غيره .
- تناول الباحث أثر الهوى على التوحيد عند بعض الفرق المنتسبة للإسلام الذين تأثروا بعقائد الأمم الوثنية ، تلك الفرق التي حاولت أن تقدح في توحيد الألوهية كالنصيرية والدروز وغيرها من الفرق الضالة التي أخرجت التوحيد عن صفائه وبهائه .
- ثم بين الباحث أثر الهوى على التوحيد عند الأمم الوثنية ، عندما افتتنوا بعبادة الأصنام فاعتقدوا بربوبية وألوهية الشمس والقمر والكواكب والنار والشجر حيث أهالوا عليها صفات النفع والضر التي لا تجوز إلا لله .
- ثم تطرق الباحث إلى بيان أثر الهوى على التوحيد عند اليهود عندما ضلوا في توحيدهم فعبدوا (العجل) تارة ، و(عزير) تارة أخرى ، ووصفوا الله بصفات التجسيم والتشبيه .
- وكذلك عرّج الباحث على أثر الهوى على التوحيد عند النصارى عندما غيروا وبدلوا واعتقدوا بألوهية وربوبية المسيح ومريم والروح القدس فخرجوا بذلك عن التوحيد الخالص .

وقد توصل الباحث من خلال دراسته هذه إلى العديد من النتائج التي تبين أثر الهوى على عقيدة التوحيد منها :

١- توحيد الربوبية هو الأساس لأنواع التوحيد الأخرى كتوحيد الألوهية والأسماء والصفات ولهذا التوحيد مظاهر متعددة كصفة الخلق وتسخير الله المخلوقات بعضها لبعض .

٢- توحيد الألوهية متضمن لأنواع التوحيد الأخرى وهو الفارق بين المؤمنين والمشركين .

٣- توحيد الأسماء والصفات من أهم مباحث علم التوحيد إذ العباد لا يمكن أن يعرفوا ربهم إلا إذا تعرفوا إلى أسمائه وصفاته .

٤- إنَّ الأمم الوثنية تحكمت فيها الأهواء والشهوات فعظموا الأصنام والأوثان فخرجوا عن التوحيد الخالص .

٥- إن الديانتين (اليهودية والنصرانية) كانتا في بداياتهما على التوحيد ، ثم طرأ عليهما التغيير والتبديل والانحراف نتيجة تدخل الهوى على عقيدة التوحيد فيها ، فأخرجها عن التوحيد الخالص .

وقد أوصى الباحث ببعض التوصيات أهمها :

١- الحرص والعناية والالتزام بعقيدة السلف الصالح لأنها المنجية من عذاب الآخرة .

٢- إفراد دراسة مستقلة تستقرئ أثر الهوى على كافة الفرق المنتسبة للإسلام ، وبيان دورها في زعزعة عقيدة التوحيد الخالص .

٣- تعميق الدراسات العقدية في هذا المجال .

الباحث

منذر خليل الغماري

Desire impact on Tawheed

The present study is aimed to investigate the effect of desire on Tawheed. The author showed that Tawheed is the origin thing and the sherk (not believe in God) is something urgent on human sole. This is due to impact of desire on human sole. The author explaind Tawheed and showed that believe in one God and his names and charachters is the sole of Twaheed. Man does not consider believer unless he believed in one God as a perfect God in his names and characters. The effect of desire on Tawheed among peoples belonging to Islam; those who affected by non believers was studied. They showed bad image toward Tawheed. Also, the author demonstrated desire impact on Tawheed among non-beleivers who whorship sun, moon, planets, fire, trees and consider them as sources human harm and benifet. In addition, the author pointed out the effect of desire on Tawheed among Jewes who whorship cow and described God by human characters. Furthermore, the influence of desire on Tawheed among Christians who believe in Jesus as a God was studied. The auther deduced the following results:

1. Tawheed is the basis of believe in one God and his names and characters.
2. Tawheed distinguishes believers from non-believers.
3. Believe in God names and characters is an important aspect of Tawheed.
4. Non-bleviers who controlled by their desire lost tawheed.
5. Jewish and Christian relegions were believed in Tawheed at the beginning, but when misinterpretation and changes were introduced as a result of desire, they lost Tawheed.

Finally, the author recommended:

1. Believe in the past sincere believers should be followed to avoid the hell turture.
2. Conduction of a separate study on peoples belonging to Islam; those who affected by non believers and showed their bad influence on tawheed.
3. Further studies must be carried out in the field of tawheed.

فهرس آيات الكتاب الحكيم

	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ	٥٥	١٣٩
	وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا	١١٦	١٤٢
	أَنَا أُحْيِـــي وَأُمِيتُ	٢٤٥	١٣٤
	فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً	٢٢	١١٤
	فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ	٢٥٨	١١٧
	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٨٣	١٣١
آل عمران	وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا	٨٠	٦٢
	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ	١٤	١٠
	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ	١٤٤	٢٨
	هَـــذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ	٣٨	٣٢
	وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ	٤٩	٤٥-٤٦-٤٩
	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء	٦٤	٥٦-٥٧
	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا	١٩١	٥٧
	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ	١٧٩	٥٨
	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ	٤٢-٤٣	٩٧
	إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء	١٨١	١٠٩-١٣٤
	لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ	١٨١	١٣٤
النساء	فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ	١٣٥	٦
	وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ	٢٧	١٠
	وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ	٣٢	٣٠
	إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ	٤٨	٥٣
	مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً	٨٥	٦٤
	فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ	٥٩	٦٥
	فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ	٦٥	٦٥
	وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ	٢٧	٧٥
	إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ	١٧١	٩٥
	لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ	٧٢	١٠٠
	وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا	١٦٤	١١٨

المائدة	قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ	٧٦	٢٩
	وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ	١١٦	٣٢-٩٤-٩٦- ٩٧-١٤٠
	إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ	١١٨	٤٤
	وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ	١١٠	٤٥-٤٦-٤٨- ٤٩
	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ	٧٧	٤٦
	وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ	٧٧	هـ
	يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ	١١٢	٤٧
	قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ	١١٤	٤٨
	وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا	٣	٦٥
	أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ	٥٠	٦٥
	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ	٧٢	٩٤-٩٥
	مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	٧٥	٩٤-٩٦-٩٧- ١٤٤
	وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	٧٢	٩٥
	يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ	٦٤	١٠٩-١١٣-١٣٤
	لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ	٧٣	١١٣-١١٦
الأنعام	أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ	١٥٨	٣٢
	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٠١	٤٩-٩٠
	إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ	٧٩	٦١
	قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي	١٦٢-١٦٣	٦٢
	إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ	٥٧	٦٥
	أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ	٦٢	٦٥
	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ	٧٦-٧٩	٧٧
	وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ	٨١	٧٧
	قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ	٥٦	٨٩
	وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ	٥٩	١٢٥

	قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ	٥٠	٢٥
الأعراف	وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا	٥٦	٨
	سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ	١٤٦	١٢
	إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٥٤	٢٢-٢٤
	قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا	١٨٨	٢٨
	ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا	٥٥	٣٠-٦١
	أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ	٥٤	٣٦-٣٧
	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	٨٥	٨١
	قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَــهًا	١٤٠	٥٦
	يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ	٥٩	٥٧-٨٢
	وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ	٢٠٠	٦٣
	قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ	٨٨	٨١
	قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ	٦٠	٨٢
	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ	١٤٨	٨٥
	قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ	١٥٠	٨٦
	وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ	١٨٠	١٠٢-١٠٨- ١٠٩-١١٣- ١٢١-١٢٨
	وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى	١٨٠	١٠٥-١١٢
الأنفال	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ	٩	٦٢
التوبة	يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ	٣٠	٩١
	إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ	٤٠	٢١
	اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا	٣١	٤٠-٤٥
	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ	٣٠	٨٩-٩٤-١٠٩- ١١٣-١١٧
يونس	وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ	١٠٦	٢٦-٦٢
	إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ	٣	٢٦
	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ	١٨	٢٩-٥٧-١٣٠

	وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا	٣٦	١٥
هود	قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ	٨٧	٨١
	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ	٢٥-٢٦	٥٦
	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا	٧٣	٥٦
	فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ	٢٧	٨٢
	قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا	٣٢	٨٣
	هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	٦١	٨
	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً	٨٨	٨١
	أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ	٢٦	٨٢
يوسف	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ	١٠٦	٢٠
	إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا	٣٧	١٣٣
	مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء	٤٠	١٢٧
الرعد	وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ	٤١	٦٥
إبراهيم	وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	١٥	١٣
	وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ	٣٤	١٣٥
الحجر	قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ	٣٩	أ
النحل	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً	٣٦	٥٤-٥٦
	إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ	٢٣	١٣
	وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ	٥-٨	٢٣
	وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا	٥٦	٦٥
	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا	١٤	٧٧
	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ	١٠٢	٩٩
	وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ	١٦	١٠٣
	فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ	٧٤	١٠٩
الإسراء	قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ	٥٦	٦٢
	قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ	٦٢	أ
	ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ	١١٠	١٢٨
الكهف	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ	١١٠	٢٨

	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ	٥٤	٥٨
	وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	٢٦	٦٥
	مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ	٤-٥	٩١
	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم	٢٨	١١٨
مريم	فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ	٥٩	١٠
	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ	٣٦	٥٦
	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ	٤٢	٧٣-١١٣
	قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي	٤٦	٧٣
	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا	٨٨-٩١	٩٤
	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ	٣٠	٩٤
	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي	١٢٤	أ
طه	أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا	٨٣	٤١
	وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا	٥٦	٨٤
	وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ	٩٠-٩١	٨٦
	قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا	٨٧-٨٨	٨٦
	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	٨	١١٢-١٢٨
	لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ	٤٢	١٢٩
	وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي	٣٩	١١٨
	إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ	٩٨	١٣٣
	وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ	١١٢	١٠٣
الأنبياء	أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ	٦٦	٢٦-١١٣
	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ	٢٥	٥٤-٥٦- ٦١-٦٢
	وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى	٢٨	٦٤
	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ	٥٢-٥٣	٧٣
	فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا	٥٨	٧٣
	قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا	٦٢-٦٣	٧١
	فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ	٦٤	٧١

الحج	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ	٧٣-٧٤	٥٨
المؤمنون	يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	٢٣	٨٢-١٢٧
النور	الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ	١١	١٢
	لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ	١٢	١٤
الفرقان	وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً	٣	٢٣
	إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا	٤٢	٧٥
	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ	٦٠	١٠٨-١١٣- ١١٨-١٢٧
الشعراء	كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	٦٢	٢١
	اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ	٦٣	٢١
	يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ	٨٨-٨٩	٥٤
	هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ	٧٢-٧٤	٧٣-١١٣-١٢٩
	فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٦	٨٣
	قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي	٢٩	٨٣
	قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ	٣٠-٣٣	٨٣
	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ	١٩٣-١٩٥	٩٩
	فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ	٧٧	١٣٠
النمل	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ	١٣-١٤	٣٨
	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ	١٤	٧٧
	قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٦٥	١٢٥
القصص	وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ	٣٩	٨٤
	مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي	٣٨	١٠٩
	فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ	٥٠	٧٩
	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	٤٠	٨٤
	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ	٥٠	١٠
	يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي	٣٨	٨٣-١٢٢
	فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ	١٥	٦٣
	فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ	٥٠	٧٩

العنكبوت	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	٦١	٢٠
	وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ	٤٣	٥٨
	مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء	٤١	٥٨
الروم	بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم	٢٩	١٠
الأحزاب	تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ	٥١	٦
سبأ	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ	٣٦	٢٥
	وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ	٢٣	٦٤
	عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ	٣	١٣٨
فاطر	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ	١٣	٢٦
	وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ	٢٤	٨٠
	فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا	١٠	١٠٢
	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء	٢	١١٨
يس	أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	٨١	٦٨
	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا	٧٨-٧٩	١١٩
الصافات	ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا	٩٧	٧٤
	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ	١٨٠	١١٤
ص	وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ	٢٦	٥-٧-٣٥
	يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ	٧٥-٧٦	١٢-١١٢
	ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا	٢٧	١٥
	أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا	٥	٧٢-٧٦
	وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ	٦	٧٥
	بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ	٢	١٣٠
الزمر	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا	٣	٦٤
	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ	٦٢	٣٧-٤٩
	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ	١٦	٢٦
	قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا	٤٤	٦٤
غافر	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ	٣٥	١٣
	مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ	٧٨	٨٠

فصلت	إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا	٤٠	١٠٨
	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء	١١	١١٨
الشورى	وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ	١٠	٦٥-١٠٩- ١١١
	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا	٥٢	١٠٠
	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	١١	١٠٤-١٠٧- ١١٤-١٢٣
الزخرف	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ	٨٧	٢٠
	وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا	١٥	٥٠
	وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ	٨٤	٦٨
	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ	٥٤	٨٣
	أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ	٥١	١١٧
الجاثية	فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ	٣٦	٢٣
	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ	٢٣	٣٧-٤١
	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ	١٨	٦١
الأحقاف	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ	٥	٢٣
	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	٣٣	١٣٦
الفتح	وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ	١٢	١٥
	وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ	٦	١٥
	يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	١١٨
الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ	١٢	١٥
ق	مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ	١٨	٥٩
	وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٣٨	١١٣-١٣٦
الذاريات	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ	٥٨	٢٥-١٠٢- ١٣٩
	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٥٤
النجم	وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى	٣	٢-٧
	وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى	٢٣	١٢٨

	إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ	٢٣	ب-١٢٨
	إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا	٢٣	١٥-١٢٧- ١٢٨-١٣٣
	وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ	٢٦	٦٤
	إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ	٢٦	٦٤
	أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى	١٩-٢٣	١٢٨
القمر	وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ	٣	٧٥
الرحمن	وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ	١٠	٢٢
	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ	٣٣	٢٦
الحديد	وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ	٤	٢١
الحشر	نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ	١٩	٣٥
	هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ	٢٤	٤٩-١٠٥-١١٢
التحريم	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ	١٢	٩٧
الملك	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ	٢	٢٥-٣٨
القلم	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	١	٣٠-١٢٣
نوح	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا	١٥	٢٢
	وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا	٢٣	٧٢-٨٢-١٢٧
	يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ	٢	٨٢
	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي	٥	٨٢
	ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا	٨	٨٢
الجن	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ	٦	٦٣
المدثر	فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ	٤٨	٦٤
الإنسان	يُوفُونَ بِالنَّذْرِ	٧	٦٥
النازعات	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ	٤٠	٧-١٠-١٦
التكوير	مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ	٢١	١٠٠
	فَأَمَّا مَن طَغَى	٣٩	١٦
	فَحَشَرَ فَنَادَى	٢٣-٢٤	٣٨-١٠٩
الغاشية	أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	١٧	٥٧

الفجر	وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	٢٢	٣١
الشمس	فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا	١٣	١٠٠
العلق	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	١	٤٨
البينة	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ	٦	٥٤
	وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ	٥	٦٠-٦١
الإخلاص	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	الإخلاص	٩٧-١٠٧- ١١٣-١١٤- ١٤٢
الفلق	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ	١	٦٣
الناس	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ	١	٦٣

فهرس الأحاديث

فهرس الفرق

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم .**

١- أباطيل التوراة في العهد القديم المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، تأليف محمد البار ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٢- الإبانة عن أصول الديانة ، صالح الفوزان ، الرياض ، بدون طبعة وتاريخ .

٣- الأحاديث المختارة ، محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي ، ت٦٤٣هـ ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، ط١٤١٠هـ ، تحقيق عبد المالك دهيش .

٤- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، ت٤٥٠هـ، حققه مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ.

٥- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة ، مصر ، يونيو ١٩٩٦ .

٦- إسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط١٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦.

٧- الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة ، أحمد إسماعيل ، مكتبة الدار العربية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٨- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط٥ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٩- أصول الكافي للكليني، دار الأضواء،تحقيق محمد جواد مغنية، ط١٤١٣،١هـ-١٩٩٢م.

١٠- أعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٩٨٩ .

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار التراث ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

١٢- آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة ، ط٨ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

١٣- الإنسان الكامل في الإسلام ، عبد الرحمن بدوي ، ط٢ ، ١٩٧٦م .

١٤- الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ، محمد نعيم ياسين ، عمان، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٥- الإيمان المسيحي هل هو معقول ، ناشد حنا ، ط٢ ، بدون طبعة وتاريخ .

١٦- الإيمان، للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى ابن مندة ، ١٣١٠هـ ، تحقيق علي الفقي، دار ابن حزم ، ط٤ ، بدون طبعة وتاريخ .

١٧- اتباع الهوى مظاهره وخطره وعلاجه ، سلمان بن صالح الغصن ، دار العاصمة السعودية ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

١٨- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الإمام فخر الدين الرازي ، مراجعة وتحرير علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

١٩- بدائع الفوائد ، للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، المشتهر بابن قيم الجوزية ، دار الفكر ، بدون طبعة ، وتاريخ .

٢٠- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، ت٧٧٤هـ ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، اعتنى به عبد الحميد هنداوي ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

٢١- بردة المديح المباركة، الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري، طبعة القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

٢٢- برهان يتطلب قراراً ، جوش مكدويل ، ترجمة د. القس منيس عبد النور ، ط٣ ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١ .

٢٣- بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب أبي الطاهر الفيروزأبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٢٤- بنو إسرائيل ، محمد بيومي مهران ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م ، الإسكندرية ، بدون طبعة وتاريخ .

٢٥- بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، باكستان .

٢٦- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، د. فتحي محمد الزغبي ، دار البشير ، مصر ، طنطا، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٢٧- تاريخ الدولة الفاطمية ، د. حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٩٥٨ .

٢٨- تاريخ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٤ ، ٢٢٤هـ-٣١٠هـ .

٢٩- التبصر في الدين ، أبو المظفر الأسفرايني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب، ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٣٠- التحرير والتنوير ، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر ، تونس ، بدون طبعة وتاريخ .

٣١- تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية ، محمد البار ، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٨٩م .

٣٢- التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط٣ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٣٣- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الإمام ناصر الدين البيضاوي ، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

٣٤- تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .

٣٥- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، دار ابن حزم للطباعة، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٣٦- التفسير الكبير ، الإمام الفخر الرازي ، تحقيق دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٣٧- تلبيس إبليس ، الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ، ت٥٩٧هـ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .

٣٨- التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩- تيسير العزيز الحميد، تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت١٢٣٣هـ، المكتب الإسلامي ، ط٣ .

٤٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ١٣٠٧-١٣٧٦هـ ، مؤسسة مكة للطباعة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٤١- ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ، يوسف رياض ، بدون طبعة وتاريخ .

٤٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت٣١٠هـ ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٤٣- الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، ٢٠٩-٢٧٩هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، بدون طبعة وتاريخ .

٤٤- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، ١٩٤-٢٥٦هـ ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ج٥/١٩٦٦ ، ح٤٨٢٣ .
٤٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، الشهير بابن رجب ، ٧٣٦هـ-٧٩٥هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، ط٧ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٤٦- جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ، أمير مهنا ، وعلي خريشة ، الناشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ .
٤٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، بدون طبعة .
٤٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، قدم له وعلق عليه علي صبح المدني ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م .
٤٩- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمان، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٥٠- الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، يوسف إبراهيم الشيخ عيد الزاملي ، دار النشر ، السعودية ، ١٩٨٨ .
٥١- خبئة الأكوان ، محمد صديق حسن خان ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .
٥٢- دراسات في العقيدة، محمد أحمد الخطيب وآخرون، دار عمار، ط٤،١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥٣- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، عبد الله الأمين ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
٥٤- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٥٥- الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة ، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٩١م .
٥٦- ذم الهوى ، الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٥٧- الرسالة السبعية بإبطال اليهودية ، الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، علق عليه عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

٥٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ت١٢٧هـ ، دار الفكر ، بدون طبعة وتاريخ.

٥٩- الروض الداني (المعجم الصغير) ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان .

٦٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق السيد الجميلي ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م .

٦١- السنة ، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، ت ٢٨٧هـ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .

٦٢- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ١٨١-٢٥٥هـ، تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٦٣- السيرة النبوية لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، ت٢١٣هـ ، تحقيق الشيخ محمد بيومي ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

٦٤- شبكة المعلومات الإلكترونية www.geocities.com/christiantyandisslam/hidava7a.htm.

٦٥- الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٦٦- شرح أصول العقيدة الإسلامية ، د. نسيم شحدة ياسين ، مطبعة التقوى ، غزة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٦٧- شرح العقيدة الطحاوية، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٦٨- شرح المولد النبوي السنني بالكواكب والأنوار على عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر ، جعفر البرزنجي ، ١٢٥٠-١٣١٧هـ/١٨٣٤-١٨٩٩م ، تحقيق نادي قزج ، دار القاضي عياض للتراث ، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٦٩- شعب الإيمان ، أبو بكر بن الحسين البيهقي ، دار الكتاب العلمية ، تحقيق المقيد بسيوني زغلول ، بيروت ، ط١ .

٧٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٧١- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، ٣٥٤هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ .

٧٢- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، ٢٢٣-٣١١هـ ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م .

٧٣- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشير النيسابوري ، ٢٠٦-٢٦١هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، بدون طبعة وتاريخ .

٧٤- ضوابط المعرفة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٧٥- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، سليمان الحلبي، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

٧٦- العظمة ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٧٧- العقائد الوثنية في الديانات النصرانية ، محمد بن طاهر التنير البيروتي ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

٧٨- عقيدة البداء عرض ونقد ، محمد حسن بخيت ، مجلة الجامعة الإسلامية ، غزة ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٧٩- عقيدة الدروز عرض ونقد ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، ط١ ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٨٠- العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، حسن الباش ، دار قتيبة ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٨١- فتح الباري ، أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

٨٢- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٨٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، دار الحديث ، القاهرة ، طبع ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
٨٤- الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي ، محمد حسن بخيت ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
٨٥- الفَرقُ بين الفِرَق ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ت٤٢٩هـ-١٩٣٧م ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .
٨٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام أبي محمد علي ابن أحمد بن حزم الظاهري ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .
٨٧- فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ت ٥٠٥هـ، دار البشير، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٨٨- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، د. حسن ظاظا ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
٨٩- الفكر الصوفي ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ط٤ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٩٠- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .
٩١- القاموس الفقهي، سعيد أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٩٢- القاموس المحيط ، محيي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٨٦م .
٩٣- القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ، حسن الباشي ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
٩٤- قصة الحضارة ، ولد وايريل ديورانت ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
٩٥- قصص الأنبياء ، الإمام أبي الفدا إسماعيل بن كثير ، ضبط نصوصه حلمي بن إسماعيل الرشيدي ، دار العقيدة .
٩٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد الصالح العثيمين ، أضواء السلف ، الرياض ، طبعة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
٩٧- القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الفجر للتراث ، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٩٨- كتاب إله واحد ورب واحد روح واحد ، تفسير معاصر للإيمان الرسولي ، هاتز جورج لينك ، ترجمة بهيج يوسف يعقوب ، دار الثقافة ، ط١ ، ١٩٩٦م .
٩٩- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، بدون طبعة وتاريخ .
١٠٠- كتاب خمس حقائق عن المسيح ، ناشد حنا ، ط٢ ، ١٩٩٨م .
١٠١- كتاب ليس له مثيل ، بيل برايت ، ترجمة ريما قبعين ومنير فرج الله ، طباعة لوجوس بريت سنتر ، ١٩٩٢م .
١٠٢- كل صباح جديد ، رابطة قراء الكتاب المقدس ، ط دار موبار ، ط٢ ، ٢٠٠١ .
١٠٣- الكنز المرصود في فضائح التلمود ، محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الفكر العربي ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
١٠٤- كنز الولد ، إبراهيم بن الحسين الحامد ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة ، ١٩٧٩م .
١٠٥- لسان العرب ، الإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، ت ٧١١هـ ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
١٠٦- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ، شرح محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط٣ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
١٠٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي ، ط ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
١٠٨- مجموعة التوحيد ، شيخا الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، دار الفكر ، بدون طبعة وتاريخ .
١٠٩- محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مطبعة المدني ، بدون طبعة وتاريخ .
١١٠- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، عني بترتيبه محمود خاطر ، دار الفكر ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ .
١١١- مختصر منهاج القاصدين ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

١١٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، دار الفكر ، تحقيق محمد حامد الفقي ، بدون طبعة وتاريخ .
١١٣- مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١، كانون الثاني ، يناير ١٩٩٦م .
١١٤- مذهب الدروز والتوحيد ، عبد الله النجار ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٥م .
١١٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، ١٦٤-٢٤١هـ ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، بدون طبعة وتاريخ .
١١٦- المسيحية طقوس وفرائض أم روح وحياة ، د. سعيد سليم سلامة ، جمع وإخراج لوجوس ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ .
١١٧- مصرع الشرك والخرافة، خالد محمد علي الحاج ، تحقيق عبد بن إبراهيم الأنصاري، إدارة الشئون الدينية ، قطر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
١١٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، الشيخ حافظ بن أحمد حكمي ، ط٣ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
١١٩- معجم الفرق الإسلامية، د. عارف تامر، دار السيرة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
١٢٠- المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٩٨٣ .
١٢١- معجم المقايس في اللغة ، أبي الحسن أحمد بن فارس زكريا ، ت ٣٩٥هـ ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
١٢٢- المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس وآخرون ، ط٢ ، بدون تاريخ .
١٢٣- مفهوم الألوهية وتطوره في اليهودية ، محمد الخطيب ، أبحاث اليرموك ، ١٩٩٩م .
١٢٤- مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، محمود يوسف الشوبكي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠١م .
١٢٥- مقارنة الأديان ، أحمد شلبي ، ط٥ ، ١٩٧٨م .
١٢٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبي الحسن الأشعري ، ت٣٢٤هـ ، دار النشر فرانز شنايز بفيسبادن ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
١٢٧- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة، دار المنار، بدون طبعة وتاريخ.

١٢٨- الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
١٢٩- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر بن عواض الألمعي ، الرياض ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
١٣٠- منهاج السنة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمة الحراني ، ت٧٢٨هـ ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
١٣١- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط٤ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
١٣٢- المنية والأمل في شرح الملل والنحل ، أحمد بن يحيى المرتضي ابن الفضل بين منصور الحسني اليماني ، تحقيق محمد جواد مشكور ، دار الندى، ط٢ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
١٣٣- موسوعة الأديان السماوية والوضعية الحية في المشرقين الأدنى والأقصى ، د. محمد العريبي ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥م .
١٣٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٣٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة، ط٤ ، بدون تاريخ.
١٣٦- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب محمد المسيري ، دار الشروق، ط١ ، ١٩٩٩م .
١٣٧- موسوعة عالم الأديان في كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم ، مجموعة كبار الباحثين ، بإشراف مفرج وآخرون ، ٢٠٠٤م .
١٣٨- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق ، محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم ، دمشق ، دار البشير ، جدة ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١٣٩- النصرانية في الميزان ، محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
١٤٠- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط٢ ، ٢٠٠٢م.
١٤١- الوحدانية ومنهج إثباتها في القرآن الكريم ، عبد الستار نوير ، دار الثقافة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
١٤٢- اليهودية ، د. محمد بحر عبد المجيد ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد٢٠، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

أثر الهوى على توحيد الألوهية

الفصل الثالث

أثر الهوى على توحيد الأسماء والصفات